

الدكتور عرفان عبد الحميد فتاح
الجامعة الإسلامية العالمية - كوالالمبور/ماليزيا





الإهداء

إلى الزوجة والصاحبة في درب الحياة

حلوها ومرها ... أم محمد

التي لم يمنعها اعتلال الصحة وذهاب العافية

من السهر على صحتي، التي نالتها الدنيا بصروفها

من كل حدب وصوب

اليهودية

عرض تاريخي

والحركات الحديثة في اليهودية

الطَّبْعَة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

****

رقم التصنيف	٩٠٩,٠٤٩٢٤
المؤلف ومن هو في حكمه	عرفان عبد الحميد فتاح
عنوان المصنف	اليهودية: عرض تاريخي
الموضوع الرئيسي	١-التاريخ والجغرافيا ٢- اليهود - تاريخ عام
رقم الإيداع	١٩٩٦/١١/١٥٨٩
بيانات النشر	عمان : دار عمار

※ تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية



عـمان - سـوق البـتراء - قـرب الجـامع الحسـيني - عـمارة الحجيري

هـاتف ٦٥٢٤٣٧ - ص. ب ٩٢١٦٩١ - عـمان



ص. ب ٥٩٧٤ / ١١٣ - بيروت - لبنان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

توطئة وتقديم:

يقدم هذا الكتاب في اجتهادنا، على ضآلة صفحاته، صورة موجزة وميسرة عن اليهودية: تاريخاً وعقيدة واتجاهات حديثة، نحن أحوج ما نكون إلى معرفتها.

والكتاب يقع في قسمين، هما كما يلي:

القسم الأول: عرض وصفي لتاريخ اليهود، وما اعترض هذا التاريخَ من أحداثٍ بما هو معروف عنه من تقلب مستمر بين أن يتحول اليهود فيه إلى: أقلية مُضْطَهَدَة[1] تعيش أجواء مَرَضية قاسية تتسم بالاضطهاد والكراهية وحملات الطرد والتهجير والتصفيات الجماعية، وما ينتج عن ذلك كله من الشعور المستمر بالإحباط والخذلان والردة عن الذات وخصائصها العقدية، وبين أن ينقلبوا إلى جماعات مُضْطَهِدة تعوّض ما لَقِيَتْ من هوان وانكسار بإنزال صنوف العذاب فيمن حولهم، قتلاً وتحريقاً واغتصاباً[2]؟!

---

(١) التوراة: المزامير (٤٤): «خَذَلْتنا وأهنتنا، ولا تخرجُ للقتال مع جيوشنا، تردّنا إلى الوراء وعن خصومنا فيأخذ الغنائم مُبْغِضُونا. تجعلنا كالغنم مأكلاً، وتشتتنا بين الأمم». وانظر أيضاً: سفر دانيال ٩: «صلاة دانيال» ففيها صورة دقيقة لما عرضناه.

(٢) التوراة: سفر التثنيه ٣٢: ٤٢: «سهامي تَسْكَرُ من الدماء. وسيبقى يأكل لحماً من دماء القتلى والسبايا ومن رؤوس قادة العدو».

وهم في الحالتين معاً تميزوا بخصائص عامة مشتركة من الغدر والخيانة، وإخفاء المعتقد تقية وخوفاً، وسوء الظن بمَنْ حولَهم والارتياب في كل أمر وشأن وشعور كاذب؛ إلا أنه راسخ؛ بالتمايز والانفصال عن الآخرين، وانتظارٍ للموعود المنقذ المُخَلِّص، الذين يتمنون ظهوره، دواءً لما يشعرون به من إحباط وانحسار وتراجع.

وهكذا فالتاريخ - من وجهةِ نظرٍ يهودية - سلسلةٌ متعاقبة من الأحداث المقدَّرة المحتومة تتفاوت بين اقتراف إسرائيل للذنوب، ومخالفة للوصايا، ومن ثم عقاب الرَّبِّ لها على خذلانهم إياه، ثم التوبة والتكفير وأداء صلوات الخلاص (Hoshana) تكفيراً للمعاصي والعودة إلى طريق التوراة، وجزاء الرب لهم بالعفو والغفران واستعادة ما ذهب وولَّى من مجدٍ وعلوٍّ في الأرض[١].

وهم كما سنرى لم يجدوا على مر العصور والدهور مأمناً يلجؤون إليه إلا الأرض العربية المسلمة، التي آمنتهم من بعد خوف، ومكَّنتهم من دينهم من بعد ردةٍ ظاهرة، وأعادت إليهم اعتبارهم وسط حملات الاضطهاد والتعذيب والتنكيل.

القسم الثاني: ترجمة لفصل عن «الحركات الحديثة في اليهودية» وهو مجتزأ من كتاب «اليهودية - عرض تاريخي» لمؤلفه الربائي أيسدور ابشتاين، المتخصص في الدراسات التلمودية.

وهذا الفصل له أهميته وخطورته من حيث أنه يعرض لقراء العربية لأول مرة ما واجهته اليهوديةُ في العصر الحديث من تحديات الضياع والانصهار

---

(١) Jacob Neusner: The Way of Torah, p.46: Commting Sins, Devine Punishment, Atonement, Redemption, Restoration.

الديني والثقافي في الآخرين، حتى لم تعد تمثل بُنْية عقدية وفكرية موحدة (Monolithic Structure)، بل جمعاً متناثراً من المذاهب المتخالفة والمتعارضة[1].

أرجو أن أكون قد قدمت جهداً متواضعاً، يفيد المهتمين بدراسة اليهودية داعياً العليَّ القدير بالسداد والتوفيق.

والله من وراء القصد

---

(١) Jacop Neusner: The Way of the Torah, ch:9, pp:46-48.



القسم الأول
اليهودية عرض تاريخي



الفصل الأول

اليهودية كما يراها أهلها

شهد تاريخُ اليهودية تقلبات عنيفة ومرعبة تركت بصماتها على صفحاته تفاوتت بين حياةٍ بدائية بسيطة آمنة أساسها القرابة، والنزعات العشائرية ووحدة دينية - قومية لا تلبث أن تتحقق ليعود اليهودُ إلى حياة التشتت والضياع، والانتشار في أغلب أقطار العالم كشعبٍ بلا أرض (Aprepatitic Homeless Nation)[1]، ولا دولة، بل ولغة جامعة أحياناً وسواها من العناصر المشتركة، مما تحدد الهوية التاريخية لأي شعب. ومن التمسك بمبادىء أخلاقية كلاّنية سامية أساسها الشعور بالانتماء إلى جماعة لها خصوصيتها المتفردة، إلى الاستغراق في بحور الأساطير والخرافات، ومن علوٍّ في المنزلة ومشاركة في الحياة الإنسانية وإسهامات في صنع الثقافة إلى حياة الضعف والذلة والهوان والمعاناة المستمرة من الاضطهاد الديني والتصفية الجسدية الجماعية، والردة عن الدين تقية من خوف الفناء. ومع كل هذه التقلبات المرعبة، فقد ظل اليهود، أبناء إسرائيل، حزمة معنوية واحدة بفضل الانتماء إلى عقيدة دينية واحدة، ووعيٍ تاريخي جامع

---

(١) يقول نويسنر (المصدر نفسه، ص٣١): عاش اليهود على مرّ الأزمان كأقلية تستشعرُ كراهيةَ الآخرين لها.

ويقول نويسنر (المصدر نفسه، ص٣١): عاش اليهود حياة أقلية غالباً وسط أكثرية كانت تَستضيفُهم على مَضَض، وانظر:

Alan Unterama; Jews, Their Religions Beleifs and Practices. P:2.

(Historic Consiousness) وذكريات وطنٍ متنقّل (Portable Father Land)، وكتاب مقدس يسميه التوارة والتلمود، وقواعد شرعية جامعة وملزمة (Mitzvah). حفظت لهم بقاءهم ونشاطهم ووجودهم التاريخي.

* وفي العصور الحديثة شهدت اليهودية الصراع، الذي قام واشتد بين يهوديةٍ أرثذوكسية، ترى في العوائد والتقاليد والطقوس الدينية المتوارثة الدِّرْعَ الذي يحفظُ وحفظَ لليهودِ دينهم ووحدتهم، ويهوديةٍ عَلْمانية إصلاحية، نادت بالانصهار في ثقافات العصر، وتجاوز أكثر الطقوس الدينية، التي من شأنها أن تميز اليهود عن الوسط الذي يعيشون فيه. ومع ذلك فإن أهم ما مَيَّزَ ويميزُ التاريخَ اليهودي قدرته على التكيف (Adabtability) والاستمرار في البقاء (Continuity)، وخلال أربعة آلاف سنة من المواجهة الحضارية مع البابليين والمصريين القدماء والرومان الوثنيين ثم الثقافةِ الإسلامية ومِنْ بعد مع الحضارةِ الغربية المسيحية، والثقافات العلمانية المعاصرة استطاعوا هضم وتَمَثُّلَ العناصر الأجنبية عن دينهم، وتقاليدهم وتحويلها إلى عناصر من حياتهم الدينية، والاجتماعية، بخصائصها المتفردة، مما هَيَّأ تقاليد عنصرية وثقافية متوارثة ومتواصلة بلا انقطاع.

* تُمَثِّلُ اليهودية (Judaism) في نظر المؤمنين بها عقيدةَ التوحيد الخالصة، في أدق دلالاتها[1]. وهي ليست عقيدة نظرية فحسب

---

(١) يقول Dan Cohn Sherbok: إن التوحيد يمثل العقيدة المركزية في اليهودية المأثورة، انظر كتابه: The Jewish Faith (SPCK);1993; p30، وأيضاً: نويسنر؛ المصدر نفسه، ص٣٥. وعلى هذا إجماعُ رأي مؤرِّخيهم: انظر: اونترمان - المصدر نفسه، ص٩. بل ثَمَّةَ اتجاهٌ صار يَقْوى ويشتد بين أتباع الكنائس البروتستانتية المعاصرة لربط المسيحية نبوةً، وعباداتٍ، وتقاليدَ جملة =

(Intellectul Creed)، بل هي إلى جانب ذلك مجموعة من القواعد العملية، التي تتجسد في الممارسة والفكر والسلوك (Mitzvot)، إنها العقيدةُ التي دعا إليها وبَشَّرَ بها سيدنا إبراهيم عليه السلام، وتَجلَّتْ ابتداء فـي عهـد الختـان، الـذي قطعـه إبـراهيـم مـع رَبِّـه (Convenant of Circumcision).

* واستمر اليهود عبر التاريخ يلتزمون به، وفاءً للعهد وإعلاناً لدينهم. كذلك فإن اليهودية تُعَدُّ، في نظر معتنقيها، الأصل والمصدر، لأكبر ديانتين تفرعتا عنها، وهما المسيحية والإسلام[1] فَهُمَا معاً، في زعمهم، وعلى

= وتفصيلاً باليهودية وأن السيد المسيح كان يهودياً، عقيدةً وممارسةً مما اصطلحوا عليـه بـ«يهـوديـة المسيـح والمسيحيـة Jesus was a jew - Jewishness of Christianity».

انظر السلسلة الموسومة بـ Shared Ground Among Jews and Christians, A Seris of Exploration الصادرة عن American Interfaith Institute جمع وتحقيق James H. Charlsworth. وأيضاً: الدراسة التحليلية المعمقة التي بلغت الذروة في التدقيق والتحقيق التاريخي لـ

1- Irving M. Zeitlin: Jesus and the Judaism of his Time: Polity Press, 1988.

وأيضاً:

2- Geza Verms: Jesus the Jew, New York, Macmillan, 1973.

(١) إذا كان هذا التفسير الوضعي للدين صادقاً فالأَوْلى - بحكم المنطق الوضعي نفسه - أن تُفَسَّرَ نشأةُ اليهودية أيضاً تفسيراً وضعياً لا صِلَة له بالوحي والاختيار الإلهي. ولكن علماء اليهوديات، ومن بعدهم نصارى المستشرقين يأخذون من منـاهـج البحـث مـا يـروق لهـم، فيثبتـون المصـدر الإلهـي للـديـانتيـن اليهـوديـة والمسيحية، ثم ينكرون ذلك على الإسلام، وهكذا ساقهم التعصبُ الأعمى واللاموضوعية إلى إثبات الأمر الواحد ونقيضه معاً، مما ينكره العقل السليم =

تفاوتٍ بينهما، قد تَمثّلتا أصولَ العقيدةِ اليهودية في صورة معدّلة.

ومن ثم فاليهودية تعتبرهما أختين شقيقتين لها فلا تعتبر المسيحية والإسلام، دياناتِ شِرْك (Idolatrious)، أو عقائد كاذبة لا أصلَ لها، وإنْ هي أنكرت شرعيتها لاعتقاد المؤمنين بها، بأن شريعة موسى، عليه السلام، لا تُنسَخ فلا شريعة قبلها أو بعدها.

* واليهودية في عقيدة المؤمنين بها، تقوم على جملة أصول: هي:

أ- عقيدة توحيد الله (The Unity of God)، ومن ثم فهي ترفض وتنكر كل صور الشرك (Idolatry)، والوثنية (Polytheism)[1].

ب- عقيدة الاختيار الإلهي لبني إسرائيل[2] (The Devine Choice of

---

= بداهة. ولو أنصفوا للعلم والحقيقة لأخذوا أنفسهم بالمنهجِ القرآني في إثباتِ وحدةِ المصدر الإلهي للأديان المنزلة، وأن الاختلاف بينها وبين الإسلام، إنما مَرَدُّه التحريف والإضافات، التي تصدر عن زيغ في القلوب واتّباعٍ للهوى وصُدودٍ عن الحق، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة] أي شاهداً بصحة الكتب المنزلة، ومقرراً لما فيها مما لم ينسخ، وناسخاً لما خالفه منها، ورقيباً عليها وحافظاً.

(١) دليلُ الوحدانية المطلقة أقرته التوراة في مواضع عديدة، مثلاً: سفر التثنية: ٦/ ٤-٩: «اسمعوا يا بني إسرائيل: الربُّ إلهنا ربٌّ واحد فأحبوا البر إلهكم بكل قلوبكم وكل نفوسكم وكل قدرتكم. وكذا سفر إشعيا، «أنا الرب ولا آخر، وسوايَ لا يوجد إله». ٤٥/ ٥. وراجع: توينر، المصدر نفسه، ص٧٢. وانترمان، المصدر نفسه، ص١٩ وما بعدها.

(٢) سفر التثنية، ١٤/ ٢ حيث نقرأ «لأنك شعبٌ مقدَّسٌ للرب إلهك وقد اصطفاك الربُّ لتكون له شعباً خاصاً على جميع الشعوب التي على وجه الأرض، وكذا ٧/ ٦-٧؛ وسفر الخروج: ١٩/ ٥، «والآن إنْ سمعتم كلامي، وحفظتم عهدي فإنكم تكونون شعبي الخاص بين جميع الشعوب، فالأرض كلها لي، وأنتم =

.(Israel

جـ- عقيدة توريث الأرض المقدسة لسيدنا إبراهيم: التي تؤكدها التوراة في مواضع عديدة، ففي سفر التكوين: ١٢/٧؛ ١٣/١٥؛ ١٥/١٨، يقول الله تعالى لإبراهيم: «لنسلكَ أُهدي هذه الأرضَ، من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات». ومن بعده ليعقوب - ع - سفر التكوين ٢٨/٤: «لكَ ولنسلك من بعدك، لترث أرض غربتك التي وهبها اللهُ لإبراهيم». ومن بعد يعقوب لموسى، سفر العدد؛ ١٣/١: «وكلم الرب موسى فقال: ترسل رجالاً يتجسسون أرضَ كنعان التي أعطيتُها لبني إسرائيل».

د- عقيدة المخلّص المنتظر: Messianic Hope:

* وهذه ظاهرة اخْتُصَّتْ بها العقليةُ اليهودية، ورسخت في أذهان بني إسرائيل منذ القدم، وهي انتظارُ قدومِ المخلص المنقذ الموعود، ليعيدَ إلى إسرائيل مجدَها الغابر وينقذها من الظلم والظلمات، ومن هنا الصلاةُ الدائمة انتظاراً لمجيئه (Hoshana)، كما سنفصل الحديث عنه في الفصل الخاص بالفرق والمذاهب اليهودية.

* وترى أن هذا العالم خير، وأن الإنسان قادرٌ على تحقيق كماله وخلاصه بحريته واختياره. ذلك أن الله تعالى؛ قد خلق الإنسانَ على صورته، ومن ثم فالإنسانُ كسائر أفعاله تعالى، من أصلٍ كريم، ووليد فِعْلٍ إلهي كريم، ولذا فإن البشر إخوة لا تمايز بينهم. ووحدة الأصل والمصدر تقتضي وحدة المآل والمصير، ومن ثم فإن الرسالة اليهودية العالمية (The Mission of Israel)، وهي نشر السلام بين بني الإنسان (To spread Peace throughout the World)، وهذا المقصد الأسنى والهدف النهائي

= تكونون لي مملكة كهنة».

للرسالة الموسوية يمكن تحقيقه من خلال الالتزام بعقيدة التوحيد والامتثال للقواعد الأخلاقية المُتضَمّنة في الوصايا العشر (Decalogue).

* ومن هنا فإن اليهودية تؤكد على الممارسة والالتزام بهذه القواعد الأخلاقيةِ أكثر من تأكيدها على الإيمان المجرد، مع عدم تجاوز الأخير وإسقاطه من الاعتبار. وكما أن الملحد قد لا يعد يهودياً وإن التزم بقواعد الشريعة الموسوية، فإنَّ مَنْ يلتزم بهذه القواعد من غير إيمانٍ راسخ بالعقيدة النظرية التي أساسها التوحيد لا يعتبر يهودياً أيضاً.

* ويعتقد اليهود بأن هذا الالتزام الصارم المتشدد بالوصايا العشر هو ما جعل اليهودية، رغم الإقرار بعالمية الرسالة اليهودية وجواز دخول الغير فيها (نظرياً) ديانة القلة المنتخبة A Religion of Minority. فرسالتها في الحياة هي الحفاظُ على سلامةِ وطُهْرِ عقيدة التوحيد من خلال القلة المؤمنة والمؤتمنة على جوهر رسالتها The Reminant فهي عقيدة القلة المثالية A Minority of Idealists التي سلكت طريق التضحيات من أجل الحفاظ على العقيدة، لأن القلة هي التي تقود وتؤثر في الكثرة، وكُلُّ المبادىء حملتها ابتداءً قِلةٌ منتخبة مؤمنة بها، وكلما شاعت هذه المبادىء في أوساط الكثرة أصابها الشذوذ والانحراف وظهرت الحاجة من جديد إلى قلة تعيد إلى المبادىء صفاءها.

ورغم التنوع والاختلاف في الفهم والتفسير، فإن اليهود ظلوا على الدوام مؤمنين بأنهم: حَمَلَةُ رسالة السلام، وأن التاريخ الإنساني تطور في درجات متصاعدة وتقدمية لتحقيق هذا الهدف برعايةٍ من اليهود، فهم بهذا الاعتبار، تجسيدٌ لفكرة المنقذ الإلهي والمخلص. ومن هنا حَصْرُ العقيدة اليهودية في بني إسرائيل وحدهم؛ وتطابقُ العقيدةِ مع القومية Judaism is the Religion of a Particular ethnic community وأن اليهود لا يمكن

لهم البقاء من غير دولة قومية تضم شتاتهم. وثابتٌ تاريخياً أن هذا الاقتران بين الدين والقومية[1] يشتدُّ عادة ويبرز عند انهيار السلطان السياسي لليهود وتشتتهم باعتبار أن هذا الترابط بين العقيدة والشعور هو الملجأ والملاذُ من

---

(١) W.O.E Oesterley and G.H. Robinson: Religion and Worship of the Synagogue. 1911. p:3.

حيث يؤكدان «أن إسرائيل لم تتنكر قط، ولم تُسْقِطُ من الاعتبار أصولها العرقية (Racial Basis)، والحركة الصهيونية بزعامة هرتزل، هي التي تطورت إلى نزعةٍ قومية صرفة، منفصلةٍ ومتميزة عن الدين - بل إن من مُؤَرِّخةِ اليهودية مَنْ ربطَ كل النكباتِ التاريخية الكبرى التي نزلت باليهود بالنزعات القومية التي تتنكر للدين، مثل الأسر البابلي عام ٥٨٦ ق.م. وانهيار الثورة المكابية عام ١٦٥ ق.م، وتدمير طيطس للهيكل عام ٧٠م. ففي كل هذه الحالات جاءت النكبة بسبب النزعة القومية وما كانت تسبب من شقاق داخل اليهودية». انظر: دائرة المعارف اليهودية - ص٦٠٨٠. وقارن الدكتور طيب تيزيني: من يهوه إلى الله، ١/٢، ص٢٢٢ الطبعة الأولى ١٩٨٥-٨٦، دار دمشق، بيروت.

ومن هنا كانت الديانة اليهودية قومية أيضاً، كما كانت القومية اليهودية ديناً. فلا فرق عند اليهودي بين دينه وقوميته، ولا معنى لأحدهما دون الآخر، لأن هذان المقوّمان يكوّنان شخصيته الدينية والدنيوية، ومُخطىءٌ مَنْ يقول: اليهودية دين والصهيونية أرض، ولا خلط بينهما». انظر: الدكتور جورجي كنعان: «وثيقة الصهيونية في العهد القديم» دار النهار للنشر، ط٢، عام ١٩٨٢، ص١٥٣.

وقد أكد العديد من المؤرخين اليهود المحدثين والمعاصرين هذه الصلة بين الدين والعرق، يقول دان كوهين شيربوك (المصدر السابق، ص١): إن الهوية اليهودية ترتكز في النهاية على النسب أكثر منه على الاعتقاد الديني. ويؤكد اونترمان (المصدر نفسه، ص٢) هذا القول فيقول: إن اليهودية دين جماعة إثنية مخصوصة Jewish Identity is ultimately based on dencent rather than Religious convietion. Judaism is the Religion of a particular ethnic community، وسنُفصِّلُ الحديث عن المقومات التي تحدد الهوية اليهودية فيما بعد.

مخاطر الزوال والانصهار. ثم هو يضعف ويتراجع مع وجود السلطة المركزية، مما يفسح المجالَ لظهور التعارض والتضاد بين الطرفين، كما سنرى في العرض الموجز لتاريخ اليهود، حيث تتحالف القوى الدينية المتشددة مع الزعماء القوميين بوجه الخطر الخارجي وتحدياته، ثم ينفصم عُرى هذا التحالف ويتبعثر في غياب القوى الأجنبية وزوال مخاطرها.

* وفي كل الظروف والأحوال فإن الجامع الذي حفظ لليهود المبعثرين في أرجاء المعمورة وجودَهم وأكَّدَ وحدتهم هو انتماؤهم لعقيدتهم ولغتهم العبرية القومية، ومن ثم فلن يتصور أنْ يُغَيِّرَ اليهوديُّ ديانته من غير أن يمتد ذلك إلى انسلاخٍ عن انتمائه القومي، فالدين والقومية - عند اليهود - صنوان لا يمكن الفصل بينهما بحال من الأحوال.

* وثمة ظاهرة تَعْنِينَا هنا في تاريخ اليهودية عموماً هي: ظاهرة التمحور حول العقيدة والتشدد في الالتزام بنصوصها وأوامرها في ظروف المواجهة الفكرية مع دوائر الفكر المتعارضة مع اليهودية. فالنزعات الوثنية إنما ظهرت في القديم، والنزعات العَلْمانية الغالية داخل اليهودية إنما برزت في العصر الحديث، عَشيَّةَ المواجهة الفكرية الحاسمة مع الآخرين والتي تفرز عادة: إما **اتجاهات إصلاحية** مسرفة ومنفتحة على الغير تدعو إلى الامتزاج بالآخرين من الأغيار، والانصهار في حضارة العصر القائمة ومستجداتها، أو **اتجاهات محافظة** ترفضُ الانسياقَ وراء المُستجدّات الحاصلة وتأبى الانسلاخ أو الانصهار في بَوْتقةِ الآخرين.

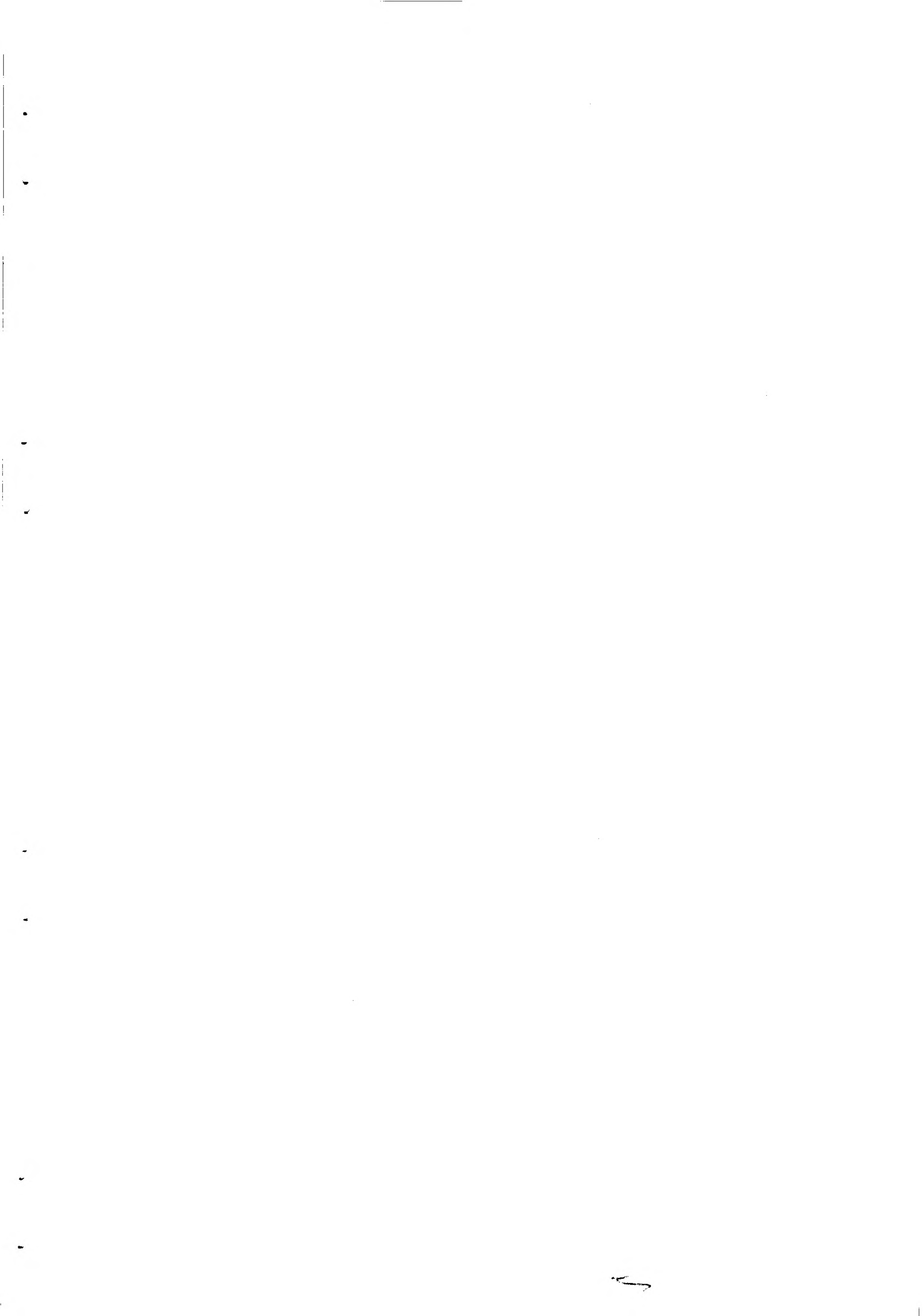
* وهكذا ومع كل مواجهة حضارية حادة تظهر الانشقاقات الفكرية والعَقَدية، وتبقى الغَلَبة في الغاية والنهاية للمتشددين الأرثذوكس المشدودين إلى الأبنية الأساسية الدينية كما حَدَّدَ معالمها الربَّائيون.

* ويلاحظ على الفكر الديني اليهودي في العصور الوسطى تأثره الواضح بالاتجاهات العامة للفكر الديني في الإسلام بخاصة في الأندلس العربية وذلك بسببِ أجواء التسامحِ الديني الفائق الذي وجد اليهودُ أنفسَهم فيها.

وهكذا ظهرت في الفكر الديني اليهودي نزعة كلامية واضحة مقتبسة في مناهجها ومفردات موضوعاتها من علم الكلام الإسلامي بخاصة تعاليم المعتزلة ومحاولاتهم الجمع والتوفيق بين العقائد الإسلامية ومعطيات الفكر الفلسفي اليوناني.

كذلك ظهر في الفكر الديني عند اليهود تيار صوفي واضح وراسخ تأثر أتباعهُ بالتصوف الإسلامي والتجربة الروحية كما هو بَيِّنٌ في حركة (القبالا) الصوفية التي بلغت أوج عظمتها في القرن الرابع عشر الميلادي.

* ومثلما تأثرت اليهودية بالفكر الديني عند المسلمين، فإنها كانت المصدرَ والمنبعَ للعديد من الآراء والأفكار المنحرفة الشاذة التي تسربت منها إلى أبنية الفكر الإسلامي، وهي الآراءُ والأفكار التي تمثّلتها ودَعَتْ إليها فِرقُ الغُلاةِ والزنادقة كالقولِ بالتشبيه والمحايثة والتجسيم، وعقيدة التناسخ والرجعة والبداء والمهدوية، التي فَصَّلَ كُتَّابُ الفرق والملل والديانات من أمثال الأشعري والبغدادي والشهرستاني وابن حزم وغيرهم، القولَ فيها، مما سنشير إليها في سياقات وثنايا هذا الكتاب.



الفصل الثاني

موجز تاريخ بني إسرائيل

من المصطلح عليه عند الباحثين لليهودية؛ من وجهة النظر اليهودية: ربطها بسيدنا إبراهيم بن تارح عليه السلام، عقيدة وديناً، ونسباً وصهراً باعتباره الجدّ الأعلى والتأريخي لها.

أما لفظة (العبرانيون)، فالشائع في تفسيرها أنها مشتقة من الفعل (عابار) الذي يعني الطرف الآخر؛ دلالةً على مجيء إبراهيم عليه السلام من الطرف الآخر لنهر الفرات، ومن العلماء مَنْ يرى أنها مشتقة من (هبيرو) أو (خبيرو) وهو اسمٌ للقبائل السامية البدوية المتنقلة التي ظهرت - بادىء ذي بدء - في غربي آسيا في الفترة ما بين ٢٠٠٠ - ١٢٠٠ ق.م. وقد عرف بهذا الاسم سيدنا إبراهيم وعائلته بعد نزوحهم إلى أرض كنعان (فلسطين) من حران[1].

---

(١) حاران التوراتية أو فدّان آرام، مدينة لا تزال باسمها القديم وتقع في الشمال الشرقي من بلاد ما بين النهرين في جوار الحدود السورية التركية، داخل حدود تركيا على منابع نهر البليخ، أحد روافد الفرات العليا، على بعد حوالي ٤٠ كم إلى الجنوب الشرقي من مدينة أورفة الحالية، فتحت في عهد الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، انظر سفر الملوك، ٢/١٢-١٩.

جاء في كتاب «المنية والأمل في شرح الملل والنحل» - باب ذكر الفرق الكفرية لمؤلفه المهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى المتوفى سنة ٨٤٠هـ: «واليهود سُمُّوا بذلك لانتسابهم إلى يهوذا بالذال المعجمة، وهو ابن يعقوب، =

وفي رأي وليم. ف. ألبرايت، أستاذ اللغات السامية بجامعة هارفرد الأمريكية أن كلمة (عبري) Hebrew تعني سائق الحمار (Donkey Driver) إشارة إلى الغبار؛ بزعم أن هذه القبائل الراحلة كانت تثير الغبار أثناء انتقالها وسيرها على الطرق الترابية[١].

أما اليهودية فنسبة إلى الإله (Yhwa - الرب)، وهو اسمُ الإله القومي لإسرائيل، إله الآباء الأُول إبراهيم وبنوه، الذي عقد معه إبراهيم أولاً وبنوه من بعده الميثاقَ (Convenant) ثم عرف بهذا الاسم أحد الأسباط الاثني عشر[٢]، التي تكوِّنُ شعبَ إسرائيل، وهم أحفادُ يهوذا أحد أبناء يعقوب من زوجته (ليئة) والذين سكنوا المنطقة المحيطة بأورشليم (القدس) وسميت - من بعد - مملكة يهوذا باسمه، والعبرانيون عند المؤرخين هم الجماعة الرابعة من الساميين[٣]، الذين نزحوا أصلاً - كما تقول النظرية الشائعة في

= لكن قلبت الذال دالاً في العربية. وقيل لقولهم: «إنا هُدْنا إليكَ، أي: اتَّبعنا هُدَاك». ص٨٤، دار الندى، ط٢، بيروت، ١٤١١، ١٩٩٠، بتحقيق الدكتور محمد جواد مشكور.

(١) William F. Albright: The Biblical period from abrahms to Ezra. (Haper and Row. N.Y 963) p:5.

(٢) الأسباط الاثني عشر، أبناء يعقوب من زوجتيه (ليئه - Leah) وأبناؤها هم - رأوبين، وشمعون، وليفي، ويساكر، وزيبولين، ودان، ونفتالي، وجاد، وآشير، وزوجته الثانية (راشيل، راحيل) وابنيها: يوسف، وبنيامين. انظر التوراة: سفر التكوين ٢٩؛ وراجع القرآن الكريم: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا ﴿١٦٠﴾﴾ [الأعراف].

(٣) يرى الدكتور أحمد سوسة (مفصل العرب واليهود في التاريخ، ص٣٤٥-٣٤٦) وآخرون، أن هذا التقسيم التاريخي اختلاق محض افتراه كهنةُ اليهود أثناء الأسر البابلي، وأُريدَ به الربط بين إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) والدين اليهودي، إذ المعروف أن مصطلح عبراني (عبيرو) في الكتابات المسمارية والفرعونية القديمة يعني: ابن الصحراء وابن البادية. ولم يكن آنئذٍ ثمة وجود للإسرائيليين واليهود. =

تعيين المهد الأول للأقوام السامية -من بوادي الجزيرة العربية، والمفروض

= ومن ثم فهو يرى وجود التفرقة بين عصور ثلاثة في تاريخ اليهود لا تواصل بينها عقدياً وقومياً، هي:

الأول: العصر الإسرائيلي: وهو عصر إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وترجع حوادثه إلى القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد. وهو عصر مستقل بذاته، ليس له صلةٌ بدور النبي موسى أو اليهود أو التوراة. ولغةُ هذا العصر هي اللغة السامية القديمة العربية الأم، والديانة هي وحدانية إبراهيم الخليل - الحنيفية السمحاء. ويشيرُ القرآنُ إلى هذه الفترة ويطلق اسم سيدنا إبراهيم الحنيف (عليه الصلاة والسلام) للدلالة عليها.

الثاني: العصر الموسوي: وهو عصر حملة النبي موسى المصرية على فلسطين. وتقع حوادثها في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، أي بعد حوالي سبعة قرون من الدور الأول، ولا صِلَة لهذا الدور بعصر إبراهيم الخليل ويعقوب، ويسمى هذا العصر بالموسوي، ولغة العصر هي المصرية القديمة في البدء، ثم تَلَتها الكنعانية التي اقتبسها الموسويون من جيرانهم. أما الديانة: فوحدانية إخناتون أولاً ثم الانحراف نحو الوثنية. ويطلق القرآن على هذه الفترة ويقرنها باسم موسى عليه السلام وقومه.

الثالث: العصر اليهودي: وهو عصر اليهود، كَتَبةِ التوراةِ الحالية. وتقع حوادثه في القرن السادس قبل الميلاد، أي بعد النبي موسى بثمانية قرون، وبعد عصر إبراهيم بثلاثمائة وألف عام، حيث عكف كتبةُ اليهود على تدوينِ التوراة واستخلاص الشرائع المفصلة للحياة منها، وجمعها في الموسوعة الفقهية المعروفة بالتلمود، ويسمي القرآن الكريم هذه الفترة ويقرنها باسم اليهود، بإطلاق. (قارن: طيب تيزيني: من يهوه إلى الله، ٣/١، ص٩٠ وما بعدها، ففيه دراسة مقارنة جادة.

وهذه نظرة لا تنسجم، بل وتعارض ما أكده القرآن الكريم، ومن ثم فلا يمكن قبولها - فالخطاب القرآني لا يُفَرِّقُ بين هذه التسميات الثلاث، بل ويُسَوِّي بينها. قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم

أن مجيئهم إلى الجزء الخاص بهم من بلاد كنعان قد تَمَّ في ثلاث هجرات مفترضة وغير معروفة بوجه التأكيد، وإنما هي مستنتجة بالدرجة الأولى من المآثر العبرية كما وردت في التوراة.

نستنتج من هذه المآثر أن أقدم هذه الهجرات كانت من بوادي ما بين النهرين الشمالية، والمرجَّح أن هذه الهجرة قد حدثت في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وتُقرنُ الهجرةُ الثانية في زمنها مع هجرة الآراميين في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، أما الهجرة الثالثة فكانت خروجهم من مصر، ومن النواحي الجنوبية الشرقية لشبه جزيرة سيناء، بقيادة موسى وهارون ويوشع (عليهم السلام)، كما جاء أخبار ذلك في التوراة. والمرجح أن زمن الخروج هذا يرجع إلى أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وهذه الهجرة الثالثة، هي التي تعرف بـ(الخروج Exodus).

أما عهد الهجرة الأولى: فهو بحسب مآثر التوراة وقصصها، زمن الآباء الأول (Divinely Inspired Patriachs)، وأولهم إبراهيم (عليه الصلاة والسلام)، حيث جاء في **سفر التكوين**، أنه جاء من أور الكلدانيين مع عائلته وبزعامة أبيه (تارح) إلى (حران)، التي قضى تارح[1] نَحْبَهُ فيها بعد

= ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢﴾﴾ [الإسراء]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا ﴿٢٤٦﴾﴾ [البقرة].

(١) اسم أبي إبراهيم في القرآن آزر، قال تعالى: ﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ﴿٧٤﴾﴾ [الأنعام]. وقد ورد في روايات بعض المفسرين والمؤرخين أن اسم إبراهيم تارخ أو تارح، وأنه كان له اسمان: آزر وتارح (TERAH). انظر: تفسير ابن كثير، الجزء الثاني في تفسير الآية؛ وقارن فنسك: مادة آزر، دائرة المعارف الإسلامية. وبحسب المآثر التوراتية فإن تارح رحل عن أور مع أهله =

فترة إقامة قصيرة، فآلت زعامة الأسرة من بعده إلى أكبر أبنائه إبراهيم، تقول التوراة (سفر يوشع، ٢٤: ١-٥): «**هكذا قال الرب إله إسرائيل، آباؤكم سكنوا عبر النهر منذ الدهر تارح أبو إبراهيم وأبونا حور - عبدوا آلهةً أخرى** (إشارة إلى أنهم كانوا على دينِ الوثنية - Polytheism) **فأخذتُ أباكم إبراهيم من عبر النهر وسرتُ به في كل أرض كنعان، فأكثرتُ نسله وأعطيته إسحاق، وأعطيت إسحاق يعقوب، وعيسو، وأعطيت عيسو جبل سعير ليملكه**».

وأما يعقوب (إسرائيل)[١] وبنوه فنزلوا إلى مصر. وهكذا وخلافاً لأبيه الذي آمن بدينِ قومهِ المتمثّل في عبادةِ الظواهرِ الطبيعية وخاصة الشمس والقمر، فإن إبراهيم بفطرته السليمة (Inner illumination) أو بهدي من عقله المتأمل في عالم الخلق (Speculative Reason) في ملكوت السموات والأرض، نبذَ الوثنيةَ وآمن بإلهٍ واحدٍ لا شريكَ له ولا مثيل[٢].

= وعشيرته الأقربين عقب الهجوم العيلامي الكاسح والمدمر على هذه المدينة السومرية عام ١٩٦٠ ق.م. حيث سُوِّيت المدينةُ أرضاً، وقُتِلَ أهلها حرقاً. وقد كشف الآثاري المعروف نيبور Nippur عام ١٩٠٠م مظاهر الحزن الجماعي في خرائب المدينة.

(١) إسرائيل معناه: الذي صارع الله (he who strives with God)، انظر: التوراة: سفر التكوين ٣٢/ ٢٩.

(٢) انظر القرآن الكريم: الأنعام ٧٤-٧٩، الشعراء ٦٨-٨٢، وراجع:

Isidor Epstein: Judaism, Penguin Books. 1980; PP:12-14.

Jacob Neusner: The way of Torah, 3ed, ed, (Wadsworth Publication Company, Belmont, California, 1979) P:8.

Leo Trepp: Judaism, Development and Life, 3ed, ed (Wadsworth Publication Company, Belmont. California, 1979) P:15.

ومن حران انتقل إبراهيم إلى أرض كنعان ليستقر به المقام في أرض شكيم (بلاط الحالية، على بعد سبع وعشرين ميلاً إلى الشمال من أورشليم - القدس) وبعد فترةِ تَجوالٍ قصيرة بأرض مصر التي رحل إليها بسبب مجاعةٍ حَلَّتْ بكنعان عاد فاستقر في حبرون (مدينة الخليل الحالية)، حيث عقد مع الرب العهد والميثاق، تقول التوراة (سفر التكوين، ١٧): «**لما كان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة، ظهر الربُّ لإبراهيم، وقال له: أنا اللهُ القدير، سِرْ أمامي وكن كاملاً، فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً، فسقط إبرام على وجهه وتكلم الله معه قائلاً: أما أنا فهو ذا عهدي معك وتكون أباً لجمهور من الأمم، فلا يدعى اسمك بعد إبرام، بل يكون اسمك إبراهيم**». وتَضمَّنَ العهدُ - كما تقول التوراة:

أولاً: الاعتقاد بإله واحد قدير، اختار بني إسرائيل من بين الأمم لحمل رسالته، ومن هنا أسطورةُ شعبِ الله المختار[(١)].

ثانياً: الأخذ بِسُنَّةِ الخِتان (Circumcison) كعلامةٍ على الدخول في العهد والميثاق. تقول التوراة (سفر التكوين: ١١-١٧): يختن منكم كل ذكر، فتختنون في لحم غرلتكم فيكون علامة عهدٍ بيني وبينكم. ابن ثمانية أيام فيختن منكم كل ذكر. وكان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن

---

(١) القسم الأول من هذا العهد، أعني الإقرار بالوحدانية الخالصة، قد أكَّدها القرآنُ الكريم، وأفاض في بيانها، وأنها عقيدة إبراهيم الخليل، النبي الصدِّيق، والتي من أجلها صار - كما جاء في القرآن الكريم إماماً للمؤمنين كافة، حيث قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴿١٢٤﴾ ﴾ [البقرة] وبهذا الاعتقادِ بألوهيةٍ مُنَزَّهةٍ عن كل معاني الشرك والوثنية، صارت الحنيفيةُ الإبراهيمية مرادفةً للإسلام في الدلالة والمضمون. قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [آل عمران] وقال تعالى: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج].

في لحم غرلته، وكان إسماعيل ابن ثلاثة عشر حين ختن في لحم غرلته.

ثالثاً: إعطاؤه وبنيه من بعده أرضَ فلسطين. فتقول التوراة: «وتراءى الربُّ لإبراهيمَ وقال: لنسلك أَهَبُ هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات» (سفر التكوين: ١٢، ٧ و١٥، ١٨). وتُكَرِّرُ التوراةُ الوعدَ ذاته ليعقوب: «لك ولنسلك من بعدك، لترث أرض غربتك التي وهبها الله لإبراهيم» (سفر التكوين: ٢٨: ٤ و١٣). ثم تكرر الوعد الإلهي المزعوم لموسى - ع - تقول التوراة: «وكلم الرب موسى قائلاً: ترسل رجالاً ليتجسسوا أرضَ كنعان التي أعطيتها لبني إسرائيل» (سفر الخروج: ١٣/١).

وولد لإبراهيم من خادمته المصرية هاجر أولاً ابنه إسماعيل، ومن زوجته الأولى سارة ثانياً ابنه إسحاق الذي فُضِّلَ على أخيه الأكبر إسماعيل، فتقول التوراة: (سفر التكوين: ١٧/ ٢١) «ولكن عهدي أُقيمه مع إسحاق، الذي تلده لك سارة»[1]. وجاء من يعقوب الأسباط الاثنتي

(١) جاء في سفر التكوين، ١٧-١٧: «وقال الله لإبراهيم ساراي امرأتك، لا تدعو اسمها ساراي، بل اسمها سارة، وأباركها وأعطيك منها ابناً، فسقط إبراهيمُ على وجهه وضحك، وقال في قلبه: هل يولد لابن مئة سنة؟ وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة»، وهكذا بحسب مآثر التوراة وأقره الإسلاميون، وتؤكده الشواهد التاريخية، سارة هي ابنةُ عم إبراهيم، وزوجته الأولى، وأم ولده إسحاق، وأن هاجر المصرية والدة إسماعيل وأخلافه من العرب. إلا أن مُؤَرِّخَةَ القرون الوسطى قد قلبوا الحقائق التاريخية فكان شأنهم فيما يتعلق بالإسلام ونبي الإسلام وقومه العرب وتاريخهم، كما يقول سوثرن:

R. W. Sothren: Westren Views of Islam in the Middle Ages, (Harverxd University) 1962, p:1.

شأنَ سجينٍ في زنزانة يسمع لَغَطاً من وراء الحواجز، وصار يُشكِّلُ في مخيلته =

عشرة. وكان يوسفُ الابن الحادي عشر ليعقوب، قد بِيْعَ في مصر ونال حظوةً في بلاط الفرعون، وبعد أن عاش أحفاد يوسف وأحفاد إخوته في مصر عدة أجيال - ويرى بعض المؤرخين أن ثمة علاقة عرقية كانت تربط الهكسوس حكام مصر بأبناء يعقوب الذين هاجروا إلى مصر والتحقوا بأخيهم يوسف، وبسبب هذه العلاقة نال يوسف وعشيرته الحظوةَ من حكام الهكسوس، فلما تَمَّ طردُ الهكسوس، فإن الفرعون المصري أحمس (١٥٨٠ق.م) فرض العبوديةَ المُطلقةَ على اليهود. ثم بسبب تمرد الولايات التابعة لفراعنة مصر في أطراف سورية قام من بعده ابنه أمينوفس الثاني بإنزال عقوباتٍ قاسية وجماعية ببقية اليهود - الذين رجعوا من بعد إلى فلسطين بقيادة النبي موسى، وذلك حوالي سنة ١٤٨٠ق.م، وهذه هي بداية الهجرة الثالثة التي نعرفُ عن أحداثها أشياء كثيرة، تُمكِّننا من اعتبارها التاريخَ الحقيقيَّ لقوم موسى. (التكوين: الأسفار ٢٦-٥٠).

ومن المرجح، أن الضغط اشتد على العبرانيين في عهد رعمسيس الثاني (١٢٩٩- ١٢٧٢ ق.م) وهو الفرعون، الذي لم يعرف يوسف (سفر الخروج: ١٠، ٨) «ثم قام ملك جديد على مصر، لم يعرف يوسف»، فاضطرت القبائل إلى الهجرة عن مصر، وبعد تجوالٍ دام سنين طويلة في

= صورةً عن الأحداث بحسب تصورات مسبقة ثابتة في ذهنه، وهكذا انتهى مفسرو العهدين القديم والجديد إلى القول بأن إسحاق كان مثالاً للحضارة ورمزاً بَشَّرَ بظهورِ السيد المسيح، وأن إسماعيل بن إبراهيم من هاجر، كان مثالاً لبداوة وأخلاقيات الصحراء وهكذا أيضاً كان أبناؤه من العرب من بعده. ويُعَدُّ (DEDE) أول مَنْ أدخل هذه التفسيرات المناقضة للشواهد التاريخية على نصوص العهدين وصار من بعده تقليداً اتبعه علماء النصرانيات القروسطيون، ومن هنا فالسرانس (العرب) إنما سموا بهذا الاسم، إما لأنهم ذرية سارة Sarra Geniti، أو أنهم من أصل سوري منتحل Quasi Syrigenue.

طور سيناء والجهات القريبة منه، وهذا هو التيه المشهور (Wilderness) قادهم النبيُّ موسى[1] بعد أن تلقَّى الوحيَ والنبوة والعهد المأثور من الله في مدين في الجزء الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة سينا - صوب أرض كنعان، ويبدو من المآثر اليهودية أن موسى (عليه الصلاة والسلام) جمع في شخصه خصائصَ القائدِ المنقذ، والمُشَرِّع الديني، والزعامة الدنيوية والدينية، أو بعبارة أخرى فهو المؤسسُ المُنْشِيءُ لجملة المؤسسات، التي شَكَّلَتْ الحياة العامة لليهود من بعده.

وبينما موسى يرعى غنمه، قرب جبل حوريب (جبل موسى) إذا بصوت السماء يناديه من شجرةٍ مشتعلة، أنْ عُدْ إلى إخوتك في مصر لتخرجهم منها وتنقذهم من عَنَتِ فرعونها، فتقول التوراة (سفر الخروج ٢ : ٣): «وظهر له ملاكُ الرب بلهب نار من وسط عليقة، فنظر فإذا العليقة تَتوقَّدُ بالنار والعليقة لم تحترق.. فلما رآه الرب أنه مال لينظر، ناداه الله من

---

(١) ذكر المؤرخون عدة تواريخ لخروج بني إسرائيل من مصر، تتراوح بين: ١٥٨٤، ١٤٤٨، ١١٤٤ قبل الميلاد. انظر: أبشتاين (اليهودية - عرض تاريخي)، ص١٦-١٩. ودام التيه أربعين سنة، تقول التوراة «أربعين سنة علتهم في البرية، فلم يمسهم عوز، وثيابهم لم تَخْلَقْ، وأرجلهم لم تتورَّم» (سفر نحميا ٩/ ٢١) وأشار القرآن إلى التيه في قوله تعالى: ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴿٢٦﴾﴾ [المائدة].

يقول سيجموند فرويد: «إن موسى الرجل الذي كان للشعب اليهودي محرراً، والذي وهب هذا الشعب شرائعه وديانته، يتمي إلى عصر موغل في القِدم يبيح لنا أن نتساءل على الفور، أم إذا كان ينبغي فعلاً أن نعده شخصية تاريخية أنه لا يعدو أن يكون شخصاً خرافياً.. ونحنُ لا نملكُ عنه من معلومات سوى تلك التي تقدمها الكتب المقدسة والموروثات اليهودية المكتوبة «موسى والتوحيد» ص١١، ترجمة جورج طرابشي، دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٩٣. وهذه نظرية إلحادية ينقضها القرآن الكريم مراراً.

وسط العليقة، وقال: موسى موسى، فقال: ها أنذا، فقال: لا تقترب إلى ها هنا إخلع حذاءك عن رجليك، لأن الموضع الذي أنتَ واقفٌ عليه أرض مقدسة، ثم قال: أنا إله أبيك إبراهيم، وإله إسحاق وإله يعقوب، فقال موسى لله: فإذا قالوا لي ما اسمه، فماذا أقول لهم؟ فقال الله لموسى: «أهيه الذي أهيه» (أنا من أنا) يهوه (إنني أنا الله)[1]. Ehye Asher Ehye، هكذا تقول لبني إسرائيل أهيه أرسلني إليكم، وقال الله لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه إله آبائكم، إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلني إليكم، هذا اسمي إلى الأبد». وأنزل على موسى الألواح، أي الوصايا العشر (The ten Commandements - Decalogue - Aseret Hadbrot)[2].

وفيها [سفر الخروج: ٢٠: ١-١٦، سفر التثنية: ٥: ١٦-١٨ (مع اختلاف في الألفاظ والكلمات]:

أ- أنا الرب إلهك، الذي أخرجك من مصر من بيت العبودية.

ب- لا يكنْ لكَ آلهة أخرى أمامي. لا تصنع تمثالاً منحوتاً ولا صورة، ولا تسجد لهن لا تعبدهن واصنع إحساناً إلى ألوف من مُحِبّي وحافظي وصاياي.

جـ- لا تنطقْ باسم الرب إلهك باطلاً، لأن الرب لا يبرىء من نطق

---

(١) راجع القرآن الكريم: ﴿ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ ﴾ [طه]. وقوله تعالى: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [النمل] وقوله تعالى: ﴿ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [القصص].

(٢) راجع القرآن الكريم: قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [الأعراف] وقوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ﴿١٥٠﴾ ﴾ [الأعراف]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [الأعراف].

باسمه باطلاً.

د- اذكر يوم السبت لتقدسه، ستةَ أيامٍ تعملُ وتصنع جميع عملك، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك، لا تصنعْ عملاً ما أنتَ وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك، الذي داخل أبوابك. لأن في ستة أيام صنع الربُّ السماءَ والأرض والبحر وكلّ ما فيها واستراحَ في اليوم السابع، لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه.

هـ- أَكرمْ أباكَ وأمك ليطولَ عمرك.

و- لا تقتل.

ز- لا تزنِ.

ح- لا تسرق.

ط- لا تشهد على قريبك شهادة زور.

ي- لا تَشْتَهِ بيتَ قريبك، لا تشته امرأة قريبك، ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيء مما لقريبك[1].

---

(١) تُجْمِعُ المصادرُ العبرية على أن اسم موسى عبراني، مشتق من الفعل موشه، واختلف كثيراً في تفسير الاسم. فمنهم مَنْ يرده إلى جذر مشى الوارد في أكثر اللغات السامية، ومعناه غسل ونظف (مسى). إلا أن عدداً من المؤرخين، منهم يوسيفوس [٣٧-٩٣م] وفيلون الإسكندراني (٢٥ق.م - ٤م) وهما يهوديان يرون أن اسمه مصري، معناه في المصرية القديمة الطفل وأنَّ ابنةَ فرعون سَمَّته بهذا الاسم (ولما كبر الصبي جاءت الجارية به إلى ابنة فرعون فاتخذته ابناً وسمته موسى. قالت: لأني انتشلته من الماء) سفر الخروج: ٢/٩. وانظر أنيس فريحة: «أسماء المدن والقرى اللبنانية، وتفسير معانيها»، ص٣٠٩. وهو ما أكده الدكتور أحمد سوسة، وأضاف بأن موسى كان حاكماً وكاهناً مصرياً، وقائداً عظيماً في =

وتُصَوِّرُ روايات التوراة النبي موسى في صورة قائد عسكري، صنع أمةً من قبائل مبعثرة مضطهدة، وقَعَّدَ أصولَ شريعة دينية، وأنقذ أهله من ذل العبودية والمعاناة. وقد تكون الروايات جملة وتفصيلاً - كما يقول إبرام ليون زخار: محض اختلاق وأساطير إلا أنَّ فِعْلَها وتأثيرها على الوعي الجَمْعي التاريخي لليهود كان بكل تأكيد عميقاً ومستمراً في التاريخ حتى اليوم.

لا يُعْلَمُ عددُ الموسويين بالضبط حين الخروج من مصر ولعله لم يكن يتجاوز السبعة آلاف نفساً[1]، وقد تعرضوا في سيرهم لبعض القبائل

= الجيش المصري خلال الحملة المصرية على الحبشة. وتقول التوراة أن المرأة التي انتشلت موسى من السفط كانت ابنة فرعون (فنزلت ابنة فرعون إلى النهر لتغتسل، وكانت حواريها ماشيات جانب النهر. فرأت السفط فأرسلت أَمَتها وأخذته ولما فتحته رأت الولد. وإذا هو صبيٌّ يبكي. فرقَّتْ له، وقالت: هذا من أولاد العبرانيين) وذهب ابشتاين إلى أن المرأة التي انتشلته هي الأميرة: حتشابسوت شقيقة الفرعون طوطمس الثالث (١٤٨٥- ١٤٥٠ ق.م) وليست ابنته. (ابشتاين: المصدر السابق، ص١٥).

(١) تقول التوراة بأن الذين خرجوا من مصر بقيادة موسى (عليه السلام) (كان ستمائة ألف ماش من الرجال خلا الأطفال) - سفر الخروج: ٣٧/١٢ -. ويرى جَمْعٌ من الباحثين - أخذاً بروايات التوراة - أن غزو اليهود العبرانيين لكنعان قد اتخذ صورة عملية عسكرية اتسمت بالقتل والتدمير تحت موجات دينية - أخلاقية وبانضباط قتالي حربي قيادة وخضوعاً وتنفيذاً. في حين يرى آخرون أن الغزو المذكور لم يتم على النحو الذي تعرضه التوراة بصفته عمليةً دموية مما يضع حداً للمنهجية التوراتية المتبجحة بأعمال القتل والتدمير. الطيب تيزيني، المصدر نفسه، ٢/٩٩-١٠٠، وقارن: Trepp، المصدر نفسه، ص١٦. وتوفي موسى (عليه الصلاة والسلام) بأرض شرقي الأردن، ثم قاد يوشع بني إسرائيل عبر نهر الأردن قريباً من البحر الميت إلى أرض كنعان مروراً بأريحا (جيريكو) باتجاه =

والمدن، التي دمروها وأحرقوها وقتلوا أطفالها، كُلُّ ذلك - كما تقول التوراة - بأمرِ الإله يهوه، (سفر يوشع: ٦/ ٢٤. (وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها)، وقد أعان موسى في مهمة القيادة والتوجيه هارون، ثم يوشع، الذي قام بالناس بعد وفاة موسى وأحسنَ قيادةَ بني إسرائيل. ويحتفل اليهود عادة بذكرى الخروج من مصر في عيد معروف بعيد الفصح Passover ١٩ نيسان، يأكلون خلال الاحتفال به خبزاً فطيراً Unleavend Bread يسمونه بالعبرية (مأتزه) وأعشاباً مرّة ويمتنعون عن أكل كل خبز مطبوخ[1]، ويرمون به إلى ثلاثة أمور:

أولها: الفقر الذي كانت تعيشه الجماعات اليهودية في مصر.

وثانيهما: وليذكِّرَ اليهود بالسرعة التي كانت أجدادهم عليها ساعة هروبهم من مصر.

وثالثهما: الحياة البسيطة التي كانوا يَحْيَوْنَها في التِّيه.

ولم يكن دخول موسى بقومه إلى أرض فلسطين فجائياً وسريعاً ووليد غزوٍ عسكري، كما قد يُفْهَمُ من أسفار العهد القديم، بل اتَّخَذَ استيطانُ القوم صبغةَ تسربٍ تدريجي وبطيء، موجة بعد موجة A Slow Infitration Process، استغرقت فترة طويلة، ومتعاقبة مما نَجِدُ تفاصيلها في سفري يوشع والقضاة.

= الجزء الجنوبي الأوسط من فلسطين، انظر Trepp، المصدر نفسه، ص١٦.

(١) سفر العدد: ٩/ ١١ (في اليوم الرابع عشر من الشهر الثاني يصنعونه، وبفطير وأعشاب مرّة يأكلونه، لا يبقوا منه شيئاً إلى الصبح، وعظماً لا يكسر منه، بل يعملون بجميع فرائض الفصح). وقارن: نويسنر: المصدر نفسه، ص٦٠، واونترمان، المصدر نفسه، ص١٨٨، وسنفصل الكلام عن الفصح في موضعه.

وبعد تمكن الموسويين من الأجزاء التي احتلوها في فلسطين اختلطوا بسكان المنطقة بالتزاوج وتكاثروا، كما انضم إليهم أقرباؤهم الذين مكثوا في البلاد قبلهم، والمستفادُ من التوراة أنهم قسموا ما استولوا عليه من الأراضي بين إحدى عشرة قبيلة من قبائلهم الاثنتي عشرة المنسوبة إلى الأسباط، أما القبيلة الثانية عشرة، وهي قبيلة لاوي Levi فقد وزعت بين القبائل اليهودية الأخرى لتقوم لها بإدارةِ الشؤون الدينية بهيئة كَهَنة وأحبار ومعلمين.

وبعد هذه الوحدة القومية والدينية الهشة، التي يَسَّرَتْ للموسويين الدخولَ إلى أرض كنعان، مَرَّ اليهود بفترة عصيبة تَشَتَّتَتْ فيها الوحدة القومية وارتدت إسرائيل عن دين التوحيد مراراً Repeated Sycles of Apostacy، فمن الناحية السياسية، انحلت عقدة القبائل، وقد عبر سفر القضاة عن ذلك، فتقول التوراة: (سفر القضاة: ٦/١٧): «وفي تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل، كُلٌّ كان يعملُ ما يَحْسُنُ في عينيه» وأما من الناحية الدينية، فقد سرت إلى اليهودية الكثير من معتقدات الكنعانيين الوثنية، مثل: تقديم الأبناء قرابينَ للآلهة، وامتهان الفحش المقدس، حيث كانت العذارى ينذرن أنفسهن حالة بلوغهن للآلهة، وذلك بممارسة البغاء مع زُوَّارِ ذلك الإله ومريديه، وعادة البكاء على الإله تموز، والاحتفال بالأعياد الوثنية، مثل عيد الخصوبة، ونصبوا تماثيل لآلهة الخصب تبراثيم، بَلْ من اليهود مَن ارتدَّ بالكلية عن عبادةِ الإله الواحد يهوه وصار إلى عبادة عشتروت والإله بعل فغور Ball Peor Worship[1]، ومنهم مَنْ جمع في

(١) سفر العدد: ٢٥/١-١٥: «وأقام بنو إسرائيل في شطيم وأخذوا يزنون مع بنات موآب فدعونهم إلى ذبائح آلهتهن، فأكلوا وسجدوا لها. وتعلق بنو إسرائيل ببعل فغور. وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌ ۝١٤٨﴾ =

عقيدته بين الوثنية والتوحيد، فعبد الإله يهوه الإله القومي، الحارس لإسرائيل، والإله بعل إلهاً للخصب، وجمع الكرم.

ويلي عصر الاستيطان والفوضى التي تلته، والذي ينتهي بيوشع، عهد القضاة The Judges، الذي يشغلُ بوجه التقريب الربعَ الأخير من القرن الثاني عشر ق.م. أما هؤلاء القضاة واسمهم في العبرانية شوفطيم (شوفيط) وعددهم اثنا عشر، فلم يكونوا في الواقع زعماء قوميين وحكاماً، وإنما رؤساء قبليون برزوا أزمانَ الشدائدِ لقيادة قومهم في الحرب مع الأقوام المجاورة، كان منهم شمشون الجبار، وعلى عهد صموئيل آخر القضاة انتهت الردة الدينية في الوثنية، فأعيدت عبادة يهوه، وفي هذا العهد وقعت بين الموسويين والأقوام الفلسطينية[1]، سكان البلاد الأصليين حروب طويلة انتهت سنة ١١٥٠ ق.م، بهزيمة الإسرائيليين وتَشَتُّتِ قواهم، وتَمكَّنَ الفلسطينيون من أسرِ تابوتِ العهد القديم.

وهكذا، وبسبب هذه الهزائم المتلاحقة، وتقليداً لما كان متوارثاً عند الأقوام المجاورة، فقد استحدث الموسويون **نظام الملكية**، وكان ذلك بتعيين أول ملك عليهم وهو شاؤول (في حدود سنة ١٠٢٥ ق.م) الذي يحدد بداية تاريخ العبرانيين، كقوم لهم كيان سياسي، فتروي التوراةُ أن زعماء إسرائيل طلبوا من زعيمهم الديني صموئيل Samuel[2] (أن يعين

= [الأعراف].

(١) الفلسطينيون: أقوام بحرية عرفت بالقوة واستعمال الحديد، استقروا على امتداد الشاطىء في سلسلة من المدن، مثل غزة، وأشدود، وعسقلان. والفلسطينيون نزحوا ابتداء من البحر والمناطق الشمالية وجزيرة كريت وبعض الجزر اليونانية، ثم نفذوا إلى الداخل حتى تمكنوا من السيطرة على نصف أرض فلسطين.

(٢) قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ=

لهم ملكاً ليحكم ويقضي بينهم، مثل الأقوام والشعوب الأخرى، فتقول التوراة (سفر صموئيل: ١/ ٢٥) «فكلم صموئيل بقضاء المملكة وكتبه في السفر، ووضعه أمام الرب»، وبعد شك وريب وجدال وتردد من القوم مخافة تسلط الملك عليهم، أذعنوا لأمر صموئيل ورضوا بشاؤول ملكاً، بعد أنْ حُدِّدتْ صلاحيتُه بما يشبه الدستور، مما قارنه أبشتاين بالماكنا كارتا الإنجليزية، زاعماً بأنه أول دستور في التاريخ.

وكان شاؤول ١٠٢٥ ق.م - طالوت Saul قد عُرِفَ في قومه بالقوة والبطولة (فكان أطول من قومه، كل الشعب من كتفه فما فوق. فقال صموئيل لجميع الشعب: أرأيتم الذي اختاره الرب، إنه ليس مثله في جميع الشعب، فهتف كل الشعب، وقالوا ليحيى الملك).

وتفيد أسفار التوراة، أن شاؤول لم يكن كفؤاً لتحمل أعباء الحكم فأخفق في إنقاذ قومه من نفوذ الفلسطينيين، وفي معركة اشتبك فيها معهم قُتل أبناؤه الثلاثة وجرح هو جرحاً خطيراً، وانتحر فقطع الأعداءُ رأسه وعَلَّقُوا جسمه وأودعوا درعه وسلاحه قرباناً للإلهة عشتروت. تقول التوراة (سفر صموئيل، ٣١/ ١) «فلما جاء الفلسطينيون ليعرُّوا القتلى وجدوا شاؤول وبنيه الثلاثة ساقطين، فقطعوا رأسه ونزعوا سلاحه وأرسلوا إلى أرض فلسطين في كل جهة، لأجل التبشير في بيت أصنامهم وفي الشعب ووضعوا سلاحه في بيت عشتروت وسمروا جسده على سور بيت شان».

وخلف شاؤول في الحكم داود (١٠١٢- ٩٧٢ ق.م) الذي وَحَّدَ البلادَ

= قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ ﴿٢٤٧﴾.
وترد تفاصيل إقامة الملكية في سفري صموئيل والملوك.

واتخذ أورشليم - بعد أخذها من الكنعانيين عنوة - عاصمة له، وأقام فيها معبداً للإله يهوه، جاعلاً عبادته الديانةَ الرسميةَ للمملكة وواضعاً بنفسه العديد من الأناشيد الدينية.

ويعتبر اليهودُ عصرَ داوود عصرهم الذهبي القديم، ويزعمون أن دولة اليهود وصلت حدودها القصوى في عهده فامتدت من بلاد فينيقية الساحلية في الغرب إلى الصحراء العربية في الشرق، ومن نهر العاصي في الشمال إلى رأس خليج العقبة في الجنوب[١]؛ ومن هنا اتخاذُ نجمةِ داوود شعاراً لدولة إسرائيل.

وقصة داوود كما تسردها التوراة (تحتوي من قتل وسفك دماء واغتيالات يأخذ بعضها برقاب بعض، مما يجعلها أشبه بتاريخ بعض رؤساء المتوحشين، منها بملكٍ متمدنٍ أو نبيٍّ مرسل)[٢].

ثم خلفه سليمان (٩٧١- ٩٣١)، الذي بنى الهيكل[٣] ليستقر فيه تابوت

---

(١) زخار، المصدر نفسه، ص٦١. وقارن: Trepp، المصدر نفسه، ص١٧، وأيضاً R. Dean Peterson: A Concise History of Christianity, p:18.

(٢) انظر ويلز: موجز تاريخ العالم، الترجمة العربية، وهذه الأقوال وليدة نفي اليهود للعصمة عن الأنبياء عامة.

(٣) الهيكل أو المعبد (Temple): بناه سليمان بعد أنْ قَدَّمَ له الملك حيرام ملك صور مشاهير البنائين، وجمع الأدوات اللازمة لبنائه من خشب وخلافه. وكان المعبد السليماني يتجه شرقاً، ويبلغ طوله ثلاثين متراً وعرضه عشرة أمتار وارتفاعه خمسة عشر متراً، وهو ينقسم إلى مكانين، مكان يعرف باسم «الدبير» وآخر باسم الهيكل، وفي الجهة الغربية يقوم قدس الأقداس وكان مكعباً تبلغ مساحته نحو عشرة أمتار مكعبة، وفي قدس الأقداس هذا يوجد التابوت، انظر سفر الملوك، الإصحاح السادس وما بعده، وقد هدم الهيكل مرات عديدة في التاريخ، هدمه نبوخذ نصر عام ٥٨٦ ق.م. وانطيخوس ابيفانوس عام ١٨٦ ق.م. وطيطس عام =

العهد القديم[١]، الرمز المقدس للعبرانيين القدماء، وكان قبل بناء الهيكل يوضع في فسطاط كبير، ويُنْقَلُ من مكانٍ مرتفع إلى آخر، وكانت القرابين تقدم عادة لرب إسرائيل في عدد من الأماكن المرتفعة المختلفة، أما الآن، فقد استقر التابوت بين الروائع الذهبية الموجودة في حجرةٍ داخلية من معبد كُسِيَتْ جدرانُه الحجرية بخشب الأرز ووضع بين تمثالين لهما أجنحة ومصنوعين من خشب الزيتون المذهب، وتَحتَّمَ منذ هذا العهد ألا تقدم القرابين على غير مذبح الهيكل.

وتذكر التوراة أنه كان لسليمان سبع مئة زوجة وثلاث مئة سرية، وأن نسوته أَمَلْنَ قلبه وأوقعنه في الوثنية، فتقول التوراة (سفر الملوك ١١/٧) «وكانت له سبع مئة من الأميرات وثلاث مئة من السراري، فأملن نساؤه قلبه وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهةٍ أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه، كقلبِ داوود أبيه، فذهب وراء عشتروت إله الصيدونيين»، والواقع أن وصف التوراة لسليمان يصوره كما

= ٧٠م، تدميراً كاملاً ونهائياً كما سيمرُّ بنا، وعن الصورة المعاصرة للهيكل ومحتوياته انظر: Dan Cohn Sherbok المصدر نفسه، ص١٥٠-١٥٣. وأيضاً: Leo Trepp، المصدر نفسه، ص٢٧٥-٢٨٠.

(١) تابوت العهد القديم (The Ark of the Covenant): صندوق خشبي طوله ذراعان ونصف، وعرضه ذراع، وكذا ارتفاعه، وتغطيه من الداخل والخارج صفائح من الذهب النقي، ويحيط به إكليلٌ من الذهب وبه أربع حلقات من الذهب في قوائمه الأربع، وعصوان من الخشب المغشى بالذهب تدخل في الحلقات الجانبية ليحمل التابوت بهما، وتوضع في التابوت الوصايا العشر المحفورة على لوحين حجريين يعرفان باسم لوحي الشهادة، اللوح الواحد يشمل على خمس وصايا، (سفر الخروج: ٢٥-٢٦) وكان اليهود قبل بناء الهيكل يحملون هذه المقدسات معهم يحميها أبناء قبيلة ليفي المخصوصة بالشؤون الدينية.

يقول ويلز «ملكاً متقلِّباً» كغيره من الملوك لا يَفْضُلُ ألبتة أياً منهم في عدم تمسكه بأهداب دينه، ويمثل لنا شعباً معتقداً بالخرافات وذا عقلية مبلبلة ككل شعوب العالم المحيط به بهم[1].

وفي زمان رحبعام بن سليمان وخلفه ولسوء تصرفه وطيشه، كما تقول التوراة (سفر الملوك: ١٢/١١) «أبي أدَّبكم بالسياط، وأنا أؤدبكم بسياط شوكية»، رفضت عشرُ قبائل الاعتراف به ملكاً واختارت بدلاً منه رئيس الجمعية يربعام (Jeroboam) (٩٣١-٩٢٢ ق.م) من سبط أفرايم، فتكونت

---

(١) وتذهب المراجع اليهودية إلى أن سليمان بزواجه من الغريبات الوثنيات، قد فسح المجال لعملية اغترابٍ واسعة للانصهار في الآخرين، ومَهَّدَ بعمله هذا للانحلال الديني والسياسي، ومن ثم تقسيم المملكة من بعده. ومن هنا تأكيد أسفار عزرا ونحميا على منع اليهود من الزواج من الغريبات حفاظاً على طهرهم العرقي (كي ينفرزوا عن شعوب الأرض ورجاساتهم) سفر عزرا: ٩. (الأرض التي تذهبون إليها لتملكوها هي أرض دنستها شعوبها ونجستها برجاساتها التي ملأها بها أقصاها إلى أقصاها، والآن فلا تعطوا بناتكم لهم، ولا تطلبوا سلمهم ولا خيرهم إلى الأبد) سفر نحميا: ٢٣: ٣-٢٦. «أما بهذا أخطأ سليمان ملك إسرائيل».
يقول طيب تيزيني: عزرا أطلق على كل ما هو غير يهودي تعبير (نجس) وعلى هذا، فحين كان البعضُ ينتمي إلى اليهودية كموقفٍ ديني، ينظر إليه أولئك القَيِّمون (رجال المؤسسة الدينية) شزراً ويشكون في أمره، ويعتبرون انتماءه هذا إما نتيجة لخوفه من اليهود، أو طريقاً غير مباشر لتدمير هؤلاء من الداخل، وفي المحصلة يجد القيمون أنفسهم تحت هاجس (الأخو الغازي) أو (القلف الجاسوس) بحيث يؤدي هذا الموقف، ثانية وعبر قناة أخرى، إلى أسس الأيدلوجية الكهنوتية اليهودية، أيديولوجية القطبين، ما هو يهودي موجَّهٌ فِطرةً ضد اللايهودي (الآخر) وما هو غير يهودي موجه فطرة ضد اليهودي، ومن ثم فإن تصور علاقة طبيعية سليمة بين الطرفين أمر يخالف طبائع الأشياء (من يهوه إلى الله، ٢/١، ص٢٨٠).

من هذه القبائل العشر المملكة الشمالية، التي تميزت بنزعتها القومية وضَعْفِ الوازع الديني، وصارت تعرف باسم إسرائيل، وكانت عاصمتها السامرة[1]، وتألفت من القبيلتين الباقيتين وهما يهوذا وبنيامين اللتين بقيتا على عهد رحبعام المملكة الجنوبية، التي عرفت باسم مملكة يهوذا، وعاصمتها أورشليم (القدس)، واستمر الانفصال بينهما مدة تَقْرُبُ من القرنين ٩٢٢ ق.م - ٧٢٢ ق.م.

وقد صَحِبَ انقسامَ المملكة رِدَّةُ الموسويين ثانية إلى عبادة الأرباب من دون الله، فظهرت حركةٌ قومية يدعو أصحابُها الناسَ إلى التمسك بعبادة الإله يهوه ونبذ الشرك والطقوس الوثنية وقداسة غير القدس، وامتهان اللواط المقدس Sacred Male Prostitution، وقد سموا أنفسهم بالأنبياء. ومن هؤلاء الأنبياء أليسع Elisha وأليجا Elijah الذي اعترض على عبادةِ بعل وتسويةِ الموسويين بينه وبين يهوه في العبادة، فأعلن بأعلى صوته من على جبل الكرمل لعبّادِ بعل: (إذا كان يهوه الإله الحق، فاعبدوه وحده، وإذا كان بعل إلهاً فاعبدوه)، أي لا تجمعوا بين التوحيد والوثنية.

وقد مات أليجا دون أن يحقق ما أراد. ثم جاء من بعده أليسع الذي

---

(١) تأكيداً وترسيخاً لمعنى الانفصال عن المملكة الشرعية الجنوبية، فقد عمد يربعام إلى فرض مجموعة قيود من شأنها الفصل بين المملكتين الشمالية والجنوبية فصلاً كاملاً، دينياً وسياسياً، من بينها:

- منع الحجيج القادمين من الشمال من الوصول إلى الهيكل المقدس.
- ساوم الوثنية، فاخترع عجلين من ذهب (Golden Calf)، وضع أحدهما في أقصى المملكة والآخر في أقصى جنوبها.
- أوجد طبقة كهنوتية منافسة لبيت لاوي، الورثة الشرعيين للتعليم والإرشاد الديني.
- غيَّر مراسم بعض الأعياد كعيد جني الكروم، وعيد العرازيل.

جهد من أجل إعادة القوم إلى العبادة الصحيحة عن طريق ثورة أثارها في قصر الملك وانتهت بقتل الملك أحاب وزوجته إيزابيل، التي اعتبرت المسؤولةَ عن مجموعة البدع والضلالات وحملات الاضطهاد ضد الأنبياء، التي انتشرت في أرجاء المملكة الشمالية بأمرها، ومقتل جميع كهنة الإله بعل، تقول التوراة (سفر الملوك الأول، ١٩ وما بعدها): «فقال إيليا: قد غرتُ غيرة للرب، إله الجنود لأن بني إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف فبقيت أنا وحدي، وهم يطلبون نفسي ليأخذوها»، وترى المآثر العبرانية أن إيليا صعد في العاصفة إلى السماء ونفسه حية في مَرْكبةٍ من نار وخيل من نار (سفر الملوك الثاني)[١].

وفي هذه الفترة قامت سلسلة حروب عسكرية وفتن واختلافات في الرأي والعقيدة أوهنت قوة الموسويين، وقد صادف ذلك ازدهار قوة الآشوريين، فاندفعوا في حملات سريعة إلى فتح بلاد الشام، وفي زمن سرجون الآشوري هاجم الآشوريون عام ٧٢١ مملكة إسرائيل الشمالية وحاصروا عاصمتها السامرة ودَمَّروها وأَجْلَوْا زهرةَ رجال المملكة إلى بلاد ميدية. وبذلك انتهت القبائل العشر التي كانت تتألف منها إلى الضياع، ويُقَدِّرُ بعضُ المؤرخين عدد اليهود الذين أجلاهم الآشوريون ونقلوهم إلى شمال العراق بحوالي ثلاثين ألفاً، سرعان ما انصهروا عقائدياً في مستوطنهم الجديد، الذي نُقلوا إليه، ومن ثم اختفى ذِكْرُهم من التاريخ، وبهذه

---

(١) أدخلت فرق الغلاة، هذه الفكرة في الفكر الديني في الإسلام، فزعمت السبئية أن علياً ما مات ولم يمت وإنما صعدَ إلى السماء، فالرعدُ صوتُه والبرق صوته، وهكذا كان بالنسبة لبقية الفرق الغالية عبر التاريخ، وهذه العقيدةُ صارت تُعرَفُ بدائرة الأديان المقارنة بالدوسيتزم Deceticim، أو عقيدة الموت الظاهري. (انظر كتابنا: دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، الفصل الخاص بالغلاة) وستأتي الإشارة فيما بعد إلى العقيدة.

الضربة الآشورية انتهت مملكة الشمال، فصارت مملكة يهوذا مركز الموسويين الديني ومحور تاريخهم.

وقد تعرضت يهوذا هي الأخرى بعد قرن وثلث إلى هجمات المصريين أولاً، ومن بعدهم لضربات البابليين، حيث حاصروا عاصمتها أورشليم سنة ٥٩٧ ق.م، وأسروا ملكها يهوياقين (Jehoiachn)، ونُقِلَ مقيداً بالسلاسل إلى بابل، وعين نبوخذ نصر زيديقيا (Zedekiah) عم يهوياقين حاكماً على اليهود، وأخذ منه العهدَ والميثاق على تهدئة الأوضاع والامتناع عن العصيان إلا أن زيديقيا بتحريض من المصريين، وإثارة من الأنبياء نقض عهده مع نبوخذ نصر فأعلن التمرد والعصيان من جديد فجاء نبوخذ نصر على رأس حملة قوية وحاصر أورشليم فاستسلمت بعد حصار قصير الأمد وأخذ نبوخذ نصر ملك يهودا وزوجته وموظفيه و٧٠٠٠ من جنده أسرى إلى بابل وهذا هو الأسر البابلي الأول، ثم ثارت أورشليم بعد ذلك بسنين قليلة وبتحريضٍ من مصر فغضب نبوخذ نصر غضباً شديداً، وأرسل حملةً قوية حاصرت أورشليم وبعد حصار دام زهاء السنة ونصف السنة سقطت أورشليم سنة ٥٨٦ ق.م[1]، ولما حاول ملكها التعس الهربَ قبض عليه

---

(١) يرى زخار (المصدر السابق، ص١٦٠) بأن الأسرى اليهود، الذين أُجْلُوا إلى أرض بابل بعد سقوط أورشليم عام ٥٧٦ ق.م، كانوا على النقيض من الأسرى، الذين أجلاهم الآشوريون قبل ذلك بقرنين، أكثر فاعلية ونشاطاً، ولهم نوع وعي قومي. ففي الأسر عَلَّمهم الأنبياء بخاصة حزقيال أنهم شعبٌ ذو تقاليد راسخة، وأنهم أصحابُ رسالة يلزمهم القيام بها، وأن العِظامَ النخرة يمكن أن تستعيدَ حيويتها، فكانوا يلتقون ظاهراً، لأداء الصلوات المقدسة والطقوس الدينية، وتنمية عزيمة البقاء في النفوس، وبمرور الزمن تطورت هذه الملتقيات إلى مراكز روحية، صارت تعرف بالكنيس (Synagogue) وقد صور (سفر أشعيا: ١٤-١٩) نهاية آخر ملوك الكلدانيين بلغة ساخرة (وأنتَ طُرِحْتَ أرضاً بعيداً من قبرك، كما =

وأخذ إلى مقر قيادة الملك البابلي، فَذُبِحَ أبناؤه أمام عينيه، ثم فُقِئَتْ عيناه وهو مقيد بالسلاسل، حيث أخذ مع الأسرى وعددهم خمسون ألفاً، إلى بابل، أما المدن المهمة في مملكة يهودا فقد خربت خراباً تاماً وهدم الهيكل[1]، وهذا هو **الأسر البابلي الثاني**. وقد جرى بين اليهود والبابليين في فترة السبي، التي دامت قرابة خمسين سنة تَمازجٌ عنصري وفكري عميق.

والحقيقة المجردة، التي يمكن استخلاصها من روايات التوراة هي أن اليهود، كما يقول ويلز: «ذهبوا إلى بابل همجاً وعادوا منها مُمَدَّنين، خرجوا جمهوراً مخلطاً منقسماً على نفسه لا يرتبط بوعي ذاتي وطني، وعادوا بروحٍ وطنية قومية شديدة وجنوحٍ إلى الاعتزال جعلهم يَنْأَوْنَ بجانبهم عمن عدَاهم، ذهبوا وليس لهم أدب مشترك معروف بينهم كافة، إذ لم يحدث إلا قبلَ الأسر بأربعين عاماً أن اكتشف الملك يوشع، كما يقال كتاباً للقانون في المعبد، وفيما عدا ذلك فليست هناك أي إشارة في السجلات إلى تلاوتهم أي كتاب فعادوا إلى وطنهم ومعهم القسم الأكبر من مادة العهد القديم».

وواضح أن اليهود وقد تَخلَّصوا من ملوكهم القتلة المتنازعين، وحُجِبُوا عن السياسة، وعاشوا في ذلك الجو الباعث على النشاط الذهني في العالم البابلي، فإن العقل اليهودي ما لبث في أثناء مدة الأسر أن خطا إلى الأمام خطوة عظيمة[2]. ومن هنا فقد اصطلح بعضُ المؤرخين اليهود على تسمية الأسر البابلي بورشة العمل الروحية Spiritual Workshop.

= يُطرَحُ الغصنُ الذابل، يغطيك القتلى المطعونون بالحراب كالحية داستها الأقدام).

(١) هذا هو الهدم والتدمير الأول للهيكل، كما يصطلح عليه في تاريخ اليهودية.

(٢) انظر: Treep، المصدر نفسه، ص٢١، وأيضاً: ابشتاين، المصدر نفسه، ص٧٩.

ولما قضى الفرس الأخمينيون على الكلدانيين بزعامة كورش (Cyrus) (٥٣٩-٥٣٨ ق.م) أصدروا أوامرهم بالسماح لمن أراد من اليهود العودة إلى فلسطين، وسمح كورش لهم بإعادة بناء أورشليم والهيكل، وقد رحب اليهود بهذا الإجراء الفارسي، ونعتوا كورش من أجله بالمخلِّص الإلهي، أو المسيح المنتظر[1]. تقول التوراة (سفر أشعيا: ٤٤، ٢٨/٤٥/١):

---

(١) فكرة المخلص المنتظر، أو المسائية، لا ترد في الأسفار الخمسة بالمعنى الاصطلاحي للمصطلح، وإنما يُفْهَمُ من اللفظِ معناهُ اللغوي المباشر، أعني الممسوح (The Anoited)، أو الملك، الذي عُهِدَ إليه أمرُ القيام بوظيفة معينة؛ ومن هنا سمي كورش به. أما المصطلح في مدلوله الاصطلاحي بمعنى المخلص المنقذ فقد ارتبط في نشأته وتطوره بفترات الاضطهاد والانحسار التي تمر بالإسرائيليين. وهكذا يتضمن المصطلح معنيين هما: ١) تجاوز بني إسرائيل لمحنةٍ عارضة في هذه الدنيا بقيادة مخلِّص منقذ. ٢) ومظهر أخروي يسبق سيادة عصر السلام والعدل والأمان الشامل قبل قيام الساعة.

وهكذا ينحسر المدلول الأول ويختفي في فترات السيادة والرخاء، ولا يبقى من المصطلح والمبدأ إلا دلالته الأخروية. انظر: Skiner J: Book of Prophet Isaiah. P:VIII. Cambridge. 1896.

وهكذا اختصت العقليةُ اليهودية بظاهرة عَمَّت اليهود عبر القرون، ورسخت في أذهان بني إسرائيل منذ القديم، أعني ظاهرة انتظار المسيح الموعود. وكان طبيعياً أن يقوى هذا الأمل بالموعود المنتظر كلما كانت الأحداث التاريخية معاكسة للتصور الذي يفرضه مصير شعب الله المختار. فإذا كان اليهود خاضعين لسلطة أجنبية أو وثنية، أليس المسيح الموعود هو الكفيل بتخليصهم منها، فهو الذي سيعيدُ مجدَ داوود، وسينتقم من أعدائهم. فالانتظارُ المؤمل إذن يتعلق بتحقيق أهداف دينية وغايات سياسية في آن واحد.

انظر: عبدالمجيد الشرفي: **الفكر الإسلامي في الرد على النصارى**، تونس، ١٩٨٦م، ص٢٥١.

ويقول علي عزت بيجوفتش: **الإسلام بين الشرق والغرب**، مؤسسة بافاريا، ط١، =

= ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م: إن جميع الثورات الطوباويات والعقائد الاشتراكية وما يجري مجراها من أفكار تتطلع إلى جنة في الأرض كلها يهودية صادرة عن العهد القديم.

ومن أبرز صور ادعاء المهدوية بين اليهود في العصر الحديث ما ادَّعاهُ شبثاي زيفي Shabbathi Zevi (١٦٢٦-١٦٦٦) المتحدِّر من أصولٍ إسبانية والمولود بمدينة Smyma التركية (أزمير الحالية) من المهدوية والبشارة بالخلاص، عام ١٦٦٥م، والتفاف جموع السذج من الدهماء حوله، واقتناعهم بما كان يدعيه من مخاريق وشعبذة وولادة فرقة التقاة (المتطهرون) الحاسيديم مجدداً Chassidism بزعامة إسرائيل بن إليعازر المعروف بـ: بعل شمطوب بشت Beshh، بالأراضي الأوكرانية عن تعاليمه، وما تَجَرَّعهُ اليهودُ من تصفياتٍ جسدية على أيدي القوقاز (عام ١٦٤٨م)، قيل إنها أودت بحياة ربع مليون يهودي مما شجع على ظهور وتنامي الأفكار المهدوية وانتشارها كالنار في الهشيم في أوساط أهل الجهالة والبطالة والعامة، ممن صاروا يسمون بأبناء التراب People of Soil، مالوا إلى حياة العزلة والانعزال عن الناس، والاعتقاد بوجوب خضوعهم في حياتهم الدينية والاجتماعية لمرشد أو زعيم روحي Tzaddiq له صفات فائقة مع الاستسلامِ التام لتوجيهاته، فيتحقق على يديه المعجزات، وقد صاغ هؤلاء من تعاليم القبّالا والفلسفة الفيضية نظريةً مفادها أن العالم النوراني وإثر أزمة حادة انحسرت الجواهر النورانية من بعض أطراف العالم النوراني وصارت حبيسةً في الهياكل المادية التي صارت كالصدفة Diloppot - Shells الحابسة للنور، ومن ثم فإن تحرير هذه الجواهر النورانية الحبيسة من صدفاتها المادية وإعادتها إلى عالمها النوراني الأول تستوجبُ تَدَخُّلَ اليهوديِّ الذي يجمع بين الالتزام بأوامر الشريعة وتعاليمها وبين الزهد والتقشف وحياة التأمل المركَّز التي تسوقُ إلى الاتحاد بالله Yihud ومن ثم إعادة الأمور إلى نصابها وتحرير العالم من الظلمات والشرور Restoration = Tiqqum.

وبعد الحرب العالمية الثانية انتقلت مراكز مجتمعات الحاسيديم، تارة لأسباب اقتصادية، وأخرى لمواقفهم الحذرة المحافظة من الصهيونية السياسية ودولة

«هكذا يقول الرب لمسيحه كورش، الذي أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أمماً». وتذكر أسفار عزرا وميخا أن أعداد الذين عادوا بلغ ٤٢٣٦٠ فرداً، وهذا العدد مما لا يميلُ البحثُ المعاصر إلى تصحيحه[١].

وتلا هذه الفترة اضطراب شديد بين اليهود، أصيبوا فيه باليأس والقنوط

= إسرائيل، إلى الولايات المتحدة. (دائرة المعارف - مادة: اليهودية - فصل التصوف اليهودي). وقد مارست هذه الفرقة طقوساً دينية معينة كإقامة حلقات الذكر والسماع والإنشاد والرقص الجماعي كوسائل للتهرب من الواقع وضغوطه، ومحاولة التسامي ودعوى الفناء في الله والاتحاد به ;Devekut Being with God Mustical cleaving to God وقد اتهمهم خصومهم من زعماء الربائيين، من أمثال أليجا فلني (١٧٢٠ - ١٧٩٧) بالهرطقة والزندقة وادعاء المخاريق. (انظر: دائرة المعارف اليهودية، مادة اليهودية). ولمعرفة تفاصيل حياة ومهدوية شيثاي زيفي: راجع Sherbok: OP, cit; p18-20 وNeosner: OP, cit; p99 وUnterman: Op, cit; p106.

(١) عاد يهود السبي بقيادة يوشع وزور بابل (أي بذرة بابل وهو حفيد جيهوياكيم، الملك اليهودي الذي سباه نبوخذ نصر، عن فلسطين ومعهم كنوز الهيكل، التي غنمها نبوخذ، وصار هو أول حاكم على فلسطين يحكمها باسم الامبراطورية الفارسية، وشرع يعيد بناء الهيكل. وهناك بقية ثانية عادت بسماح الملك الفارسي ارتحشتا الأول، جماعةٌ بقيادة نحميا وأخرى بقيادة عزرا. وقد أتم عزرا بناء الهيكل وأخذ القسم والعهد من اليهود للحفاظ على الشريعة والسير بموجبها. وفي هذه الفترة اكتملت كتابةُ الأسفار الخمسة ووضع الأسس الثابتة للأعياد المهمة وحددت أوقات الصوم، وظهرت طبقة المعلمين، والكهنة، والحاخامات، والمجامع الدينية العلمية. والرأيُ الراجح عند الباحثين أن عقيدة البعث الأخروي، سرت إلى اليهودية في هذه الفترة بتأثيرات الديانة الزرادشتية، إذ ليس ثمة إشارة قبل سفر دانيال إلى العقيدة في أسفار التوراة الأخرى، وافترقت الفرق اليهودية بشأنها فأثبتتها وآمنت بها فرقة الفريسيين وأنكرتها فرقة الصدوقيين، كما سنرى.

حتى ظهر فيهم مَنْ لا يهتم بأمور العقيدة وأصولها فلا يقيم لها وزناً (ملاخي؛ ٣/ ١٤): «قلتم عبادة الله باطلة، وما المنفعة من أننا حفظنا شعائره وأننا سلكنا بالحزن قدام رب الجنود، ونحنُ نرى أن المُتجبِّرين هم السعداء وفاعلي الشر هم الذين ينجحون».

وعندما فتح الاسكندر المقدوني سنة ٣٣٣ ق.م الممالكَ الشرقية خَضعتْ له فلسطين كغيرها من المناطق، ولم يكن الإسكندر مجرد فاتح عسكري، وإنما كان يرمي من حملاته نشر الثقافة الهيلينية في الأراضي المفتوحة بكل أوجهها[1]، فَنّها وفلسفتها وأدبها. وفي الوقت الذي تأثرت

---

(١) يرى بيفان بأن ما يُشاع من انتشارِ يهودي واسع بأرض فلسطين في هذه الفترة أمرٌ مبالغ فيه، ولا يمتُّ إلى الحقيقةِ بصلة، ثم يستطرد قائلاً: «لو أننا تجولنا في القرن الخامس قبل الميلاد في ربوع منطقة الجليل، بل وفي كل المدن المقدسة المعروفة كالناصرة وبيت لحم لما التقينا إلا بوثنيين خُلَّص». إن اسم الجليل اختصار لأرض الأغيار (الجنتايل Galilee of the Gentiles)، ولم نكن لنرى في تجوالنا إلا قِلةً تسكن القدس وما حولها من قرى وأرياف، وفي شريط ضيق لا يتجاوز ١٠-١٥ ميلاً فقط. (انظر: Bevan E.R. Jerusalem, under the high Priests, (London: 1904)). وبقي اليهود حتى هذا القرن يؤلفون أقلية ضئيلة بالأراضي المقدسة كانت قد وجدت طريقها إليها عبر القرون إثر حملات القتل الجماعي والاضطهاد والتصفية، التي كانوا يتعرضون لها في دول أوروبا، بخاصة بعد انتهاء الحكم العربي الإسلامي في الأندلس وعقب الحروب الصليبية وظهور الجماعات البابوية من الفرنسيسكان والدومنيكان الذين أخذوا على أنفسهم تصفيةَ اليهود وإزاحتهم عن دول جنوب أوروبا ثم بدأت أعداد اليهود في أرض فلسطين بالارتفاع مع بداية هذا القرن، وكما هو واضح من الجدول التالي:

السنة	عدد السكان
١٨٨٢	٣٠,٠٠٠
١٩١٩	٦٥,٠٠٠

فيه معظم شعوب البلاد المفتوحة بالثقافة الإغريقية، فإن اليهود - عامة - عاشوا في عزلةٍ فكرية عنها، باعتبار أنها وثنية تناقض في روحها تعاليم التوراة وما فيها من دعوةٍ إلى التوحيد، ولم يرد ذِكْرٌ لليهود في الكتابات والمُدَوَّنات اليونانية قبل القرن الرابع قبل الميلاد، حيث وصف اليونان اليهودَ بأنهم شعب شجاع ومنظم ولهم نزعة فلسفية.

وقد تسامح الإسكندر معهم في مواقفهم هذه وترك لهم حرية التعبير عن معتقداتهم الدينية وإنمائها وتطويرها، كما يشاؤون، وتمتع اليهودُ بتسامحٍ مماثل في عهد البطالسة[1]، الذين خلفوا الإسكندر في حكم المماليك، التي فتحها، إلا أن يهود مصر الخاضعين للبطالسة تأثروا تلقائياً بأوجه الثقافة الإغريقية اليونانية فنشأت في الإسكندرية مدرسةٌ يهودية جمعت ومزجت بين الدين والفلسفة وأخذت على نفسها التبشير بالثقافة الإغريقية، فقامت جماعة منهم بترجمة التوراة من العبرية إلى اليونانية عرفت فيما بعد بالترجمة السبعينية (السبتوجنيت Septuagint)[2]، إلا أن أثر الثقافة اليونانية

=

١٩٢٩	١٥٧،٠٠٠
١٩٤٤	٢٥٠،٠٠٠
١٩٤٦	٦٣٠،٠٠٠
١٩٥٠	١،٢٠٠،٠٠٠
١٩٦٦	٢،٣٠٠،٠٠٠

ولمزيد من التفاصيل، راجع: دائرة المعارف الأمريكية؛ A. ENCY، مادة اليهودية وتاريخها، المجلد ١١٣: ١٦.

(١) انظر: ليو تريب، ص٢٧.

(٢) سميت الترجمة بالسبعينية التي تُعَدُّ أولَ ترجمة للتوراة وأنجزت عام ٢٨٠ ق.م، كما يشير آيسدور آبشتاين (ص٨٨)، أو عام ٢٦٠ ق.م كما تشير دائرة المعارف اليهودية (مادة يهودية) لأن الروايات اليهودية تذكر أن اثنين وسبعين عالماً، قاموا =

بلغت أوجها في العهد السلوقي على وجه التحديد؛ كما هو واضح من كتاب اليوبيل، فتركت جماعاتٌ من اليهود الالتزامَ بأحكام التوراة وتركوا السبت، وعادة الختان، وظهر الشبان اليهود في تقليدٍ لليونان عُراةً في ساحات الألعاب، وبدأ العُهْرُ المقدس ينتشرُ من جديد بين اليهود، ثم اتخذ الأمر صورة الإجبار والإكراه، حيث عمدت فئة من اليهود المرتدين، الذين هضموا وتمثلوا الثقافات الوثنية وعلى رأسها الحبر الأعظم جاسون (Jason - ١٧٥ -١٧٢ق.م) الذي عينته السلطات الحاكمة حاخاماً أكبر، على فرض ثقافتهم الوثنية على اليهود المحافظين التُقاة (الحاسيديم Hasidim فرقة المتطهرين الزهاد)، وجعل جاسون من القدس مدينة يونانية

= كُلٌّ على انفراد، بترجمةِ التوراة، ثم لما طابقوا هذه الترجمات وجدوها جميعاً متطابقة في كل أمر فأقروا بالإجماع، وقد قُصِدَ بهذه الترجمة ابتداء التعريف باليهودية لغير معتنقيها.

أما الترجمة الآرامية المسماة بـ: ترجومين Targumin، فهي متأخرة زمانياً عن الترجمة السبعينية، وقصد بها مخاطبة اليهود أنفسهم.

أما أقدم ترجمة عربية للتوراة، فقد تمت بعد هذا التاريخ بعدة قرون، وذلك على عهد هارون الرشيد. فقد ذكر ابن النديم في (الفهرست) أن أحمد بن عبدالله بن سلام الإنجيلي هو الذي ترجم التوراة من العبرانية إلى العربية. وذكر المسعودي ثلاثةَ نُقولٍ: الأولى لحنين بن إسحاق النسطوري المتوفى عام ٢٦٠ هـ (٨٧٤م)، وقد اعتمد فيه على الترجمة اليونانية، والاثنان الآخران لحبرين من أحبار اليهود: أبو كثير المتوفى عام ٣٢٠هـ (٩٣٢م)، وسعيد (سعدان) بن يوسف الفيومي المتوفى عام (٩٤٣م)، الذي قصد من ترجمته التنديدَ بفرقة القَرَّائين وتسفيه معتقداتهم، التي خالفوا فيها الربائيين، أما السامريون، فقد أقرُّوا من العهد القديم القسمَ الأولَ منه؛ أعني الأسفار الخمسة فحسب، ونسختُهم، التي يتعبدون بها تختلفُ كثيراً عن النسخة المعتمدة عند عامة اليهود؛ كما سنشير إليه فيما بعد.

خالصة في نظمها التربوية والثقافية[1]، وفُرضت عقوبةُ الموت على مَن يلتزم بالسبت والختان، ويُحَرِّمُ أكلَ الخنزير، وأحرقت الكتب المقدسة وصار امتلاكها جريمة كبرى، وحُوِّلَ المعبدُ والهيكل بأمرٍ من أنطيخوس الرابع إيبافانيوس Epiphanes (١٧٥- ١٦٤ ق.م) - الذي عدّ نفسه ظهوراً لله على الأرض - إلى معبد وثني للإله زيوس رأس الآلهة الإغريقية في الأولمبس، حيث صار لحم الخنزير يُقَدَّمُ على مذبحهِ إمعاناً في تحقير اليهود.

والحق فإن هذه الفترة شهدت حملات اضطهاد وعنف وقسوة قَلَّما شهد اليهودُ لها نظيراً في التاريخ. وإزاء هذه الحالة قامت ثورة فكرية سياسية وذات طابع قومي عرفت باسم زعيمها الحبر الأكبر ميتاثياس Mattathias حاملاً شعار «مَنْ كان غيوراً على التوراة فليتبعني»، اشتركت فيها الجماعات اليهودية كافة بدوافع دينية وسياسية ورغبة في الحفاظ على التقاليد الموروثة والاستقلال القومي[2]. وقد انتظمت هذه الجماعات

---

(١) الحاسيديم: المعروفون بنزعاتهم الدينية المتشددة وميلهم إلى التطهر والعبادة، وليست لهم اهتمامات سياسية، بل لا يهمهم أمرُ الحاكم، ماداموا قادرين على أداء الطّقوس الدينية والحفاظ على تعاليم التوراة، ومن هنا فمشاركتهم في حركة ميتاثياس كانت لدوافع دينية خالصة وتَحدّيهم لنزعات الانصهار في الثقافة الوثنية فحسب؟ وهكذا بدأت حركة التمرد والعصيان لدوافع دينية محضة، ولكنها اتخذت من بعد وفي نهاياتها صيغةً قوميةً وسياسية خالصة بزعامة جوداس المكابي، الذي كان يرى، خلافاً للحاسيديم، بأن موجات الاضطهاد الديني ضد اليهود سوف تستمر وتتابع ما لم تتحول اليهودية إلى دينٍ ودولة Judaism is a State as well as a Religon، وهي الدعوةُ التي ستقوم على أساسها بعد عشرين قرن وتُحْيِيها الصهيونيةُ العالمية بقيادة هرتزل. كما سنرى.

(٢) اتخذت الحركة ابتداء صورة دينية تهدف إلى إنقاذ اليهودية من التاثيرات والعوائد =

الثورية في صورة عصابات صغيرة انتشرت في البلاد وصارت تعمل جاهدةً من أجل القضاء على البدع الوثنية. فكانت تصطادُ أبناء المرتدين لإجراء الختان لهم جبراً، فجهز الجيش حملة ضاربة ضدهم واختارت لها يوم السبت (حيث لا تجوز الحركة أو الدفاع عن النفس)[1] فانتهت الحركةُ من غيرِ مقاومةٍ، وقُتِلَ الآلافُ منهم خنقاً في الكهوف، ومن حينها أصدرت الجهاتُ اليهودية فتوى صارت من التقاليد المعترف بها أوجبت على اليهودي المضطهد المُكْره الدفاعَ عن نفسه حتى وإن كان اليومُ يومَ سبتٍ، وبعد موت زعيم الحركة وفشلها ترأس حركة المقاومة أبناؤه الخمسة وخصوصاً يهودا المكابي[2] (Judas Maccabeus) (الفأس الحديدي) الذي رفع أيضاً شعار: مَنْ كان غيوراً على التوراة فليتبعني، وباسمه عرفت الحركة المكابية. وقد أحدث جوداس ثورة في تقنيات المقاومة المسلحة

= الوثنية، ولهذا شاركت فيها جماعات المتطهرة الحاسيديم، ثم تطورت الحركة الثورية واتخذت صورة قومية خالصة، حيث ضم المكابيون إلى صفوفهم كثيرين من عبدة الأوثان من الوثنيين، مما أدى إلى خروج المتطهرين من صفوفها. انظر: دائرة المعارف اليهودية، مادة: اليهودية، ص٥٨٦.
وتأتي لوحة من الألواح المعروفة بألواح البحر الميت (Dead Sea Scrolls)، على تفاصيل هذه المعاناة، وهي تحمل عنوان «**حرب أبناء النور ضد أبناء الظلام**»، وراجع الفصل المتميز الذي كتبه عن الحركة: Zeitlen: Jesus and the Juddism of his Time, (Polity Press, 1988) pp:19-28-30.

(١) تُحَرِّمُ التوراةُ العملَ في السبت بإطلاق، انظر: سفر اللاويين، ٨: ٥، سفر الخروج: ٣١: ١٦ «كُلُّ مَنْ عمل عملاً يوم السبت يُقتلُ قتلاً، فعلى بني إسرائيل أن يحافظوا على السبت مواظبين عليه مدى أجيالهم، هذا عهدٌ أبدي».

(٢) عن تفاصيل الثورة المكابية: انظر: ابشتاين، المصدر نفسه، ص٩٢؛ وأيضاً: شيربوك، المصدر نفسه، ص١٤٨-١٨١١. وايضاً ليوتريب، المصدر نفسه، ص٢١٣-٢١٥.

فانتقل بأسلوب المقاومة من حرب الخنادق إلى الهجمات الليلية المباغتة والسريعة مستخدماً المشاعل الزيتية التي غدت عبر التاريخ رمزاً للاستقلال (Menora)، واستطاع المكابي بها تحريرَ الأرض وإنقاذ القدس واستعادة المعبد وذلك في ٢٥ كانون الأول سنة ١٦٥ ق.م، وهو اليوم الذي يحتفلُ فيه اليهود بإشعال الشموع في عيد معروف عندهم بالخانوكة Chanukkah (الإهداء)، ومدته ثمانية أيام، وبعد موت إنطيخوس أبيفانوس، عُقِدَ صلحٌ توفيقي بين اليهود وبين السلطات الرومانية الحاكمة عام ١٦٣ ق.م، مُنِحَ بموجبه اليهودُ حرية العبادة تبعاً لتقاليدهم، واعترفت السلطات الرومانية باليهودية كدين معترف به قانوناً: Licit Religion.

وهكذا كُتِبَ النصرُ لتعاليم التوراة، وهزمت القوى المناصرة للوثنية والثقافة الهيلينية، ومع ذلك فقد استمرت حركة المقاومة لمدة عشرين عاماً حتى تمكن خامس الأخوة المكابية، المدعو سيمون، عام ١٤٣ ق.م، من طرد القوى الأجنبية عن أرض فلسطين، على حَدِّ تعبيرِ سفر المكابيين الأول: ١٣: ٤١.

وبظهور السيد المسيح، انقسم اليهود على أنفسهم إلى جماعتين الأولى يهودية مسيحية أيدت المسيح وناصرت دعوته وأخرى عارضته وبقيت على شرعة التوراة، وكانت الجماعة المؤيدة له لا تختلفُ باديء الأمر عن بقية اليهود إلا في اعتقادها بأن عيسى - ع - هو المسيح المنتظر وفيما عدا ذلك التزمت بتقاليد الدين اليهودي وأحكامه، فكان أفرادها يؤدون الصلوات في بيت التوراة ويزورون الهيكل ويُعَظِّمون جملة الشعائر الدينية لبقية اليهود، ثم لما تطورت العقيدة المسيحية على يد القديس بولص ودخَلَها التثليثُ والقولُ بألوهية عيسى وحلول الله فيه، واتحاده هو بالله وإسقاط شِرْعةِ الخِتان، والميل إلى حياة الرهبنة والعزوبية، والقول

بالخطيئة الأولى للإنسان[1]، انتهت هذه الجماعة إلى تشكيل دينٍ جديد له ملامحه المميزة الخاصة، يقول أهله بالتثليث وعرفوا بالخرستان، أي أتباع المخلص الممسوح (Christos) واعتبار الإنجيل عهداً إلهياً جديداً ناسخاً للعهد القديم وقائماً بديلاً عنه[2].

وفي القرون الأولى للمسيحية تجاذبت اليهود المقيمين في فلسطين حظوظٌ متباينة من التسامح والاضطهاد حتى سنة ٧٠م، حيث ثار اليهود على السلطات الرومانية، فقام طيطس (Titus) بتدمير أورشليم وحرق الهيكل وبناء معبد الإله جوبتير محله وقتل اليهود في مذبحة عامة تفرقوا إثرها أيدي سبأ وبدأت فترة الضياع الحقيقية لليهود في

---

(١) تابع هاينرش كراتس (١٨١٧-١٨٩١) مراحل وظروف انفصال المسيحية عن اليهودية وذلك في كتابه: تاريخ اليهودية History of the Jews (الترجمة الإنجليزية، لندن - ١٨٩١ - ١٨٩٢) الفصل الرابع عشر.

(٢) جَسَّدت الكاتدرائيات المسيحية في العصور الوسطى نسخ «العهد الجديد» الذي جاء به عيسى عليه السلام «للعهد القديم» الذي جاء به موسى عليه السلام، في منحوتات بارزة ومتقابلة على وجه التضاد وضعتها البابوية على مداخل الكاتدرائيات الكبرى في أوروبا مثل (كاتدرائيات Reims وستراسبورغ ونوتردام)، فمثَّلُوا الكنيسَ اليهودي في صورةِ منحوتٍ مَحْنِيِّ الظهر في مذلة وصغار، معصوب العينين، لا يهتدي إلى بشارة العهد الجديد، وبيده عصا مكسورة، ويد مبسوطة إلى الأسفل، في حيرة وهوان، وهي تحمل بين أصابعها الأسفار الخمسة لموسى - ع - التي انتشرت على الأرض تعبيراً عن زوال الحكم بها، وبالمقابل شُخِّصَت المسيحيةُ والعهد الجديد في منحوتٍ هامتُه قائمة ومعتدلة، ورأسه مرفوع في شمم يتطلع إلى المستقبل رافعاً العهد الجديد بثقة راسخة، وعلى رأسه إكليل وتاج عنواناً للهيمنة والسيادة والأمل (انظر: مقال: Grover A. Zinn; History Interpretation, pp:100-126. ضمن كتاب: Jews and Christians, Exploring the Past, Present and Future.

المهجر[١] Diaspora والتجأ مَنْ نجا منهم إلى شمالي جزيرة العرب،

---

(١) تفرق اليهود بعد تدمير أورشليم وهدم الهيكل وتوزَّعتهم ثلاثة اتجاهات متنافرة، على رأس كل اتجاه زعيم يقف رمزاً له، ويمثل منهجه في التعامل مع السلطات الرومانية:

أ- اتجاه قومي متطرف آمن بالكفاح المسلح ضد الرومان ووجوب استمراره، ويقف على رأس هذا الاتجاه ويمثله: عقيبة بن يوسف الذي ناصر حركة التمرد والعصيان التي قادها كوخيبا Bar Kochba بين عامي ١٣٢-١٣٥م، منتحلاً صفة المسيحانية، وأتباع هذا الاتجاه عرفوا أيضاً بالغيوريين Zealots الذين صدروا عن الإيمان بأن رب إسرائيل لن يناصرها ما لم يطرد اليهود الحكام الوثنيين من الأرض. انظر: زايتلن: المصدر السابق، ص٢٩ وما بعدها.

ب- واتجاه مقابل ونقيض للسابق كان يقف على رأسه يوحنان بن زكاي، الذي آمن بالتعايش السلمي ونبذ التمرد والعصيان مقابل الحصول على الحرية الدينية، فكان يمثل بهذا النزعةَ الحاسيدية التقية في أصفى صورها، وقد كافأته السلطات الرومانية على موقفه المهادن هذا بأنْ سمحت له بإقامة أكاديمية دينية لتدريس التوراة وأحكام التلمود في بلدة صغيرة تعرف بـJabneh، اعتقاداً منه بأن السبيل الوحيد للحفاظ على الوجود اليهودي، هو الانكباب على دراسة التوراة والالتزام بشرائعة. انظر: Trepp، المصدر نفسه، ص٣٤، فاضطهده اليهود وفرّ من القدس مختفياً في تابوت.

جـ- ثم اتجاه ثالث وأخير، سالَمَ السلطات الرومانية ويقف على رأسه المؤرخ اليهودي يوسيفيوس Josephus المعاصر لأحداث الحرب الأهلية ٦٦-٧٠م، الذي جمع بين الحرص على الالتزام بقواعد الشريعة مع الدخول في خدمة السلطات الرومانية والتعايش مع الظروف الراهنة. ويوسيفيوس مؤرخ ترك تراثاً غنياً من التاريخ، منه كتابه المشهور: حرب اليهود The Jewsh War الذي وصف فيه أتباع الاتجاه الأول بالحماقة والطيش وأنهم تسببوا بثورتهم الفاشلة تصفية اليهود وتدمير القدس وهدم الهيكل. انظر: زايتلن: المصدر نفسه، ص:١-١٠، وأيضاً: H. St John Thackeray; Josephos, The man and the Historian, (New York, Jewish Institute of Religion Press, 1929) p:19. والذي اتهم =

= يوسفيوس بالأنانية وأنه كان عميلاً يخدم حكام زمانه ومصلحياً خالصاً.
ويقارن في أيامنا هذه مُؤَرِّخةُ اليهود مذبحة طيطس عام ٧٠ بما جرى لليهود أيام هتلر وحكمه النازي في الثلاثينيات من هذا القرن، وصاروا يسمون مذبحة عام ٧٠م أيضاً بالهولوكوست Holocaust النازي، باعتبارهما يشكلان حملةَ تصفيةٍ وتطهيرٍ عِرْقيٍّ كاملٍ لليهود Genocide. انظر: مقالة: Richard k. Fenn ضمن كتاب: Jews and Christians, Axploring the Past, Present and Future, Ed; James H. Charlesworht, (Cross Road. New York, 1990) pp:180-207.

ومع تفرق اليهود في الشتات وتمزق جمعهم فقد ظلت الجماعات اليهودية على ولائها لعقيدتها وتقاليدها وعوائدها المتوارثة وذلك من خلال:

١- الالتزام باللغة العبرية التي ما كان يجوزُ الصلاةُ وأداء الطقوس الدينية إلا بها حتى ظهور حركة الإصلاح في العصر الحديث.

٢- الالتزام بمجموعة القواعد الشرعية التي فَصَّلَ التلمودُ والميشنا في تفاصيلها، وعكفت أجيال متعاقبة من علماء اليهود على شرحها وبيانها (الهالاخاه Halachah).

٣- الضريبة الدينية المفروضة على اليهود، والتي كان قد شرعها نحميا بعد العودة من الأسر البابلي (وأقمنا على أنفسنا فرائض أن نجعل على أنفسنا ثلث شاقل كل سنة لخدمة بيت إلهنا - سفر نحميا؛ ١٠-٣٢).

٤- الالتزام التاريخي الناجز بأمل العودة إلى أرض صهيون لإقامة الدولة القومية على ترابها، بزعم أن ذلك هو الشرط المسبق لقيام اليهود بدورهم التاريخي كشعبٍ مختار لإنقاذ البشرية (انظر: سفر عوبديا ١/١٩-٢١، وميخا: ٤: وفي جبل صهيون تكون النجاة، وهو يكون مقدساً، فمن صهيون تخرج الشريعة، من أورشليم كلمة الرب).

هذا وكان رجال الدين اليهود قد أصدروا - لأول مرة - في أرض بابل وإبَّانَ السبي فتوى تُجيزُ لليهودي شراء أربعة فدادين وهمية في فلسطين، انظر:
Salow. Barron; A Social and Religious History of the Jews, (New York 1957), p: 75.

حيث سكنوا الواحات الغربية في فدك وتيماء ويثرب وغيرها، ثم استمر اليهود في ثوراتهم ضد الرومان مرات عديدة على عهد تراجان سنة ١٠٦م، وعلى عهد هادريان سنة ١٣٠م الذي اقتنع بأن اليهود لن يُقْهَرُوا ما دامت التوراةُ بين ظهرانيهم، وملتزمون بأوامر الشريعة اليهودية ونواهيها، فحرمهما معاً، وأعاد تسميةَ يهودا بفلسطين ليقطعَ مزاعم اليهود بأنهم لها وارثون. وقتلَ منهم الخَلْقَ الكثير وسبا الآخرين إلى روما في حين لجأ مَنْ نجا منهم إلى بلاد بابل. ثم لما صارت القدس العاصمة الدينية للمسيحية، وجعل يوم الأحد بدل يوم السبت عطلة وراحة، صار التهوُّدُ بدعةً دينية وجريمةً سياسية يستحق صاحبها العَنَتَ والاضطهاد، وأُغلقت المدارسُ الدينية وبلغت الحياة العامة لليهود حداً لا يطاق، وهكذا - وكما يقول أبرام زخار - حيثما ساد الصليب وانتشر تَلقَّى اليهودُ موجات من العنت والاضطهاد والتصفية الجسدية (Whenever The cross was Traimphant, it meant repression for the Jews، وعلى مدى القرون الوسطى كما يقول براتراند رسل[(١)] أظهرت المسيحيةُ عداءً مفعماً بكلِّ صور العنت والاضطهاد لليهود، حتى أُجْبِرُوا على الحياة في أوروبا في مناطق

= وقد شبه عدد من المؤرخين المعاصرين من اليهود، واعتماداً على ما أورده المؤرخ اليهودي المعاصر للهدم الثاني للهيكل في موسوعته المعروفة «حرب اليهود» من فواجع وكوارث حلّت باليهود على أيدي الرومان، بما جرى لليهود في هذا القرن على أيدي النازية، فاستخدم Richard K. Fenin مصطلح الهولوكوست Holocoust الذي يُطلَقُ عادة على التصفية العرقية لليهود إبان الحكم النازي، على ما حصل لليهود على أيدي الرومان عام ٧٠م، باعتبار أن ما قام به طيطس كان أيضاً تصفيةً عرقية شاملة Genocide شبيهة بالتي نفذها النازيون، انظر مقالة: Fenin ضمن كتاب Jews and Christians، ص١٧٠.

(١) انظر: تاريخ الفلسفة الغربية، ص٣٤٢.

مخصوصة لا يجوزُ لهم تجاوزها عرفت بالكيتو Ghttos.

وهكذا صارت المسيحيةُ في الوعي الجَمْعي العام لليهود قرينة القتل الجماعي والتصفيات العرقية المتكررة، والمثول أمام محاكم التفتيش والمعاناة من قرارات مصادرة الأملاك، وحملات التهجير القسرية والجماعية العامة، بل ومصدراً لنزعات اللاّساميّة حتى بدايات هذا القرن والتي كما أشار روبرت إل ويلكن، جُبِلَتْ عليها المسيحية، «فاللاّساميّة لم تَتولَّدْ من أفكار غريبة عن المسيحية وكتابها المقدس، وتحت تأثيرات تاريخية عارضة. إنَّ اللاّسامية ولدت في رحم المسيحية والإنجيل المسيحي، كما فهمه وفَسَّرهُ اللاهوتيون النصارى عبر التاريخ. وهكذا فإن جذور اللاّساميّة لا ترجع إلى أصول أبعد منها، فالنصارى - عامة - كانوا لا ساميين لأنهم كانوا نصارى.. وأعتقد أنه من المحتم علينا أن نُقِرَّ بالحقيقة المُرَّة، وهي أن اللاّساميّة جزءٌ لا يتجزأ من التراث المسيحي، وجزء مما يعني أن يكون الإنسان مسيحياً»[١].

---

(١) انظر مقالة: A. Roy, Echardt الموسومة بـ:

Salient Christian - Jewish Issues

ضمن كتاب:

Jews and Christians, Exploring... P.151

ويقول: Eldon Jay Epp: إن المواقف العدائية التي تعبر عن نفسها في إنجيل متى، قد انتهت إلى تشجيعِ وتغذيةِ المشاعرِ المعادية لليهود بين النصارى منذ القرن الثاني الميلادي وحتى يومنا هذا. إن الإنجيل الرابع، أكثر من أيِّ مصدر آخر، كان المسؤول لتكرار مشاعر اللاسامية بين النصارى طيلة القرون الثمانية عشر أو التسعة عشر الماضية، خاصة تشخيص اليهود أنهم قَتَلةُ المسيح (انظر مقالة D. Moody Smith). ضمن الكتاب السابق، ص٧٦، Judaism and The Gospel of John.

لقد وجه النصارى ابتداء استمداداً من الأناجيل، خاصة إنجيل يوحنا، تُهمتين رئيستين إلى اليهود واليهودية، هما: أنَّ اليهودَ أبناءُ إبليس وأشرار بفطرتهم، فلا يُرْتَجى منهم فِعْلُ الخيرات (فأنتم أولاد أبيكم إبليس وتريدون أن تتبعوا رغبات أبيكم، هذا الذي كان من البدء قاتلاً، ما ثبت على الحق - إنجيل متى ٨/ ٤٤). والثانية: حمل اليهود المسؤولية التاريخية لصلب المسيح(؟) بعد محاكمته وإهانته وتعذيبه (Deicide Charge. The God Murderers)، فهم إذن قَتَلَةٌ وأشرار (فأجاب الشعب كله: دَمُه علينا وعلى أولادنا. إنجيل متى ٢٧: ٢٥ وأيضاً ١٩: ٥-٦).

وفي العصور الوسطى الغربية أُضيفت إلى هاتين التهمتين التاريخيتين تُهَمٌ أخرى إضافية مثل تهمة مَصِّ الدماء وأن اليهود يغتالون أطفال النصارى كي يمتصوا دماءهم للاحتفال بها في عيد الفصح وأداء الطقوس الدينية: "Using Christian Blood in the Passover Service".

وتتردد أن أول حادثة من هذا النوع وقعت عام ١١٤٤ حيث اتُّهِمَ يهودُ مدينة نوريج الإنجليزية باغتيالِ طفلٍ يدعى وليم. ومع إنكار المؤرخين لهذا الحدث، وتبرئة اليهود منه، وصدور قرارات بابوية بإنكارها، فإن اليهود ظلوا يُتَّهمون بهذه التهمة وتُلْصق بهم حتى أواخر القرن التاسع عشر، وأيضاً إلصاق تهمة تسميمهم الآبار Poisioning the Wells بغية نشر الأوبئة والأمراض بين النصارى.

وأثناء الحروب الصليبية، اتهم اليهودُ بالخيانةِ وموالاةِ المسلمين مما أدى إلى سلسلة متعاقبة من حملات التنكيل والاضطهاد والمذابح الجماعية ضدهم ومصادرة الأموال والممتلكات، ثم فرض الإقامة الجبرية عليهم في مناطق مقفلة يحصرون فيها، وأُلْزِمُوا بلبس القُبَّعات المُدَبَّبة (The Jew Hat) ووضع شرائط صفراء على صدورهم بغية فرزهم وفصلهم عن

النصارى (The Yellow Badge) وطردهم من الوظائف العامة، وسَامَتْهُمْ محاكمُ التفتيش سُوءَ العذاب، كمذابح اليهود في مدينتي يورك عام ١٠٩٠م، ولندن عام ١١٨٩م، ثم طردهم القسري من إنجلترا، إذ لم يسمح لهم بالعودة إليها إلا أيام حكم كروميل ١٦٦٥م.

وبلغت حملات الاضطهاد والتصفية العرقية ذراها فيما اصطلح عليه بعام الطاعون الأسود عام ١٣٤٩م حيث تعرض أثناءه يهود فرنسا وألمانيا والبرتغال إلى صنوف من العنت والقتل وأُجبروا أخيراً على الهجرة من هذه المناطق عام ١٣٩٣، في حين اضطر كثير من اليهود إلى ترك دينهم واعتناقِ المسيحية تقيةً على أرواحهم في رِدَّةٍ كاذبة وظاهرية عُرِفَ أتباعها منذ ذلك التاريخ بـ: «المرَّنُوز Marranos» وفي العبرية بـ«Anusim»، وهي كلمة إسبانية تعني الخنزير، وهو الاسم الذي عرف به - من بعد - أتباعُ شبثاي تسفي (عام ١٦٦٦) المسيح والمُخَلِّص الكذَّاب، الذي أعلن هو وأتباعه إسلامهم بعد فشل دعوته، فصاروا يعرفون في التركية باسم **الدونمة**.

أما في إسبانيا فقد نزلت باليهود مذبحة عامة في إشبيلية عام ١٣٩١ حيث قتل الآلاف منهم صبراً، وكانت هذه المذابح تمهيداً لقرار التهجير القسري العام لهم عام ١٤٩٢ عن الأراضي الإسبانية، وهو القرار الذي لم يبطل إلا عام ١٩٦٩ أي بعد ٤٧٧ سنة، ولجأ الفارّون والمهجَّرون إلى الولايات العثمانية أو إلى العالم الجديد وبولنده التي صارت تعرف منذ ذلك التاريخ بأرض الطمأنينة والسلام لليهود.

ومع نشأة حركة الإصلاحات الدينية في ألمانيا بزعامة مارتن لوثر (١٤٨٣- ١٥٤٩م) الذي مالأ اليهودَ أولَ أمرِهِ طمعاً في تنصيرهم، فلما خابت ظنونُه أَلَّفَ كتابه المشحون بالعواطف الحاقدة الثائرة ضد اليهود

والموسوم بـ: «عن اليهود وأكاذيبهم The Jews and their Lies»: أقرَّ وأكَّدَ فيه جملة التهم التي كانت المسيحية توجِّهها إلى اليهود، فوصف مارتن لوثر اليهودَ بأنهم «عصبة ضَلَّتْ طريقها إلى الله»، وأمر أتباعه بحرق دور اليهود وإتلاف كتبهم المقدسة خاصة التلمود، وهدم معابدهم، واتهمهم بأنهم يبيِّتون النيات لقتل النصارى كلما قدروا على ذلك، بخاصة من خلال أطباء اليهود، فاليهود في رأي مارتن لوثر قومٌ جافاهم الله فأسلمهم للكفر، وصاروا من جراء ذلك شتاتاً لا وطنَ يجمعهم، معذبين عبر العصور لجريمتهم الجماعية في قتل المسيح - ع - (؟).

وتأسيساً على هذه الصرخات المملوءة ضغينة وحقداً وكراهية لليهود فقد اعتبر بعضُ الباحثين المعاصرين من اليهود مارتن لوثر، السلفَ الروحي لهتلر والنازية: Martin Luther: The Spiritual Ancestor of Hitler. وأنه المسؤول المباشر وراء نزعات كراهية اليهود واللاّساميّة: Antisamism التي بلغت ذروتها، ولم يسبق لها مثيلٌ من قَبْلُ، في ممارسات النازية ضد اليهود[1].

وهكذا حتى أواخر القرن التاسع عشر، ظل اليهود في أوروبا - كما أشار نويسنر - يُعاملونَ معاملةَ الزنوج في ولايات نيويورك والمسيسبي، إذ كانوا محرومين من الالتحاق بالجامعات، ويُستهزأُ بهم باستمرار من على

---

(١) عن تفاصيل أوفى عن هذه العلاقات السلبية بين اليهود والنصارى، انظر:
Ibrahams, Israel: Jewish life in the Middle Ages, (Philadephia - ch; 23.
Leo Trepp: Judaism, Develpmen and Life, 3ed, Edition (Wads Worth - Publishing Company - Belemont, California, 1982) PP56-60.
Dancohen Sherbok: The Jewish Faith, (Spck 1993) PP; 4-17.
Epstien, Isodor; Judaism (Penguin Books - 1990) P:216.

المنابر، ويوصفون بكل الصفات القادحة، ويتلقون الإهانات جهاراً[(١)].

وفي العقود الأخيرة صارت الكنائس البروتستانتية، خاصة في الولايات المتحدة، تبذل جهوداً مصطنعة ومُضْنية لحمل التراث الكنسي المسيحي والأناجيل، خاصة يوحنا المشحون بالتهم الموجَّهة إلى اليهود، المسؤولية التاريخية لما حَلَّ باليهود عبر القرون على أيدي النصارى، حكاماً ورعايا، من صنوف العنت والقسوة والاضطهاد، ومن ثم توكيد ارتباط المسيحية باليهودية، عقيدة وسلوكاً، وإعادة النظر في الأناجيل لتحريرها من الاتهامات الموجهة ضد اليهود، انظر: السلسلة الصادرة عن: American Interfaith Institute تحت عنوان:

Shared Ground Among Jews and Christians: A Series of Explorations (Cross Road, New York, 1990).

وثَمَّةَ اتجاه صار يقوى ويشتد إلى ربط المسيح والمسيحية باليهودية، جملةً وتفصيلاً، وتوكيد أن المسيح وكذا حوارييه كانوا يهوداً، وصدرت كُتُبٌ بهذا الاتجاه تحمل عناوين: المسيح كان يهودياً، ويهودية السيد المسيح.

ومن نتائج مثل هذه المحاولات القرار البابوي الصادر عن المجمع الفاتيكاني الثاني ١٩٦٢-١٩٦٥، بتبرئةِ اليهودية من تُهمةِ صلب المسيح، والتهم الأخرى التي سبقت الإشارة إليها.

وفي العراق أيضاً حَلَّ باليهود على أيدي الفرس الساسانيين الاضطهاد

---

(١) Nuesner: The Way of Torat, 3ed Edition, The Religious Life of Man Series, (Wads Worth Publishing Company Belemont, California - 1979) P:111-119.

والقسوة وذلك خلال مدة حكم الملك الفارسي يزدجر الثاني (٤٣٨-٤٥٧) الذي أصدر أوامره تحت تأثير الكهنة المجوس من عبدة النار بإنزال المحنة بيهود بابل، وقد بلغت حملات الاضطهاد الديني أوجها زمن ابنه فيروز (٤٥٩-٤٨٦) حيث أُغلقت معابدهم الدينية بتحريض من مَزْدك، إلا أن ذلك لم يستمر طويلاً، حيث عادت الحياة إلى طبيعتها بعد موت مزدك وغمور المزدكية.

وبظهور الإسلام عاد لليهود أمنُهم وحريتهم، وأخذ اليهود يقبلون على فلسطين ثانية بعد أنْ حُرِمُوا من زيارتها قروناً طويلة، واستمر الحال باليهودية في النماء والتطور بفضل سماحة الإسلام والمسلمين، وهكذا، وكما يقول إيسدور أبشتاين في كتابه الآنف الذكر، فقد **(ارتفع شأن اليهودية وعلا، حيث ساد حكمُ الهلال)**، وقد بلغ التسامحُ أوجَ صوره في العراق ومصر وفلسطين، حيث كان الحكم البيزنطي قبل الإسلام لا يكتفي بتنظيم الشؤون الدنيوية لليهود فحسب بل كان الحكام يتدخلون حتى في شؤونهم الدينية الخالصة، كما رأينا. أما في الأندلس الإسلامية، حيث حَلَّ العرب المسلمون محل القوط النصارى، فقد انتقل الحال باليهود من قتل وتشريد وظلم وحرمان إلى تألق فكري وتسامح ديني ونمو اقتصادي ورخاء وطمأنينة لم يَرَ اليهودُ مثلها قط، وتبوأ العديد من اليهود مراكز متقدمة في الدولة، أمثال: حسداي بن شبروط الذي استوزره عبدالرحمن الثالث (٩١٣-٩٦١) وخلفه الحاكم (٩٦١-٩٧٦) والذي استطاع أن يجعل قرطبة مركز إشعاع للدراسات اليهودية حتى حُقَّ أن تُسَمَّى هذه الفترةُ في تاريخ الآداب اليهودية بالعصر الذهبي للأدب اليهودي. (Golden Age of Hebrew Literature) وعهد ازدهرت فيه الدراسات الفلسفية. وكذلك صموئيل بن نجريلة الوزير الأول في غرناطة (٩٣٣-١٠٥٥) حيث بلغت الثقافة اليهودية في ظل العرب المسلمين هناك درجةً من النُّضْجِ والتألق لم

تعرفها من قبل.

عُرف علماء اليهود في هذه الفترة المتألقة من نشاطهم الفكري في ظل الخلافة الإسلامية بـ: الغوئنيم Geonim «العلماء المبرِّزون»، وغدت معاهد اليهود في العراق خاصة في صورا ونهاردية وبامبيديثا مراكز ثقافية ليهود المهجر كافة، حيث توافد طلبة العلم إلى هذه المعاهد من أنحاء العالم بغية دراسة التلمود، والإحاطة بمشكلاته، وشرح مسائله، واستنباط القواعد الفقهية منه. واشتهر من أوائل علماء معهد صورا الغاؤون يهودا البصير (٧٥٦-٧٥٧) بِمُدَوَّنته الفقهية، التي صارت أساساً لغيرها، وسعدايا الفيومي، الذي دَوَّنَ كتاباً للصلوات اعتمده اليهود؛ بخاصة في مصر، في الصلوات الجامعة، وإلى علماء هذه الأكاديميات البابلية يعود الفضلُ أيضاً في إخراج أول نسخة محققة للتوراة التي كان الاعتماد في تلاوتها على ما اعتمد تواترها شفاهاً، لخلو النسخ المتداولة من علامات التنقيط والحركة، مما تَسبَبَ في اختلاف القراءات ودخول ما ليس في المتن من آراء واجتهادات في صلبه، فقامت مجموعة من علماء أكاديميات: صورا - بامبيديثا - نهاردية والذين عرفوا باسم Masretes بإخراج نسخة محققة، وتثبيت علامات الوصل والفصل، والحركات في ملاحظات دُوِّنَتْ على حاشية الكتاب[1].

ومن مشاهير مُتكلِّمة اليهود وفلاسفتهم من السفارديم الذين برزوا في العصور الإسلامية وكانت كتاباتهم مراجع كبرى في التراث اليهودي، وبقي أثرهم في ألوان الثقافة اليهودية موصولاً حتى يومنا هذا:

---

(١) (انظر أبشتاين: المصدر نفسه، ص١٨٣). وقارن: أونترمان، المصدر نفسه، المصدر الثالث، ص٣٧ وما بعدها.

سعيد بن يوسف الفيومي (سعدايا الفيومي) ٨٩٢-٩٤٢، مؤلف كتاب: «الأمانات والاعتقادات»، وأكبر ممثلي النزعة الربانية، ومترجم التوراة إلى العربية، سُمِّيَ لعلوِّ مكانته بأبي الفلسفة اليهودية "Father of Jewish Philosophy" وأثرُ علماء الكلام الإسلاميين، وبخاصة المعتزلة فيه واضحٌ وبَيِّنٌ، رأس معهد صورا ببابل حيث نزح من مصر التي ولد فيها واستقر به المقام بمعهد صورا الذي صار له رئيساً وكان شديداً على القرائيين، وله رَدٌّ عنيف عليهم عنوانه (الرد على المتحامل - بالعربية)، قام بنشره هيرشفيلد واشتهر بأثره المعروف بـ«الأمانات والاعتقادات The Book of Beliefs and Opinions»[1]، الذي يمثل أول محاولة يهودية للتوفيق بين الدين والفلسفة، وقام سعدايا بإنجاز أول ترجمة للعهد القديم إلى اللغة العربية.

بخيا بن يوسف بن بكودا، من مواليد سراقوسة، وصاحب الموسوعة الأخلاقية، التي دونها بالعربية، عام ١٠٤٠، والموسومة بـ(الهداية إلى فرائض القلوب)[2] وترجمها يهودا بن طبون إلى العبرية تحت عنوان Haboth Halebaboth ويظهر على كتابات ابن بكودا أثر التصوف الإسلامي. والكتابُ محاولة تهدف إلى تأسيس الفكر الديني لليهود على أساس من نظام جمعي تركيبي يؤلف بين العقل والوحي والمحبة الإلهية، التي سبيلها التصوف والروحانية، وله كتاب آخر بعنوان (ينبوع الحياة Fountain of Life) شرح فيه بإسهاب نظرية الفيض التي أقامها فلاسفة

---

(١) ترجمه إلى الإنجليزية: S. Rosenblati وصدر عن مطبعة جامعة ييل الأمريكية عام ١٩٤٨.

(٢) ترجمه إلى الإنجليزية في خمس مجلدات: M. Hyamson، ونشر في نيويورك بين عامي ١٩٢٥-١٩٤٥.

الأفلاطونية المحدثة لتفسير صدور العالم المادي عن الله تعالى، والمعروفة بنظرية الصدور (Emanation).

سلمون بن يهودا بن جبيرول، من مشاهير شعراء اليهودية وفلاسفتها من مراكش ولد عام ١٠٢١، ومات وهو في ريعان شبابه. وتظهر إبداعاته الشعرية في كتابه الموسوم بـ(التاج الملكي Royal Crown)، أما نزعاته الفلسفية والأخلاقية فقد ضَمَّنها كتابه (إصلاح الأخلاق - بالعربية)، وقد ترجمه بعد تحقيق الأصل العربي (إس. إس. وايز wise، نيويورك ١٩٠١م).

يهودا بن هاليفي الطليطلي (١٠٧٥-١١٤١)، مؤلف الكتاب الخزري الموسوم بـ(كتاب الحجج والاستدلال في نصرة الدين الصحيح The Book of Argument and proofin Defence of the Dispised Faith الذي نشره وحققه هيرشفيلد، لندن، ١٩٠٥م. وفيه يحاول بيان أفضلية اليهودية على سائر الأديان، والكتابُ عبارة عن حوار بين أحد أحبار اليهود وملك الخزر، الذي يزعم المؤلف أنه تَهَوَّدَ إثر هذه المحاورة. وفيه ينحو منحى المتكلمين الإسلاميين في الرد على نظرية أرسطو في قدم العالم والزمان، ويفند النظريات الإشراقية المؤسسة على الإلهام الصوفي، كما أن فيه محاولة أولى من نوعها في الفكر الديني اليهودي لإبراز تفوق اليهودية - كدين - على المسيحية والإسلام، وكان يعتقد أن العبقريةَ اليهودية لا تزدهر إلا في أرض فلسطين وهو القول، الذي يردده دُعاةُ الصهيونية العالمية اليوم ويستشهدون به في خطاباتهم السياسية.

موسى بن ميمون، ١١٣٥-١٢٠٤، الأندلسي الذي قيل في أهميته ودوره البارز في الفكر الديني والفلسفي عند اليهود، من موسى عليه السلام إلى موسى لم يظهر نظير لموسى بن ميمون، ومدونته المعروفة بـ(دلالة

الحائرين)[1] حاول فيها التوفيق بين الدين وأحكامه وبين الفلسفة اليونانية وتقريراتها، وعُدَّ ابنُ ميمون فقيهاً كبيراً، وطبيباً مبرزاً، ومرجعاً دينياً موثوقاً وقد قام أخيراً الدكتور حسين أتاي بنشر الأصل العربي بعد تحقيقه، وصدر الكتاب عن جامعة أنقرة - منشورات كلية الإلهيات السلسلة (٩٣). والكتاب في أصله مدون باللغة العبرية وأحرف عربية، وأخذ فيه بمذهب الفلاسفة في الإسلام في قولهم بالقِدَم الزمانيّ والحدوث الذاتي للعالم.

ومثلما تصدى الغزالي لبيان تهافت آراء الفلاسفة في الإسلام، فقد انبرى للرد على ابن ميمون علماء التلمود، وأكدوا خطورة التأويلات الفلسفية على اليهودية. ولموسى بن ميمون مدونة موسوعية تعرف بالتوراة الثانية (The Second Torah - Mishneh Torah) أو اليد القوية (Yad Ha-Hazakah) التي شرع في تأليفها بالقاهرة وأكملها عام ١١٩٠م. وأراد لها أن تكون الأساسَ الفقهيَّ لدولة اليهود، حيثما تقوم. وتتبدى في مدونته الفقهية استخفافه بكثير من الاعتقادات الشعبية، التي كانت منتشرة بين يهودِ زمانهِ كالتشاؤم من الأعداد الزوجية، ومن ثم الامتناع مثلاً عن شرب كأسين من أي شراب في وقت واحد، أو تناول نوعين من الطعام في آنٍ واحد، وأنه جائز لأحكام شرعية معينة أن تغير أو تعدل جلباً للمصالح وربطاً للجمهور بأحكام الشرع ودفعاً لنزعات التهاون في الدين والالتزام بأحكامه[2].

---

(١) ترجمه إلى الإنجليزية مع مقدمة ضافية: M. Friedlander ونشرته دار Routledge عام ١٩١٩.

(٢) عن حياة ومؤلفات علماء السفارديم هؤلاء، راجع:

- دان كوهين شيربوك، المصدر السابق، ص١٣٦ وما بعدها.
- ليوتريب، المصدر السابق، ص٢٥٠ وما بعدها.
- آلن اونترمان، المصدر السابق، ص٦٢ وما بعدها.

واستمر الحال على هذا المنوال حتى أُخْرِجَ المسلمون من الأندلس، فحمل المسيحيون يهودَ الأندلس قسراً على التنصر أو القتل أو الطرد، وسامتهم محاكمُ التفتيش شتى ضروب العذاب من حرقٍ وقتل ومطاردة، بل تَدَنَّتْ منزلةُ اليهودي حتى صار يُباعُ كالعبيد.

وفي العصور الحديثة قامت حركة فكرية إصلاحية (Reformism) في صفوف اليهود بألمانيا فَرَّقَتْ شملَ اليهود في العالم وجعلتهم فِرقاً ومذاهب متخالفة متضادة، ففقدت اليهودية سِمةَ الوحدة في الفهم والتفسير، وصارت مذاهبَ قِدداً، فيها الكثيرُ من وجوه التعارض والتضاد، وانشطر اليهود في العالم إلى:

١- مذهب إصلاحي بقيادة موسى مندلزوهن وأخلافه بعده، مِمَّن سنقفُ على آثارهم ومبادئهم في القسم الثاني من كتابنا.

٢- ويهودية محافظة (Jewish Conservitism)، ولدت أصالة في دائرة الحركة الإصلاحية، ثم اعتزلها لغلوها، وأقامت مذهباً يميل إلى الجمع بين الموروثِ اليهودي ومطالبِ الحياة المتطورة، لَخَّصها مؤسسُ المذهب سمسون رفائيل هيرش في شعار (التوراة مع قانون الأرض والزمان Torah with The Law of the Land).

٣- ويهودية أرثذوكسية جديدة سلفية النزوع والاجتهاد New Orthadox Judaism بإطلاق، قاومت بعنفٍ كلَّ دعوةٍ إلى الإصلاح والتجديد أو نزوع إلى الاستسلام لمطالب العصر والزمان، وهي تمثل اليوم المذهب الديني

= ● جاكوب نويسنر، المصدر السابق، ص٧٥ وما بعدها.
● أيسدور ابشتاين، المصدر السابق، ص٢٥٤ وما بعدها.
● دائرة المعارف اليهودية، مادة يهودية.

الرسمي لدولة إسرائيل وتشكِّلُ عقيدةَ الجمهور والسواد الأعظم من يهود العالم[1].

ثم جاءت الصهيونية السياسية Zionism بقيادة هرتزل[2] (١٨٦٠-١٩٠٤) الذي أبان عن معتقداته وآرائه السياسية في كتابه المعروف: «الدولة اليهودية Der Judenstaat»، وصرح لأول مرة في المؤتمر الصهيوني المنعقد ببازل في سويسرا عام ١٨٩٧ «بأن إنقاذ يهود العالم من موجات الكراهية الراسخة عبر القرون ضدهم Judeophobia». أمرٌ لا يمكن تحقيقه إلا بإنشاء وطن قومي لهم، حيثما أمكن من العالم، واقترح ابتداء الأرجنتين أو أوغنده.

---

(١) سنرى في القسم الثاني تفاصيل نشأة ونمو هذه المذاهب تفصيلاً، وللمقارنة والاستزادة، راجع:
- دان كوهين شيربوك، المصدر السابق، ص:١٢٧-١٢٩.
- ليوتريب، المصدر السابق، ص:٩٦-٩٧.
- جاكوب نويسنر، المصدر السابق، ص:١٠٨ وما بعدها.
- آلن اونترمان، المصدر السابق، الفصل الثالث عشر، ص٢١٤ وما بعدها.

(٢) جاء في خطاب هرتزل ما يلي:
أولاً: إن اليهود، حيثما وجدوا من العالم وأي قطر يقطنون، يشكلون شعباً واحداً.
ثانياً: أنهم كانوا دائماً، وفي كل وقت ومكان عُرْضةً للاضطهاد.
ثالثاً: لا يمكن لليهود أن ينصهروا قط في الشعوب، التي يعيشون معها، ومن ثم فعلى الدوائر الصهونية العالمية أن تكافح من أجل:
رفض الانصهار في الآخرين، ومنع حالات الارتداد التي بدأت تنتشر في دول أوروبا الغربية، وخلق وطن روحي وقومي لليهود المبعثرين في العالم.
وقارن: R. Garuady: The case os Israel, A study of political Zionism. (Shrouk in ternational, London) 1983, pp:7-8.

وقد عارض الصهيونية بادىء ذي بدء اليهودُ الأرثذوكس الذين عرفوا بـNeturei Karta لاعتقادهم في أن إنشاء دولة مستقلة لليهود يُعَدُّ خيانةً لليهودية التاريخية المأثورة، إذ لا يجوز للبشر التدخل وبذل الجهد لمجيء المخلِّص الإلهي المنقذ، الذي لا يأتي إلا من خلال الإرادة الإلهية Supernatural Missiamism.

كذلك عارضت الجماعات الإصلاحية دعوة هرتزل لإقامة الوطن القومي لليهود، لاعتقادهم في بدايات الحركة الصهيونية أن عملية تحرير اليهود من الكراهية والاضطهاد قضية لا تتحقق إلا بالانصهار الثقافي التام في الأبنية العامة للمجتمعات الغربية التي يقيمون فيها، ولهذا وصموا الصهيونية ونعتوها بالأوهام الرجعية: Zionism is a reactionary Delusion.

ومع هذه التحفظات فقد مال الجميع إلى تأييد الصهيونية تدريجياً، ليتحقق حلم هرتزل الذي قال: في بازل وضعت أسس الدولة اليهودية[١].

---

(١) عن الحركة الصهيونية وتطورها، انظر:

- جاكوب نويسنر، المصدر نفسه، ص١١٦ وما بعدها.
- ابشتاين، آيسدور، المصدر نفسه، ص٣١٥-٣١٦.
- آلن اونترمان، المصدر نفسه، ص٢١٧-٢١٨.



الفصل الثالث
الكتب المقدسة عند اليهود

أولاً: العهد القديم (تناخ): Tenakh

العهد القديم (تناخ): عبارة عن مجموعة الأسفار، التي جمعها رجال (المجمع الأكبر)، الذي تأسس عقب العودة من السبي البابلي، وكان مؤلفاً من مئة وعشرين عضواً ينظرون في شؤون الشعب فوضعوا الصلوات اليومية المُتَّبعة إلى اليوم تقريباً، وكان يتكوَّن من - عزرا - نحميا، زوربابل ودانيال وحجاي وزكريا وملاخي ومردخاي وغيرهم.

وقد جمع هذه الأسفار وصنفها عزرا الكاتب[1]. عام ٤٤٤ ق.م، وصارت تُعرفُ بشريعة موسى ومجموع أسفارها أربعة وعشرون سفراً. والحقيقة فإن مجموع أسفاره تسعة وثلاثون، ولا يعترف السامريون إلا

---

(١) عزرا كاتب كلام «وصايا الرب وفرائضه على إسرائيل، كاتب شريعة إله السماء الكامل». [سفر عزرا: ١١١٧-١٢]. وقد حاول عزرا ونحميا تثبيت جملة القواعد التي تمنع من اختلاط اليهود بغيرهم من الأقوام عن طريق المصاهرة والزواج، وتثبيت الهوية اليهودية لليهود دفعاً للانصهار في الآخرين، ومنعاً من «اختلاط النسل الطاهر بأمم الأرض، كي ينفزوا عن شعوب الأرض ورجاساتهم» [سفر عزرا: ٢١٩] «والآن فلا تعطوا بناتكم لبنيهم، ولا تأخذوا بناتهم لبنيكم، ولا تطلبوا سلمهم، ولا خيرهم إلى الأبد» [سفر نحميا: ١٠: ١٩]، أيضاً: فقام عزرا الكاهن وقال لهم: «خنتم الرب واتخذتم نساء غريبات لتزيدوا في إثم بني إسرائيل فاعتزلوا أمم الأرض ونساء الغريبات» [سفر عزرا: ١٠: ١١].

بسبعة منها - كما سنرى - غير أنهم يحسبون كل سفر مزدوج، مثل صموئيل الأول، والثاني، والملوك الأول والثاني، والأخبار الأول والثاني، سفراً واحداً وعزرا ونحميا وأسفار الملوك الاثني عشر سفراً واحداً، فيكون مجموعها أربعة وعشرين سفراً، جملة إصحاحاتها ٩٢٩.

ويضم العهد القديم عند أتباع الكنيستين الكاثوليكية الغربية والأرثذوكسية الشرقية قسماً رابعاً يعرف باسم: المنحولات: Apocrypha.

أما لفظ (تناخ) فمأخوذ من أول حرف من أسماء الأقسام الثلاثة: التوراة Torah، والأنبياء Nebee - im ثم الكتب والصحف Ketubim.

أ- **التوراة**: وهو القسم الأول من العهد القديم [الأسفار الخمسة] ويعرف في العبرانية بـ(توره) أي الهدى والإرشاد، أو القانون أو التعاليم أو الشريعة، وقد يطلق - مجازاً أو توسعاً - على العهد القديم كله.

وقد اختلف علماء العربية والتفسير في أصل معناها، فمنهم مَنْ قال أنه عِلْمٌ اختُرِعَ ووُضِعَ ليدلَّ على الوحي، الذي نزل على موسى عليه السلام، هذا ما قاله الإمام الشافعي رحمه الله وأيده فيه أكثر المفسرين، ومنهم من قال بأنها مشتقة، أصلها من: الورى، من ورى الزند، يرّى وريّا: إذا خرجت ناره: يريد أن التوراة: ضياء ونور، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة]، ويُنْسَبُ هذا الرأي إلى الفرّاء. وذهب الإمام الطبري في تفسيره إلى أنها مأخوذة من التورية، وهي التعريضُ بالشيء والكتمان لغيره، فكأن أكثر التوراة: معاريض وتلويحات من غيرِ تصريحٍ وإيضاح.

وقد ردَّ المحققون هذا الرأي، يقول جمال الدين القاسمي في تفسيره (محاسن التأويل: ٧٤٩٤): «التوراة اسم عبراني معناه الشريعة، والإنجيل

لفظة يونانية معناها البشرى، أي الخبر الحسن هذا هو الصواب، كما نص عليه علماء الكتابيين في مصنفاتهم، وقد حاول بعض الأدباء تطبيقها على أوزان لغة العرب واشتقاقها منها، وهو خبط بغير علم»، قال الزمخشري في (الكشاف: ١٧٠١٧): التوراة والإنجيل اسمان أعجميان والاشتغال باشتقاقهما غير مفيد»[1].

ومصطلح التوراة العبرية (Torah) يضم الأسفار الخمسة (البنتاتوخ Pentateuch Humash)، أما في العربية فالمصطلح يوازي العهد القديم كلـه، أي: ١) الأسفـار الخمسـة، ٢) وأسفـار الأنبيـاء، ٣) والكتـب والصحف.

أما الأسفار الخمسة فهي:

- سفر التكوين «الخليقة Genesis Bereshit»: وفيه ذكر خلق العالم وقصة آدم وحواء وأولادهما ونوح والطوفان، ثم قصة إبراهيم عليه السلام وأبنائه، إسحق، ويعقوب وعيسو، ثم قصة يوسف وإشارات إلى إسماعيل وأمه هاجر، وهجرة العبرانيين إلى مصر (مصرايم) بسبب القحط العظيم، الذي أصابهم.

- سفر الخروج (Exodus - Shemot): أي خروج اليهود من مصر وفيه

(١) الزمخشري: تفسير الكشاف، المجلد الأول، ص٤١٠١ - منشورات دار الفكر (١٩٧٧). ويؤكد هذا رحمة الله الهندي، إذ يقول: التوراة كلمة عبرية، أصلها العبري: بمعنى: القانون والتعليم والشريعة [إظهار الحق، ١: ٩٩ - السعودية ١٤٤٠ - ١٩٨٩]. وللاستزادة انظر تفسير الآية (٣ آل عمران) عند الإمام القرطبي في تفسيره [أحكام القرآن: ٤: ص:٥، والإمام الفخر الرازي - التفسير الكبير ١٧١:٧ (دار الكتب العلمية - بيروت)، وتفسير «الميزان» للطباطبائي، جـ٩: ص٩].

قصة موسى من ولادته وبعثته، وفرعون وخروج بني إسرائيل من مصر وصعود الجبل، وإيتاء الله تعالى له الألواح - الوصايا العشر.

- سفر اللاّويين (Leviticus - vayirka): أي الأخبار، وفيه حكم القربان، والطهارة، وما يجوزُ أكلُه وغير ذلك من الفرائض والحدود.

سفر العدد (Numbers - Bamidbar): وبعضه في الشرائع وبعضه في أخبار موسى وبني إسرائيل في التِّيه، وقصة العجل.

- سفر التثنية (Deuteronomy - Dabarim): أي إعادة الناموس، ذُكرت فيه عنايةُ الله بشعبه وأقوال موسى في الحوادث والأخبار الهامة والوصايا والفرائض والأحكام، التي أوصى بها الله والإنذارات ونشيد موسى للشعب وبركته.

- أسفار الأنبياء (Prophts - Nebee - im): يتألف القسم الثاني من العهد القديم، أو التناخ، من واحد وعشرين سِفْراً منها ستةٌ تُعرف بأسفار الأنبياء الأولين، وتبحث أسفارها في تاريخ بني إسرائيل بعد موسى عليه الصلاة والسلام إلى خراب الهيكل وأورشليم وهذه الأسفار هي: يوشع، القضاة، صموئيل الأول والثاني، ويلي هذا القسم، أسفار الأنبياء الآخرين وعددها خمسة عشر سفراً.

- الكتب والصحف (Collected Writings - Ketubim): وهو القسم الثالث من العهد القديم، ويُعْنى بالحِكَم والأمثال والمزامير والأخبار التأريخية الخاصة باليهود بعد خراب الهيكل، وعدد هذه الكتب أو الصحف سبع كبيرة، وهي: مزامير الأمثال، أيوب، دانيال، عزرا، نحميا، أخبار الأيام الأول والثاني، وخمسة صغيرة: وهي: روث، نشيد الإنشاد، الجامعة، المراثي، واستير.

أنظار العلماء في محتوى ومضمون العهد القديم[1]: لقد استغرق جمع وتدوين محتويات العهد القديم فترة زمنية تربو على الألف سنة من ٢٠٠ ق.م إلى ١٠٠٠م، ويرى علماء اليهود أن ما نزل على موسى والأنبياء من بعده قد نقل شفاهاً بالتواتر حتى تمكن رجال المجمع الأكبر السنهدرين (Sanhedrin) (يكتب خطأ بالميم السنهدريم، وهي كلمة يونانية تعني المجلس)، الذي تألف بعد العودة من السبي البابلي وانتهي من تدوينه وتنظيمه على صورته الحالية. وطرق البحث التاريخي القائمة على النقد والتجريح، كادت أن تنتهي في القرن التاسع عشر إلى إنكارِ صحةِ ما ورد في التوراة منسوبة إلى موسى، إلا أنَّ التنقيبات الآثارية التي أُجريت في فلسطين والتي انتهت بالعثور على مجموعة من المخطوطات، التي عُرفت فيما بعد بمخطوطات البحر الميت، قد دعت العلماء إلى البحث مجدداً في أصالةِ العهد القديم، وصِحَّتِهِ وتعديل البعض من الشكوك التي أثارها البحث النقدي حول سنده التأريخي.

---

(١) يقول طيب تيزيني نقلاً عن أدموند جاكوب: «في البدء لم يكن هناك نص واحد فقط للعهد القديم، بل كان هناك عدد من النصوص. ففي القرن الثالث قبل الميلاد تقريباً، كان هناك على الأقل ثلاث مدونات للنص العبري للتوراة، كان هناك النص المحقق (الماسوري) والنص الذي استخدم جزئياً على الأقل في الترجمة اليونانية، والنص المعروف بالسامري (أسفار موسى الخمسة)، ثم بعد ذلك في القرن الأول قبل الميلاد بدأ اتجاه إلى تدوين الكتاب المقدس لم يتم إلا في القرن الأول بعد الميلاد) نقلاً عن موريس بوكاي: **دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة**، ص١٨. وهكذا فإن النص العبري للتوراة اكتسب وضعه في حدود الوقت فقط في الفترة التي امتدت بين القرنين التاسع والعاشر بعد الميلاد وقد تم ذلك على أيدي اساتذة مدرسة طبرية الماسورية، الذين أنجزوه على أساس أربعة مصادر، النص الإغريقي السبعيني، وترجمة القديس جيروم اللاتينية، والنص الآرامي باللغة السريانية.

أما علماؤنا قديماً وحديثاً فيمكن إجمال رأيهم حوله فيما يلي:

١- قال قوم أنها (أي التوراة) كلّها مُبَدَّلة مغيَّرة، ليست هي التوراة، التي أنزلها الله على موسى عليه السلام، وتَعرَّضَ هؤلاء لتناقُضِها وتكذيبِ بعضها البعض. وممن ذهب إلى هذا الرأي ابنُ حزم الأندلسي في كتابيه «الفِصَل في المِلَلِ والنحل»، و«جمهرة الأنساب» والسموأل بن يهودا المغربي[(١)]، ورحمة الله الهندي.

---

(١) جاء في كتاب **بذل المجهود في إفحام اليهود**، لمؤلفه صموئيل بن يهوذا بن عباس المغربي، وهو من يهود المغرب، انتقل إلى بغداد وأقام فيها زمناً، ثم رحل إلى مراغة حيث اعتنق الإسلام وتوفي عام ٥٧٠ للهجرة، ما يلي:
(لما رأى عزرا أن القوم قد أُحرقَ هيكلُهم وزالت دولتهم وتفرق شملهم، ورُفع كتابهم، جمع من محفوظاته ومن النصوص التي يحفظها الكهنة ما لَفقَ منه هذه التوراة التي في أيديهم. ولذلك بالغوا في تعظيم عزرا غاية المبالغة، وزعموا أن النور إلى الآن يظهر في قبره، الذي عند البطائح بالعراق، لأنه عمل لهم كتاباً يحفظ لهم دينهم، فهذه التوراة التي في أيديهم على الحقيقة كتاب عزرا) انظر: أسعد زروق: التلمود والصهيونية، ص٤٣-٤٤.
ويقول ابن حزم الظاهري في كتابه الفصل: (هنا انتهى ما أخرجناه من توراة اليهود وكتبهم من الكذب الظاهر والمناقضاتِ اللائحة التي لا شك معه في أنها كتبٌ مبدَّلة محرَّفة مَكْذُوبة، وشريعةٌ موضوعة مستعملة من أكابرهم ولم يبق بأيديهم بعد هذا شيء أصلاً ولا بقيَ من فساد دينهم شُبهةٌ بوجهٍ من الوجوه، والحمد لله رب العالمين). وقد حملَ ابنُ حزم بشدة على (قوم من المسلمين ينكرون بجهلهم القولَ بأنَّ التوراةَ والإنجيل اللذين بأيدي اليهود والنصارى محرفان) انظر: الفصل، ١/ ٢٢٤، طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م، وكتابه الآخر جمهرة الأنساب، ص٨، تحقيق الدكتور عبدالسلام هارون، القاهرة، ١٩٦٨م). ففيه توكيدٌ أشدُّ على أن التوراة مصنوعة مُوَلَّدة ليست التي أنزل الله تعالى على موسى عليه السلام، ألبتَّة. وراجع: د. محمود علي حماية: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان.

٢- وذهبت طائفة أخرى من أئمة الحديث والفقه والكلام، مثل الإمام البخاري في «صحيحه» والرازي في «تفسيره» إلى أن التبديل وقع في التأويل لا في التنزيل. ومن حجة هؤلاء أن التوراة قد طبقت مشارق الأرض ومغاربها ولا يعلمُ عددَ نسخها إلا الله؟، ومن الممتنع أن يقع التواطؤُ على التبديل والتغيير في جميع تلك النسخ بحيث لا تبقى نسخةٌ إلا مبدَّلة مغيرة. وهذا الذي نقل إنْ صَحَّ عنهما فهو ضعيف لا يؤبه به.

٣- وذهبت طائفة منهم ابن تيمية الحراني إلى أنه قد زِيْدَ وغُيِّرَ ألفاظٌ يسيرةٌ منها، ولكن أكثرها باق على ما نزل عليه والتبديل في اليسير منها جداً. يقول القاسمي في تفسيره (٦/ ٢٠٨٥): «شرائع هذه الكتب وأوامرها ونواهيها هي أقلُّ أقسامها تحريفاً، وأكثرُ التحريف في القصص والأخبار والعقائد وما ماثلها».

والذي يصح عندنا ونُرجِّحهُ، ما ذكره صاحب «تفسير المنار» (٣/ ١٥٦): التوراة في القرآن هي ما أنزله الله تعالى من الوحي على موسى عليه الصلاة والسلام ليبلِّغه قومَهُ لعلَّهم يهتدون. وقد بين الله تعالى أن قومه لم يحفظوه كله فقال في سورة المائدة: ﴿وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴿١٣﴾﴾، كما أخبر في آيات أُخَر أنهم يُحَرِّفون الكَلِمَ عن مواضعه وذلك فيما حفظوه واعتقدوه[1].

---

(١) اتهم القرآن حَفَظَةَ التوراةِ بأمورٍ منها:

أ- كتمان الحق: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة].

ب- التحريف والتبديل: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴿٤٦﴾﴾ [النساء].

جـ- الوضع والاختلاق: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة].

د- النسيان والإهمال: ﴿وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴿١٣﴾﴾ [المائدة]. =

فهي كوثيقة تأريخية يتطرقُ إليها أكثر من شكٍّ، ففيها التحريفُ وفيها الزيادة والحشو؛ وهو كوثيقة دينية مليئة بالمخازي[1]، التي لا يُتَصوّرُ عقلاً صدورُها عن جهة السماء، واتهامات بالمُجونِ والخلاعة والردة للأنبياء مما يَسْمُو عنها مقامُ النبوة، ومَرَدُّ كلِّ هذه الفترةُ الطويلة، التي استغرقت قرابة ألف عام، والتي جُمِعَتْ ورُتِّبت فيها التوراة.

التحقيق العلمي الحديث والمعاصر للعهد القديم:

في اعتمادنا في متابعة تفاصيل تاريخ اليهودية على مأثورات العهد القديم ومعه التلمود، أعني شِقَّي الكتاب المقدس عند جمهور اليهود: The Tow Fold Torah، التوراة المُدَوَّنة Written Torah، والتوراة الشفوية The oral Torah، فإننا لسنا بغافلين عما أثاره البحثُ النقدي والدراسات الآثارية من شكوكٍ وريبٍ حول مصداقيتهما كوثائق تاريخية موثقة.

ذلك أن مُؤَرِّخَةَ اليهود عامة، سواء مَنْ أقرَّ منهم بهما، وحياً إلهياً لا

= هـ- الكذب والتدليس: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [البقرة].

و- قتل الأنبياء: ﴿وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴿١٥٥﴾﴾ [النساء].

(١) من ذلك:

- أن لوطاً زنى بابنتيه (فحملتْ ابنتا لوطٍ من أبيهما) - سفر التكوين: ١٩/ ٣٠-٣١.
- وأن النبي (داوود زنى بامرأة وحملت منه بالزنا) - سفر صموئيل: ١/ ٢١.
- وأن (سليمان ارتد في آخر عمره بترغيب من زوجاته فعبدَ الأصنامَ) - سفر الملوك الأول: ١١/ ١٧.
- وأن النبي هوشع تزوج من زانية (قال الرب لهوشع: خُذْ لك امرأة زنى) - سفر يوشع: ١/ ٢.

يتطرقُ إلى عصمته شَكٌّ، كما هو عقيدة جمهور اليهود الأرثذوكس، ومعهم الطوائف المسيحية المعروفة بـFundaminalists، أو الذين أنكروا حُجّيتهما وأثاروا شكوكاً عميقة وحاسمة حول مصداقيتهما، باعتبارهما مرويّات مختلقة لا تمت إلى التاريخ الحقيقي بصلة، ومن ثم رفض الإقرار بهما كوثائق معتمدة لكتابة تفاصيل التاريخ العام لليهود واليهودية، وأن جملة ما جاء فيهما أخبارٌ ملفّقة هي أقرب إلى الأساطير والخرافات.

نقول برغم هذا التنافر والتضاد في المواقف، فإن الأمر كان واحداً وسيان عند الفريقين، فالذين أنكروا مصداقيةَ التوراتين، المدونة والشفوية، مثلهم مثل الذين آمنوا بهما وحياً إلهياً معصوماً، قد جعلوا مرويات العهد القديم مُرْتَكزَ الحياةِ اليهودية «Rock - Bed; Guide Posts»، مؤكدين أن اليهود عبر تاريخهم صدروا عنهما في فَهْمِ مسيرةِ التاريخ وتفسيرها، وبهما تعلّقَ الوعيُ الجمعي العام لليهود، فاصطبغ إلى حدود بالغة بما وردَ فيهما من أساطير وخرافات وأخبار ملفقة ومنتحلة، كانت العامل الحاسم في تشكيل معالم الحياة اليهودية عبر العصور والأزمان وأعطتها سماتها المتميزة.

إن النقد التاريخي الذي أنهى العهد القديم إلى ركامٍ من الأساطير لم يُلْغِ تَعلُّقَ عامة اليهود، حتى الملحدين منهم، بما فيه من تعاليم ووصايا ومؤشرات أخلاقية وسلوكية، وهذا النقد على صرامته وغلوّه لم يلغ احتفالات اليهود بأعياد الفصح والخانوكة والشفوط (انظر فيما بعد) باعتبارها مناسبات تُذَكِّرُ بتاريخ وحوادث أحال النقد التاريخي التصديق بها، وكذلك لم يلغ سنة الاختتان والالتزام بأوامر الحلال والحرام.

ومن أهم الدراسات النقدية الحاسمة حول تأريخية العهد القديم، نظرية العالمين الألمانيين يوليوس فلهاوزن وكارل هاينرش كراف، وهما من

البروتستانت، والتي انتهت إلى القول بأن الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى - ع - كتابٌ مُلَفَّقٌ من مصادر أربعة، متباينة، ومتعاقبة زماناً، ولكلِّ مصدر منها ظرفُه التاريخي الخاص به، والذي أفرزه، فجاءت نصوصُ كُلِّ مصدرٍ مرآةً تعكسُ الظروف الإيكولوجية التي ولد فيها النَّص؛ ويمكن تلخيص النظرية في النقاط التالية:

١- إن الأسفار الخمسة لموسى - ع - وهي المسماة تحديداً بالتوراة قد جمعت مادتها من مصادر أربعة، متباينة في تواريخها، مختلفة في مضامينها، وأن هذه الأصول قد جمعت ودُوِّنَتْ من قبل عدد من المحققين: Editors - Reductores تتابعوا قرناً بعد قرن، ورمز ولهاوزن وكراف لهذه الأصول بالأحرف التالية:

أ- الأصل أو المرجع الأول، ورمزا له بالحرف J، وردّا تاريخه إلى القرن التاسع قبل الميلاد، وفيه نزعةٌ واضحة إلى إضفاء الصفات البشرية على الله تعالى (Anthropomorphism) الذي أُشيرَ إليه تعالى باسم Yawa.

ب- الأصل أو المصدر الثاني، ورمزا له بالحرف E، وردّا تأريخه إلى القرن الثامن قبل الميلاد، وفيه يَخفُّ الميلُ إلى التشبيه والتجسيم والمحايثة، ويستخدم اسم: Elohim للدلالة على اسم الجلالة.

جـ- الأصل الثالث ومرزا إليه بالحرف D، وردّا تأريخه إلى القرن السابع قبل الميلاد، وفيه نُزوعٌ واضح إلى تقرير المسائل ذات الصلة بالطهارة الدينية والحلال والحرام والكهانة Religous purity, Dietry laws and priesthood.

د- الأصل الرابع والأخير وقد رمزا له بالحرف P وردّا تأريخه إلى القرن

الخامس قبل الميلاد، وفيه يظهر ويتبلور مبدأُ تنزيه الباري تعالى Transcedentat View of God، ونفي المماثلة والتشبيه.

وأضافا أن هذا الفرض هو السبيلُ الوحيد لحلِّ وجوه التناقض القائمة في الأسفار الخمسة. ومع ما جرى على النظرية من تعديلات كاستبدال مصطلح الأصول الأربعة بسلسلة من المرويات المتوارثة، فإن الاتجاه العام السائد بين علماء نقدِ نصوصِ العهد القديم Biblical Critics قائمٌ حتى اليوم على أن الأسفار الخمسة لم يدونها موسى - ع - وإنما هي مجموعةُ تقاليد تشكَّلت مادتها في أوقات متباينة. على أن إجماع آراء الإصلاحيين هو أن الزمن الطويل الذي مرّ على النقل الشفوي لهذه المرويات قد فسح المجال بلا ريب لنفاذ أفكار ودمج أحداث وكثير من الشعر إلى متن التوراة، إضافة إلى الميول الشخصية التي لعبت دورها في صياغة التوراة النهائية.

وفي دراسة تاريخية مفصلة، ظهرت أخيراً في عدد مجلة تايم الأمريكية (ديسمبر ١٩٩٥) وكتبها Michael Lemonick، وبعد استعراض آراء النقاد حول موثوقية العهد القديم، انتهى صاحب المقال بالإشارة إلى المحصلة النهائية للنقاد، ومؤداها: أن ما ورد في التوراة عن إبراهيم - ع - وأخلافه من بعده: إسحق ويوسف، وقصة خروج الموسويين من مصر، وعبور البحر، وشخصية موسى - ع - نفسه، ونزول الوحي عليه في سيناء، وأخبار يوشع وسليمان، حوادث لا دليلَ تاريخياً على وقوعها، ولا شواهد من التنقيبات الآثارية على أنها وقائع تاريخية وقعت فعلاً، ومن ثَمَّ فلا يمكن اعتبارها جميعاً أحداثاً واقعية.

ويمضي صاحب المقال في القول بأن John Van Seters، الأستاذ بجامعة نورث كاليفورنيا قد أعلن باسم أعضاء جمعية الأدب التوراتي

والأكاديمية الأمريكية للدين، معبراً عن قناعات أكثر النقاد غلواً، ممن يعرفون بـMinimalists، تمييزاً لهم عن أولئك الذي يرون أن العهد القديم ليس اختلاقاً كله، ففيه ما يمكن الاسترشادُ به كمصدرٍ للأبحاث الآثارية Maximalists، فقال بلغةٍ قَطْعيةٍ وحاسمة ما يأتي:

١- إن الأسفار الخمسة لم تدون إلا إبان الأسر البابلي، أي بعد عصر موسى - ع - بسبعة قرون.

٢- وأنه لا وجودَ لموسى - ع - ولا لقصةِ خروجهِ بقومه من مصر العبودية، وليس ثَمَّةَ وحيٌ نزل عليه بسيناء، فهذه كلها من قبيل الأساطير المختلقة.

ومعلوم أن هذا الموقف النقدي قد طال أيضاً العهدَ الجديد (الإنجيل) الذي لم يَنْجُ هو الآخر من حملات التفنيد، وأنه رواياتٌ مختلقة لا أصلَ لها، وهكذا ففي رأي النقاد أن قصة محاكمة السيد المسيح - ع - من قبل قيافا رئيس المجلس الديني لليهود، وأحداث عذاباته وصلبه؟ وقيامته لا تعدو أنْ تكونَ أساطيرَ لا صلةَ تربطها بوقائع التاريخ، وهو ما أكده ابتداء: رودولف بولتمان في كتابه الذائع الصيت: Thelogy of New Testament, Eng, Tran, K. Grobel (Charles Seribner's Sons - 1951) P;134.

وأثبته أيضاً صموئيل ساندميل، في كتابه: A Jewish Understanding of the New Testament, Cincinati, Hebrew Union Colleg - 1957) P:128.

وكذلك أميل بتنر في كتابه: Chiristian Doctrine of God, Eng, Tran (London - 1949).

ثانياً: التلمود والمشنا والجيمارة:

إن مكانة التلمود متناقضة بالرغم من شهرته ومكانته العالمية فهو من جهة يُحتَرَمُ ويُقدَّسُ وينظر إليه على أنه وحي سماوي، وشريعة شفوية ملزمة نقلت عبر العصور شفاهاً عن طريق سلسلةٍ من الرواة الثقات. ومن جهة أخرى يُحارَبُ ويُحتقَرُ وينظر إليه على أنه من وضع الشيطان، والذي يعنينا هنا هو أن نبين أن التلمود أدبٌ صادق من حيث أنه سجلٌ للعقلية اليهودية ونظرتها إلى الحياة، ومذاهبها وموقفها من غير اليهود.

والتلمود[1] Talmud معناه التعاليم أو الشرح والتفسير أي يعلّم، وهو

---

(١) الرأي المعتمد عن الربائيين هو أن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، كان قد تلقى في سينا شريعتين، أو توراتين في عرفهم، التوراة المدونة Torah she-bi-ketab التي كتبها موسى - ع - بإملاء مباشر من الله تعالى God's Dectation.
والتوراة الشفوية Torah she- be- Al- peh التي نقلت عبر سلسلة معصومة من الرواة الثقاة من موسى - ع - إلى قادة اليهود وعنهم إلى الفريسيين ويقصدون بالأخيرة: السنن والتقاليد المتوارثة المتواترة التي تنقل شفاهاً، وهي التي شكلت من بعد مادة التلمود ومفرداته.
والتلمود باعتباره الجامع لهذه السنن المتوارثة المتواترة جيلاً بعد جيل، قد اكتمل جَمْعهُ وشرحه وتفصيله عبر فترة زمنية طويلة، عرفت كل حقبة منها باسم فئة من العلماء، وكما يلي:
أ- **عصر التنائيم** (Tannaim): المعلمون في فلسطين من سنة ٧٠-٢٠٠م، وهم المتخصصون بتدريس الميشنا ورأسهم وكبيرهم يهودا الناسي Yahada Ha Nasi الجامع للميشنا عام ٢٠٠م.
ب- **عصر الأمورائيم** Amorraim: المتكلمون والجدليون في فلسطين والعراق في الفترة ٢٠٠-٥٠٠م، وقد اهتم هؤلاء بالشرح المفصل لمفردات التلمود عبارة فعبارة، وبذل الجهد من أجل رفع التناقض بين عباراتها، وقد تركزت جهود هذه الطبقة بمعهد صورا بأرض بابل حيث توافد الآلاف من طلبة الدراسات الدينية =

= على هذا المركز، الذي صار بزعامة أبّا أريكا - Abba Arika (١٧٥-٢٤٧) ملتقى الثقافة اليهودية.

جـ- **عصر السبورائيم** Saboraim (المفكرون) الذين أخذوا على أنفسهم إعادة البحث والنظر في أقوال الطبقة السابقة وتقويمها، مع مزيد شرح وتفصيل، وقد اختص به علماء اليهودية في العراق في الفترة (٥٠٠-٥٨٨م)، في المعاهد الدينية التي أقاموها على نهر الفرات، مثل دعه (عنه)، وبمباديثا (الأنبار)، وصورا بأرض بابل وما حوزا (المدائن الحالية).

د- **عصر الغاؤونيم** Geonim العلماء المشاهير أصحاب السلطة الروحية ويمتد للمدة من ٥٨٩-١٠٣٠، وخاصة في معاهد صورا، حيث استطاعت هذه الطبقة بفضل ما كانت تتمتع به من حرية دينية في ظل السلطان العربي، من جعل أحكام وقواعد التلمود البابلي النظام العام للحياة العامة لليهود في العالم، ومارسوا سلطة روحية واسعة على جماهير يهود أشتات.

هـ- **عصر الفتاوى والمجامع الدينية والمدوّنات الفقهية**: وفي فترة الحروب الصليبية وما تلاها، وبسبب ما نزل باليهود من اضطهاد وتصفيات جسدية وتهجير قسري جماعي عن دول أوروبا وما أصابهم من شتات جديد وظهور مجتمعات يهودية جديدة، متباينة في ثقافتها، ولغياب السلطة الروحية المركزية، فقد ساد أوساط اليهود حالاتٌ من الفوضى الفكرية واختلاف في الآراء والاجتهادات ومن ثم فقد حاول علماء التلمود تجاوز حالات الفرقة والضياع، وذلك من خلال محاولة فقهائهم أمثال: راشي (١٠٤٠- ١١٠٥) رأس المدرسة التلمودية بفرنسا وأحفاده من بعده (سلمون بن إسحاق ١٠٤٠- ١١٠٥) والفاسي (إسحاق بن يعقوب ١٠٣٠-١١٠٣) وموسى بن ميمون (١١٣٥-١٢٠٤) ويوسف كارو (Joseph Caro) صاحب المدونة الفقهية الجامعة والمعتمدة عند اليهود عامة والتي نشرت عام ١٥٦٥، والمعروفة عند القوم بالمائدة العامرة Shullana rukh - The well prepared Table، بإعادة تنظيم وتدوين وشرح القواعد الشرعية من خلال عمليات ثلاث: كتابة شروح جديدة (Commentaries)، أو إصدار الفتاوى (Responsa) أو وضع مدونات فقهية جامعة (Cods). انظر ابشتاين، المصدر

عبارة عن مجموعة الشرائع المدنية والاجتماعية اليهودية المتوارثة. وهو يتكون من (**المشنا**) Mishnah، أي التثنية أو الإعادة - Review، يفيد اللفظ في العبرية الحِفْظَ والتعليم، ويشكِّلُ الجزءَ الأول من التلمود، وهو تَقنينٌ للروايات الشفوية المتواترة، ورتبت مادتها حسب المسائل وصُنِّفت تبعاً لذلك إلى ثلاث وستين عنواناً، ومن **الجيمار** (Gemara) وهي كلمة آرامية تفيد الإتمام Completion، والمشنا يشكل النص والمتن، في حين تمثل الجيمارة الشرح والتفسير، ويشمل المشنا على الشريعة المعروفة باسم (هالاخاه) Halacha من الفعل Halacha ويعني الإتيان، وهي الإضافاتُ التي أضافها الآباء الأولون إلى التوراة وهي تكون الشريعة غير المكتوبة أعني التي جاءت عن طريق التواتر والرواية.

وقد جمعت الميشنا في حوالي عام ٢٠٠م، أما الجيمارا فشرحٌ على الميشنا وهما معاً يكونان مجموعة كاملة من الفتاوى الشرعية (Corpus Juris). ويفرق العلماء عادة بين تلمودٍ أورشليميٍّ فلسطينيٍّ غربي وآخرَ بابليٍّ، وبين الاثنين اختلافاتٌ في المادة والمضمون وفي الأسلوب والتنظيم وفي اللغة أيضاً.

ويمتاز التلمود الأورشليمي بأن كل موضوع من موضوعاته التي يعالجها مسبوقٌ بنص الميشنا الذي يفسره ويشرحه، وبالمقارنة مع التلمود البابلي فإنه يبلغ ثلث حجم الأخير، وهو مدوّنٌ باللغة الآرامية الغربية، ويبدو ناقصاً مشوهاً في ترتيبه ومظهره إذا ما قُورِنَ بسميِّه البابلي.

= نفسه، ص٢٥٢-٢٥٣، وأيضاً: دائرة المعارف، الدين والأخلاق، مادة اليهودية، ولمزيد من التفصيلات قارن:

دان كوهن شيربوك، المصدر نفسه، ص١٣.

ليوترب، المصدر نفسه، ص٢٢٥.

أما التلمود البابلي فيمتاز باشتماله على النص الكامل للميشنا، أما تاريخه فيتصل اتصالاً وثيقاً بالسبي البابلي، وهو مدون باللهجة الآرامية، ولأنه كتب في فترة اتسمت في تاريخ اليهودية بالهدوء والاستقرار والتمتع بالحرية في إنشاء المدارس الدينية، فقد جاء أسمى وأفضل من سَمِيِّه الأورشليمي في اعتبارات التنظيم والترتيب والمضمون، وينقسم التلمود إلى كتب وأقسام تعرف بـ(السيدريم Sedarim) يعالج كل سيدر منها موضوعاً من مواضيع الشريعة، وعدد السيدريم ستة: وينقسم كل سيدر إلى عدد من الفصول Massechot مجموعها ثلاثة وستون فصلاً.

أ- زراعيم Zeraim: وهو يعنى بالزراعة والغرس ونصيب الحاخام من المحصول.

ب- موعد Moed: ويتحدث عن أحكام السبت وعيد الفصح وعيد الغفران وعيد رأس السنة والصوم.

جـ- ناشيم Nashim: النساء، عن الخطبة، والنذور، والطلاق وأحكامه، وعقد الزواج والخيانة الزوجية.

د- نزقين Nazikn: كتاب الثلث والأضرار، وسواها من باب المعاملات.

هـ- قدشيم Kodashim: المقدسات، وهو كتاب الذبائح والحلال والحرام منها، والزكاة والنذور والقرابين.

و- طهاروت Toharoth: كتاب الطهارة والحمام والمغاطس ونجاسة المرأة ووسائل الطهارة.

ثالثاً: أركان الدين اليهودي:

كما لخصها الفيلسوف والفقيه المتكلم موسى بن ميمون في كتابه «دلالة الحائرين».

أ- أنا أؤمن إيماناً تاماً أنَّ الخالقَ تبارك اسمُه موجودٌ وخالق ومدبر كافة المخلوقات وهو وحده صنعَ ويصنعُ كل الأعمال.

ب- أنا أؤمن إيماناً تاماً أن الخالق تبارك اسمه، واحد ليس لوحدانيته مثيلٌ على أيِّ وجه كان (مبدأ التوحيد).

جـ- أنا أؤمن إيماناً تاماً أن الخالق تبارك اسمه، ليس تجسيداً، وهو مُنَزَّهٌ عن أعراض الجسد وليس له شكل مطلقاً (نفي التشبيه والتجسيم).

د- أنا أؤمن إيماناً تاماً أن له وحده تليقُ الصلاةُ والعبادة ولا تليق بغيره. (توحيد الربوبية).

هـ- أنا أؤمن إيماناً تاماً أن الخالق تبارك اسمه هو الأول والآخر.

و- أنا أؤمن إيماناً أن كل كلام الأنبياء حق (أنبياء بني إسرائيل).

ز- أنا أؤمن أن نبوة موسى عليه الصلاة والسلام حقيقة، وأنه كان أباً للأنبياء الذين كانوا قبله والذين بعده.

ح- أنا أؤمن إيماناً تاماً أن الشريعة الموجودة بأيدينا هي المُعطاة لسيدنا موسى عليه السلام.

ط- أنا أؤمن إيماناً تاماً أن هذه الشريعة لا تغير ولا تكون شريعة من لدن الخالق تبارك اسمه (إنكار النسخ في الشرائع)[1].

---

(١) قال الشهرستاني في كتابه (الملل والنحل، على هامش الفصل، ص٢): «اليهودية =

ي- أنا أؤمن إيماناً تاماً أنه عالم بكل أعمال بني البشر وأفكارهم.

ك- أنا أؤمن إيماناً تاماً أنه يكافىء الذين يحفظون وصاياه ويعاقب الذين يخالفونها.

ل- أنا أؤمن إيماناً تاماً بمجيء المنتظَر ولو تأخر إني أنتظر مجيئه (فكرة الموعود المخلِّص)(١).

= تدعي أن الشريعة لا تكون إلا واحدة وهي ابتدأت بموسى وتمت به، فلم يكن قبله إلا حدود عقلية وأحكام مصلحية، ولم يُجيزوا النسخَ أصلاً، قالوا: فلا يكون بعده شريعة أخرى، لأن النسخ في الأوامر بداء: ولا يجوز البداء على الله.

(١) أشرنا في مقدمة الكتاب إلى أن عقيدة المخلص المنقذ المنتظر تشكل إحدى أأخص خصائص التاريخ اليهودي، وإن هم اختلفوا في تفسيرها مذاهباً. وترد أول إشارة إلى العقيدة في سفر إشعيا: ١١ - «مملكة السماء» حيث «سيخرج من جذع يسّى (أبو داود - ع -) وينمو غصنٌ من أصوله، روحُ الرب ينزلُ عليه، لا يقضي بحسب ما تراه عيناه. ولا يحكم بحسب سماع أذنه. بل يقضي للفقراء بالعدل. وينصف الظالمين بكلامٍ كالعصا. ويُميتُ الأشرارَ بنفخة من شفتيه. يكون العدلُ حزاماً لوسطه. والحق مئزراً حول خصره. فيسكن الذئب مع الخروف، ويبيت النمر بجانب الجدي».
وبحسب المآثر التوراتية، يسبقُ ظهورَ المنقذ المخلص عودةُ النبي إيليا، الحيّ الغائب المنتظر، الذي ارتفع في العاصفة إلى السماء في مركبة نارية وخيل نارية فصلت بينهما، ويقول الرب تعالى لبني إسرائيل: «ها أنا أرسل إليكم إيلياء النبي قبل أن يجيء يوم الرب العظيم الرهيب» - سفر ملاخي ٢٣: ٣-٢٤. ومن ثم فعلى اليهودي أن ينتظر ظهوره وقدومه مهما تأخر: «إن أبطأت فانتظرها، فهي لا بد أن تجيء ولا تتأخر» - سفر حبقوق: ٣.

م- أنا أؤمن إيماناً تاماً أنه ستكون قيامة الأموات (عقيدة البعث الأخروي والقيامة)[1].

---

(١) جاء في كتاب المنية والأمل في شرح الملل والنحل من تأليف الإمام الزيدي ابن المرتضى: «واتفق المتقدمون منهم على البعث والجنة والنار ودوامهما»، ص٨٥؛ وهذا خلاف ما يُشاعُ عن أن اليهود عامة يُنكرون البعثَ والقيامة بإطلاق، وسنفصل الحديث عن القضية عند الكلام عن الفرق والمذاهب اليهودية.

الفصل الرابع
المذاهب والفرق اليهودية

ترتبط نشأة المذاهب والفرق اليهودية بعاملين رئيسين هما:

أولاً: خضوع بني إسرائيل للهيمنة والاحتلال والسيطرة الأجنبية من آشورية وبابلية ومصرية وفارسية ورومانية، وما كان يُصاحِبُ هذا الاحتلالَ الأجنبي ويرافقه من عمليات تهجيرٍ قسري عام، واضطهاد ومعاناة، وما تُولِّدُه من ردود فعل دينية، متباينة؛ متنوعة ومتعارضة؛ في صورها وأشكالها، تفاوتت بين الدعوة إلى الثورة والتمرد على القوى الأجنبية ووجوب مجابهتها بالقوة وحمل السلاح ضده - كما كان الحال - كما أسلفنا - مع الثورة المكابية عام ١٦٥ ق.م، والحرب الأهلية ضد الرومان بين عامي ٦٦-٧٠م، أو الاستسلام للأقدار والارتكاس في غيبوبة كاملة عن الواقع وتحدياته، بدعوى أن الاحتلالَ الوثني، واستهانةَ الغزاةِ باليهود وشرائعهم وتقاليدهم المتوارثة عن الأسلاف، نقمةٌ ربانية نزلت باليهود لجنوحهم عن دين موسى - ع - وارتدادهم عن التوراة، وليس لهم إلا انتظار المخلِّص الموعود من آل داوود لإنقاذهم مما يعانون من قتل واضطهاد ومعاناة - كما كان الحال مع الحاسديم التقاة - أو اتِّباع سياسة المُخاتلةِ والتوافق والتفاهم مع الأعداء طمعاً في الحصول على قدر من التسامح الديني الذي يهيِّىءُ لليهود فرصةَ العودة إلى دراسة التوراة، وتنمية مشاعر الالتزام بوصايا (الربّ) والانكباب على دراسة التوراة والتلمود، تقنيناً وشرحاً وتوضيحاً، صدوراً عن عقيدة راسخة مفادها أن مرتكز

الوجود المعنوي لليهود هو التوراة، فهو الكفيلُ بالحفاظ على هويتهم الدينية ووجودهم المعنوي - كما كان الحال مع الصدوقيين الأرستقراطيين وهليل الناسي.

ثانياً: تأثيرات الثقافات الأجنبية التي كانت تتزامن عادة وتتولد عن السيطرة الأجنبية المباشرة، أو عن عمليات التهجير الجماعية لليهود إلى بيئات جديدة لها مكوّناتها الثقافية، واضطرار اليهود للدخول معها في تبادل ثقافي - كما كان الحال إبّان الأسرِ البابلي والهيمنة الهلّينية الوثنية أيام الحكم الروماني المباشر على فلسطين ٦٦-٧٠م.

فمن المعترف به من اليهود أن معالمَ اليهودية، وبُنيانَها الفكري النظري والعملي، إنما استكملَ شروطه إبان الأسر البابلي، كالتوحيد الخالص والإيمان بيوم البعث والقيامة وجمع التوراة، وكتابة التلمود.. إلخ، كذلك أمر معترَفٌ به ما تركته الفلسفة الهلّينية ذات التوجهات الوثنية والتي كانت لها السيطرة الثقافية بعد فتح الاسكندر المقدوني لبلاد الشرق، وأيام أخلافه من السلوقيين والبطالسة. ذلك أن الهلّينية كانت إطاراً فلسفياً جامعاً لثقافة وثنية، صادرة عن روحٍ تعددية لا تؤمنُ بالتوحيدِ والتنزيه، وتؤلِّهُ القيصرَ الإله، وتفرض عبادته قسراً، مع طقوس وثنية أخرى، على مَنْ يخضع لسلطانها السياسي جبراً.

وهكذا نشأت في جنبات الفكر الديني اليهودي، وعلى ساحته، خاصة في القرنين السابقين على ظهور السيد المسيح، والقرن الأول المسيحي مذاهب دينية - سياسية أربعة، أسماها يوسيفوس، المؤرخ اليهودي المعروف، الذي عاش في القرن الأول الميلادي بـ«الفلسفات الأربع»[١]

(١) يوسيفوس - Josephs - مؤرخ يهودي معروف ولد عام ٢٧م، وينتمي إلى عائلة =

تعبيراً عن غربة هذه المذاهب عن التيار الربائي الممثل لليهودية الصحيحة، وتقاليدها المتوارثة، وإنها - أي المذاهب - إنما كانت وليدةَ تأثيراتٍ فلسفية أجنبية غريبة عن اليهودية، ولا تَمُتُّ إليها بصلة ما.

وهكذا نلتقي في الفترة المشار إليها آنفاً ٢٠٠ ق.م - ١٠٠٠م بأربع فرق متخالفة متباغضة تقف بصورة عامة مقابلاً للربائية المتوارثة، هي:

- الفريسيون: The Pharisees.
- الصدوقيون: The sadducees.
- الأسينيون: The Essenes.

الغيوريون: The Zealots.

القراؤون: The Karaites[1].

وسنحاول في هذا الفصل بيان نشأة كل فرقة، وما اختصت به من عقائد، ووفق منهج مقارن يوضِّحُ أوجه الشبه والمخالفة بينها.

أما السامريون Samiritans فلا يعدون في نظر اليهود فرقة يهودية،

= كهنوتية من اليهود معروفة وأشهر كتبه:

☆ حرب اليهود The Jewish War: ويغطي الأحداث الدموية التي مرت باليهود من أيام أنطيخوس، ابيفانوس، والثورة المكابية ١٦٤-١٧٥ ق.م.

☆ العاديات اليهودية The Jewish Antiquities: ويؤرخ فيه لتأريخ بني إسرائيل من أقدم العصور وحتى الحرب الأهلية التي خاضها اليهود ضد الرومان وانتهت بالتدمير الكامل وبداية عصر الشتات الأكبر للقوم عام ٧٠م.

☆ الرد على أبيون Against Apion: وهو دفاع جدلي عن اليهودية ضد ما رماها به هذا الكاهن الوثني.

(١) ولم يتحدث يوسيفوس عن القرَّائين، لأنهم ظهروا بعده بعدة قرون، فقد تزامن ظهورهم مع الإسلام كما سنرى.

وإنما هم في نظرهم ديانة هجينة تلفيقية Syncritic Religion، ومن ثم فستتكلم عنها من هذا الوجه أيضاً.

وفي العصور الحديثة كذلك لا تتبدى اليهودية كما يقول دان كوهين شيربوك[1] في صورةِ بُنْيةٍ دينية وفكرية أُحاديةِ الإطارِ والنظرة، وإنما تشكلت أيضاً نتيجة المواجهة الحضارية بين اليهود والحضارة الغربية والثقافة المحدثة في صورة اتجاهات متعارضة، لا يكاد يجمعها جامع موحّد.

وسنتركُ الكلام عن الاتجاهات الحديثة في اليهودية، للقسم الثاني من هذا الكتاب الذي سيفصل القول في هذه الاتجاهات على لسان أحد أكبر ربائيِّ اليهودية في القرن العشرين آيسدور أبشتاين.

القرّاؤون Karaites:

اسمهم من الفعل قرأ، ظهروا بأرض بابل في منتصف القرن الثاني للهجرة (الثامن الميلادي) وتزامن ظهورهم مع تعاظم قوة الإسلام وانتشار سلطانه. وهكذا واجهت اليهودية خطران معاً، وفي آنٍ واحد: أولهما: داخليٌّ تَمثَّلَ في نشأة هذه الفرقة المنشقة عن إجماع الربائيين المعترفين بالتلمود، باعتباره شريعةً شفوية منزلة، لا تقلُّ عن التوراة قيمةً وأهمية، وثانيهما: خارجي تمثل في ظهور الإسلام وتعاظم سلطانه الذي امتد ليشمل منطقة الشرق القديم بأكملها في بضع سنين.

أنشأ هذه الفرقة عظيمٌ من عظماء اليهود يدعى: عنان بن داوود أيام

---

(١) انظر: دان كوهين شيربوك حيث يقول؛ (المصدر نفسه - ص٣:

Judaism ceased to be a monolisthic stracture; Instead today it is devided into a variety of sects with profoundly different crientations).

الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (ت١٥٨هـ- ٧٧٥م). وكان عنان مرشحاً لتولي منصب أمير اليهود في المهجر [الأكسيلاخ - رأس جالوت Exilarchate Resh Galuta]؛ ونظراً لما عرف عنه من غلوٍّ ونزعةٍ متطرفة وتأويلات عدّها الربائيون تحريفاً وجدفاً، فقد تجاوزوه إلى أخيه الأصغر سناً منه، مما تَسبَّبَ في خروجه عن القوم، وانشقاقه عنهم، مؤسساً مذهبه الذي لا يقرّ ولا يعترف بشرعية التلمود، وعرف هو وأتباعه بأبناء: «الكتاب - الحرفيون - Sons of the Scripture»؛ وفي وجه المعارضة القوية التي لاقاها اضطر إلى ترك بابل والالتجاء إلى القدس. وقد انتهى التأويل والاجتهادات والتفسيرات الذاتية بالمذهب إلى جماعات متباغضة ومتخالفة مما أدى إلى ضمورهم تأريخياً بمرور الزمن.

ومن مشاهيرهم الذين كتبوا مدونات في تفاصيل مذهبهم ونقض دعاوى الربائيين عنان بن داوود مؤسس المذهب ومؤلف كتاب «**الوصايا**» وابن ساقوية صاحب كتاب «**الفضائح**» بالعربية ويعقوب القيرقيساني مؤلف كتاب «**الأنوار والمراقب**» بالعربية، وابن الهيتي وداوود الفاسي وبنيامين النهاوندي مؤلف كتابين مهمين بالعبرية أحدهما كتاب «**الفرائض**» والآخر كتاب «**الأحكام**».

وقد تصدى أكبر ممثلّ للربائيين، سعيد بن يوسف الفيومي المعروف **بسعدايا الفيومي** (٨٩٢- ٩٤٢م) بالرد على القرائيين، كما هو واضح في كتابه المعروف «**الأمانات والاعتقادات**»، ورسالته الثانية الموسومة بـ «**الرد على المتحامل**»، التي نشرها هـ. هيرشفيلد في (الفصلية اليهودية، العدد ١٨، ص١١٣- ١١٩). وقد أنهت هذه المواجهة، التي قادها الفيومي وجود القرائيين، الذين تَحوَّلُوا إلى أقلية دينية صغيرة واصلت حياتها في تركيا وشبه جزيرة القرم ومصر، التي هاجروا منها أخيراً إبان حرب

السويس بعد عام ١٩٥٧م. وتعيش بقيةٌ منهم اليوم في فلسطين قرب الرملة وتل أبيب، ويقدر عددهم بعشرة آلاف نسمة، ويتحدث أبناء الفرقة في شبه جزيرة القرم لغة تركية قديمة، ويتشابهون في الملبس والعادات والعوائد بالشعوب التركية.

وقد لخص أحد شعراء القرائيين المدعو موسى الدرعي، المولود بالاسكندرية في القرن الثاني عشر مواضع الخلاف مع التلموديين في منظومة شعرية، جاء فيها:

حاشا لله أن أنضمَّ إلى الأشرار أو أمشي في طريقهم،
وحاشا لله أن أسمع تخرّصاتهم الكاذبة وسخرياتهم،
أو أقبل افترآاتهم أو أسمع أباطيلهم،
أو أدرس فرائضهم من مَشْناتهم، التي ابتدعوها بأنفسهم،
وسأرفض دائماً أنها شريعة شفوية مقدسة،
أمر بها إله الشعب على جبل سيناء ليعزز بها هذه الأباطيل الكاذبة،
بل لا أؤمن إلا بشريعة مكتوبة،
أعطاها الإله إلى شعبه، وهي شريعة واحدة[١].

وأهم تعاليم القرّائين: عدم الاعتراف بالتلمود، كمصدر فقهي يفيد التشريع والتقنين، ورفض مطلق للشريعة الشفوية، أو الالتزام بها باعتبارها أموراً مبتدعة وغير ملزمة (Human Fabrication) مع التشدد في الالتزام بحرفية نصوص التوراة فقط، وكان شعارهم الجامع: [اقرؤوا التوراة واتركوا التلمود].

---

(١) انظر: الدكتور جعفر هادي حسن: فرقة القرائين اليهود (مؤسسة الفجر - بيروت - لندن، ١٩٨٩)؛ ص٦٣.

ولخَّص عنان مذهبه بقوله: «فتش بدقة في النصوص ولا تعتمد على رأيي - Search thoroughly in scripture and do not rely on my opinion»[(١)]. فخلافهم مع الربائيين ليس في مسائل العقيدة، وإنما في جانب التشريع، وعلى ذلك فقد حَرَّمَ عنان الزواجَ أو الدخولَ في علاقات زوجية مع الربائيين. وبالمقابل فقد حرم الربائيون الزواج منهم، وإذا وقع عَدُّوه زِناً، واعتبروا الطفلَ المولودَ من هذا الزواج طفلاً غير شرعي لا ينتمي إلى شعب الله المختار، باعتباره نجساً.

ويتمايزون بالتمسك بظواهر النصوص ومعانيها الحرفية ويحرمون التأويل، ومن هنا تسميتهم بأهل النص والحرفيين (Scripturalists)، سوى الآيات المتشابهات في التوراة، مثال ذلك عملاً بنص التوراة (سفر الخروج: ٣٥/ ٣): [كل مَنْ يعمل يقتل] حَرَّمُوا العملَ في السبت فلا يجوز في دينهم الخروج من الدار أو الانتقال أو الحركة داخل البيت من غرفة إلى أخرى أو غسل الوجه أو لبس المعاطف والأحذية سوى لبس القميص. وعملاً ووقوفاً عند ظاهر النص التوراتي (سفر الخروج: ٣٥/ ٤): [لا تشعلوا ناراً في جميع مساكنكم يوم السبت] حرموا الإضاءةَ وإشعالَ النار ليلة ونهار السبت، ويقضون ليلهم ونهارهم في ظلامٍ دامس وبردٍ زمهرير إذا اقتضى الحال. وعملاً بنص التوراة (سفر الخروج: ١٥/ ٢٦): [فإني أنا الرب شافيك]، حرموا التداوي في الحالات المَرَضية، واعتبروا المداواة تدخلاً في التقدير الإلهي. وعملاً بنص التوراة [العين بالعين] رفضوا قبول الدية في القتل، والتي أجازها علماء التلمود.

ويتميزون عن الربائيين أيضاً بالتعنت والتشدد والتصلب في أداء الطقوس

---

(١) انظر: دان كوهين شيربوك، المصدر نفسه؛ ص١٥. وأيضاً: ليوتريب، المصدر نفسه، ص٣٧-٣٨.

والعبادات المستفادة من ظاهر نصوص التوراة.

ويميل القراؤون في مسائل القضاء والقدر إلى القول بالاختيار الإنساني وحرية الإرادة، خلافاً لما ذكره الشهرستاني: «الربائيون كالمعتزلة والقراؤون كالمجبرة فينا»[1] ويرى المناوئون لهم أن عقائدهم مركبة، فهي مزيج من اليهودية والمسيحية والإسلام؛ كاعتقادهم في تحديد مواقيت الأعياد والمناسبات على الرؤية المباشرة لمولد الهلال، وخلع الأحذية عند الدخول إلى الكنيس، وإقامة النافورات والأحواض في باحة الكنيس للوضوء، وهم يعتقدون أيضاً بتناسخ الأرواح.

الفريسيون Pharisees:

اسم هذه الفرقة من الكلمة العبرية Perushim، التي قد تعني المدح بدلالة: الذين اعتزلوا غيرهم Those who seperated themselves، أو بدلالة القدح والذم أي المنفصلون والمفصولون من غيرهم Seperated ones[2]. واعتبروا أنفسهم أكثر الجماعات اليهودية التزاماً بالتوراة،

---

(١) أحصى ابن ساقويه في كتابه (**الفضائح**) عشر مسائل خلافية بين القرائيين والربائيين، (انظر: Karaite» (Nemo Y Leon Yale University Press 1952 Anthology» ولمعرفة مفصلة عن وجوه الخلاف هذه (انظر: «**كتاب الخزري**»، تحقيق وترجمة هيرشفيلد، لندن ١٩٣١، ص١٦٦).

(٢) هذا شبيه باسم المعتزلة في تراثنا، ففي حين فهم المخالفون لهم الاسم وحمّلوه معنى الانفصال عن أهل السنة والجماعة، فالمعتزلة هم «المنفصلون»، فإن شيوخ المعتزلة أنفسهم حملوا الاسم على معنى المدح، وقالوا: إنهم اعتزلوا المنحرفين عن الحق، واستشهدوا بقول الله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴿١٦﴾﴾ [الكهف] وقوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾ [الدخان]. وقد حاول كولدتسيهر، بناءً على هذه التسمية - ربطَ مدرسة الاعتزالِ في الإسلام بالفريسيين، عبر مقارنة ظاهرية سمجة، لا غير، انظر كتابنا: «**دراسات في الفرق** =

ويعدّون أكثر المفسرين للتوراة دقة[1] ولهذا فأخروا الآخرين باعتبارهم السلف الصالح لآباء الشريعة الموسوية. وعُرِفَ عامَّتُهم بالزهادةِ في الحياة، فكان قصارى هَمِّهم الحياة وفاقاً لتعاليم التوراة، من غير التزام بحرفية نصوصه، وإنما السلوك وفق تفاسير عزرا ونحميا للأسفار الخمسة، آخذين في فهمهم وتفسيراتهم التحولات التأريخية التي أفرزها الأسر البابلي بنظر الاعتبار؛ ومن هنا تسميتهم بـ«المُجَدِّدين الأحرار في فهم التوراة وتفسيره»[2].

وكانت العلاقة بينهم وبين معارضيهم من الصدوقيين[3] متوترة باستمرار،

= والعقائد الإسلامية» (مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٤- ١٩٨٤ بيروت) ص١٠٧ وما بعدها.

(١) بهذا وصفهم يوسيفوس في كتابه «حرب اليهود»، ص٨٠٠.

(٢) بهذا وصفهم يوسيفوس في كتابه «حرب اليهود»، ص٨٠٠.

(٣) يقول المرحوم عباس محمود العقاد: «الصدوقيون: إنهم على الجملة أصحاب أنصار المحافظة والاستقرار، وأصحاب الوجاهة والثراء. وخلاصة الآداب الصدوقية أنهم حَرْفيون في مسائل الدين، متوسِّعون في مسائل المعيشة، وأنهم يعاشرون الأجانب ولا يعتزلونهم كسائر أبناء قومهم، لأن أعمالهم ومراكزهم متصلة بذوي السلطان.. وكانوا أقربَ اليهود إلى الأخذِ بالحضارة اليونانية وعادات البيئات الرومانية.. وكانت الحملة على السيد المسيح بقيادة اثنين من كبار الصدوقيين وهما «حنانيا» و«قيافا» ولم يكن في ذلك عجب، لأن الصدوقيين جميعاً يحافظون على سلطان الهيكل، ومحافظون على النظام القائم ولا يستريحون إلى الثورة والانقلاب - انظر: المجموعة الكاملة لمؤلفات الأستاذ عباس محمود العقاد، (دار الكتاب اللبناني - بيروت؛ المجلد الحادي عشر) «الطوائف اليهودية في عصر الميلاد» ص٢٤٢.

وفي الجانب المقابل كان الفريسيون: أي المنفصلون، وإن كانوا يطلقون على أنفسهم لفظ «الأصحاب» ينتمون إلى الطبقات الشعبية ويحظون لديها بنفوذٍ وتقدير=

ذلك أن الصدوقيين كانوا يمثلون طبقة رجال الدين والأرستقراطية المدنية، ويرفضون العادات والعقائد التي تتولد في الأوساط الشعبية وفي صفوف رجال الدين من الطبقات الوسطى، ممن اتهمهم الصدوقيون بالضحالة والجهالة. ومع هذه التهمة المَقَاسية فإن أغلب علماء التوراة برزوا بين ظهراني الفريسيين، فنحن - كما يشير زايتلن[1] - لا نسمع عن كَتَبةٍ صدوقيين، إذ لا ذِكْرَ لهم في التأريخ.

وفي عرف الفريسيين ودينهم، فإن الوحي الموسوي يشمل كلا التوراتين المدوّنة والشفوية، كذلك لم يكن لهم كبيرُ اهتمام بالأمور السياسية وشؤون الحكم، ما داموا أحراراً في الإيفاء بواجباتهم الدينية؛ وبهذه المثابة لم يكونوا حزباً سياسياً ولا فرقة دينية، بالمعنى الدقيق، قدر ما هم أتباع

= كبيرين، منذ نشأت فرقهم في عهد المكابيين، حيث نجحت آنذاك في مقاومة الحركة الهلّينستية، وكانت لهم ثلاث سمات كبرى مميزة. أولها: عدم اقتصارهم على نصّ الشريعة المدون واعتبارهم للسنن الدينية الشفوية - ومن هنا ونظراً لانتساب العديد من الكتبة إلى فرقتهم - كان شغفهم بالجدل في المسائل الشرعية واستنباط الأحكام المعقدة لها، أما الأساس الثاني الذي قامت عليه شهرتهم فهو حرصهم الشديد على الطهارة الشرعية والبحث عن أفضل الطرق لقضائها على الوجه الأقدس، لذا عرفوا بغيرتهم الدينية وحماستهم المفرطة، ثم كان اعتقادهم الراسخ في البعث الجسماني، العلامةَ المميزة لهم عن الصدوقيين المُنْكِرينَ له. والجدير بالملاحظة أن حواريي عيسى الاثنى عشر كانوا فيما يبدو من الفريسيين فكان موقفهم من الدعوة الجديدة (دعوة عيسى - ع -) مزدوجاً ومتقلباً. انظر: عبدالمجيد الشرفي: الفكر الإسلامي في الردّ على النصارى حتى القرن الرابع/ العاشر (الدار التونسية للنشر - ١٩٨٦) ص٢٥-٢٦. وللمقارنة راجع:

- ليوترب - المصدر نفسه، ص٣٣.
- آلن أونترمان - المصدر نفسه، ص٥١.

(١) زايتلن: المصدر نفسه، ص١١.

حركة دينية - اجتماعية Asocio - Religious Movement[1] وعُرِفُوا بتوكيدهم على الطهارة الجوّانية، والغلوّ فيها، وأن النية الصافية التي منبتها القلب أهم من الأعمال الظاهرة وهو الأمر الذي لخصوها بالقول: The intent (Heart) matters, not the empty act ولهذا فقد اتُّهِمُوا بالنفاقِ ذلك أن كثيرين ممن حاولوا مُجَارَاتهم في الطُّهْرِ الجوّاني قصروا (Hypocrites - Hairsplitters) ولهذا سماهم السيد المسيح بالمنافقين، ونظر إليهم النصارى عبر تأريخهم على أنهم قوم منافقون صدوراً عمّا جاء في الأناجيل عنهم: [الويلُ لكم يا معلمي الشريعة والفريسيوّن المراؤون، تأكلون بيوتَ الأرامل وأنتم تظهرون أنكم تطيلون الصلاة.. الويل لكم يا معلمي الشريعة الفريسيّون المراؤون أنتم كالقبور المبيضّة ظاهرها جميلٌ وباطنها ممتلىءٌ بعظامِ الموتى وبكلِّ فساد.. أيها الحيات والأفاعي، كيف ستهربون من عقاب جهنم - إنجيل متي: ٢٣: ١٤ - ٢٧ - ٣٣، إنجيل مرقس: ١٢: ٤٠، إنجيل لوقا: ١١ - ٣٧ - ٥٢: الويل لكم، تبنون قبور الأنبياء وآباؤكم هم الذين قتلوهم].

هذا في الوقت الذي يرى فيهم اليهود الآباء الروحانيين الذين حافظوا على وجود اليهود المعنوي وتراثهم الديني.

ونظراً لما عرف عنهم من جرأة في الاجتهادات الشرعية واستنباط الأحكام فقد اتهمهم الصدوقيون بأنهم مبتدعون Innovators، يُفْتُونَ الناسَ بما لا نص في التوراة المدونة عليه؛ في حين استهدفوا هم بتفسيراتهم المستحدثة تطويعَ اليهودية لمطالبِ التحديات الاجتماعية التي كانوا يواجهونها.

---

(١) المصدر السابق؛ ص١٤.

وأهم ما مَيَّزهم عن الصدوقيين اعتقادهم بالبعث الجسماني، الذي ساقوا عليه دليلاً ما جاء في سفر دانيال: ١٢ - ٢ «وكثير من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، بعضُهم للحياة الأبدية وبعضهم للعار والذعر الأبدي»؛ ومع تعاظم نفوذ الفريسيين صار الاعتقاد بالبعث الجسماني عقيدة راسخة في اليهودية، أكدها علماؤهم جيلاً بعد جيل[١]. وجمع الفريسيون في مسألة القضاء والقدر بين القول بالحرية الإنسانية في خلق بعض الأفعال، مع إثبات القول بالقدرة الإلهية المطلقة[٢].

لقد كان لفرقة الفريسيين تأثير واسع ومستمر على تطور الفكر اليهودي، ولهذا بينما انقرضت الفرق الأخرى بعد تدمير أورشليم والهدم الثاني للهيكل عام ٧٠م فإن تراث الفريسيين ظل مستمراً، واعتبر الربائيون أنفسهم أخلافاً للفريسيين.

الصدوقيون Sadducees:

إذا كان الفريسيون يمثلون الجماهير الشعبية فإن الصدوقيين، على النقيض المقابل لهم، كانوا يمثلون الطبقات الأرستقراطية، فكانوا تبعاً لذلك موضع ثقة الأغنياء وحدهم، ولم يكن لهم أتباع في صفوف عامة

---

(١) زايتلن، المصدر نفسه؛ ص١٢، نقلاً عن: يوسيفيوس: العاديات اليهودية: ١٨: ١٤.

(٢) المصدر السابق، ص١٣.
ولهذا بشر السيد المسيح والحواريون بالبعث الجسماني في معرض الرد على الصدوقيين. فنقرأ في أعمال الرسل: ٢٣: ٦-٨ قول بولص: «أنا فريسي ابن فريسي، وأنا أحاكم الآن لأني أرجو قيامة الأموات».. لأن الصدوقيين لا يؤمنون بقيامة الأموات وبوجود الملائكة والأرواح، وأما الفريسيون فيؤمنون بهذا كله».

اليهود[1]، فانحصرت تعاليمهم في القِلَّةِ والنُّخبةِ الثرية فحسب من أصحاب الثروات والأرستقراطيةِ الدينية وهيئة كبار الكهنة التي احتكرت لنفسها الحكم، ديناً ودنيا منذ فترة طويلة ترجع بداياتها إلى عهد الحكم الفارسي. وباختصار فإن الفاصلَ الأكبر بين الصدوقين والفريسين هو الفرق بين طبقة أرستقراطية غنية، دينية ودنيوية، وبين جماعات مدنية لا تدّعي خصوصيةً دينية تُمَيِّزُها، وإنما تستمد سلطتها المعنوية من أوساط الجماهير ومن الطهر والتقوى والإخلاص في طلب العلم وحده.

وينسب الصدوقيون أنفسهم إلى الكاهن الأكبر «Zadok» الذي تَسَنَّمَ أخلافُه من بعده منصبَ الحَبْرِ الأعظم، وهو الحبر الذي جاء في سفر الملوك: ١: ٣٩: إنه عمّد النبي سليمان - ع - «وأخذ صادوق الكاهن وعاء الزيت من خيمة الاجتماع ومسح سليمان ونادوا بالبوق، ليحيى الملك».

والذي يجمع الصدوقيين كما أشرنا جملةُ أمورٍ منها:

١- إنكارهم التام للبعث الجسماني، وإنكار الملائكة والأرواح.

٢- رفض العمل بالتلمود، لاعتقادهم الصارم بأن السبيل الوحيد لحفظ الدين هو التمسك الحرفي الشديد بأحكام التوراة المُدوَّنة ووجوب فرضها بالكامل.

٣- رفض ومناهضة كل أمر لم يثبت بنصّ، باعتباره بدعة مستحدثة، وكان هذا الموقف المتزمت منهم وسيلةً للحفاظِ على مكانتهم ومراكزهم السياسية ومصالحهم الدنيوية.

---

(١) زايتلن - المصدر نفسه، ص١٢، نقلاً عن يوسيفيوس؛ «العاديات اليهودية» ١٨: ١٧.

٤- وقد دفع إنكار البعث والقيامة أفراداً منهم إلى الاستغراق التام في حياة الترف واللهو، بل والسقوط في الإباحية الأخلاقية Hedonism.

٥- كذلك تصورهم القومي للألوهية، فالإله في نظرهم إله قومي National God، أنه ربّ إسرائيل حصراً، فهو الذي اختارهم، وهم شعبه، مما لزم عنه التشدد في معاملة الأقوام الأخرى، ومن أجل هذا وصفهم يوسيفيوس: أنهم أكثر الناس بُعْداً عن معاني الرحمة والإحسان.

٦- أما في مسائل القضاء والقدر فقد مالوا إلى القول بحرية الإنسان المطلقة في خلق أفعاله ومسؤوليته الكاملة عنها[١].

الأسينيون Essenes:

زادت معرفة المؤرِّخين بهذه الفرقة خاصة بعد اكتشاف ألواح البحر الميت في قُمْران عام ١٩٤٧م، ويمكن أن يستخلص من هذه الألواح وما ذكره يوسيفوس وفايلو الاسكندراني عنهم أنهم لم يكونوا فرقة دينية خالصة كالفريسيين، أو حزباً سياسياً بالدرجة الأولى كالصدوقيين، وإنما مَثَّلُوا ظاهرةً دينية - اجتماعية قريبة في نظمها وسلوكها من الرهبنة المسيحية[٢].

وعُرِفَ عن الأسينيين اهتمامُهم بالطب الروحاني، ومن هنا اشتغالهم

---

(١) لمزيد من التفاصيل راجع:
- إبشتاين، المصدر نفسه، ص٩٥ وما بعدها.
- ليوتريب، المصدر نفسه، ص٣٣-٤٢.
- آلن أونترمان، المصدر نفسه، ص٥٣-٥٥.

(٢) بناء على ما ذكره يوسيفيوس فإن الأسينيين ظهروا في الفترة التي سبقت الحرب الأهلية اليهودية ٦٦-٧٠م. انظر: يوسيفيوس: حرب اليهود، ٢-١٥٢، ٥٦٧، نقلاً عن زايتلن: المصدر نفسه، ص٢٧.

واهتمامهم أيضاً بالأعشاب الطبية، وتصنيفها، وبالأحجار والمعادن الكريمة، ومن هنا تسميتهم بهذا الاسم المشتق من كلمة ISI التي تعني - المعالجون الروحانيون - Healer's. ويقدّر يوسيفيوس عددهم بأربعة آلاف نسمة كانوا منتشرين في كل بقاع المنطقة، الأمر الذي يُفَنِّدُ الزعمَ القائل بأنهم اعتزلوا المجتمع والتجأوا إلى الكهوف والمغاور الموجودة في الصحراء المشرفة على البحر الميت.

وتشكَّلت جماعتهم في هيئة مجتمع بدائي من الزهاد يقوم على الشيوعية (Communistic Ascetics)[1] وعرفوا بكراهيتهم للمال والأغنياء، فما كنتَ ترى في صفوفهم تمايزاً مردُّه الجاهُ أو الغنى، وكانت تعاليم الجماعة تقتضي بأن يتنازل مَنْ يريدُ اللحاقَ بهم عن ممتلكاته الشخصية كلها للجماعة، وهكذا فلا وجودَ للفقرِ المُدْقعِ أو الغنى الفاحش في صفوفهم، وأعضاء الجماعة يعيشون كأنهم أبناء أَب واحد، لا صفقات بيع وشراء بينهم، بل كان الواجب يقضي على كل واحد منهم أن يقدم ما عنده لمن هو في حاجة إليه، ويأخذ هو ما شاء أيضاً مما يحتاجه من الآخرين «Absolute Ownership of Property».

وكانوا لا يحبذون الزواج، وإن لم يمنعوه، ولا تقيم النساء بينهم، وينكرون نظام العبودية أشد الأنكار، باعتباره مَدْعاةً للظلم، وطريقاً إلى اقترافه. وكان يقف على رأس مجتمعهم الاشتراكي السادةُ الكبار الذين كان على الأعضاء طاعتهم طاعة مطلقة، وغير مشروطة، فيتنازل مَنْ يلتحق بهم طواعية عن إرادته، لتفنى إرادته في إرادة السادة الكبار، وساعة دخول المريد في الجماعة كان يُجَهَّزُ بفأسٍ وصدرية وحبل أبيض «A small

(١) يرى ليوترب، أن هذه النزعة الأخلاقية الممزوجة بالشيوعية في المال، قد استمدوها من الفلسفة الرواقية: ليوترب - المصدر نفسه، ص٣٢.

«Hachet, an Apron and a white Robe ليستعين بها على كسب قُوتِه، ثم يخضع للتدريب والاختبار للتحقُّق من نيّته واستعداداته لمدة عام كامل وذلك قبل السماح له بالمشاركة في الطقوس الدينية للجمعية مثل الوضوء المقدس، يخضعُ بعده لفترةِ امتحانٍ ثانية تمتد لعامين، ليؤخذ منه العهد بعدُ ذلك، ليكون عضواً كاملاً في الجمعية يشارك أعضاءها في الجلوس على المائدة العامة المشتركة Common Table. وجرت العادة أن لا يقبل في الجمعية إلا الذكور البالغون، وجرت عادتهم على تبني الأطفال للإكثار من تعدادهم. وإذا ما أقدم عضو في الجمعية على خرق قاعدة من قواعدها المعمول بها يُقَدَّمُ لمحكمة مؤلفة من مئة عضو، أما إذا ارتكب عضو الجمعية جرماً خطيراً فكان يعاقب بالطرد منها مباشرة.

ونظراً لانتشار جمعياتهم في أطراف المنطقة، فإن المسافرين منهم كانوا لا يحملون معهم زاداً ومؤنة أثناء السفر والتجوال، سوى السلاح الذي يدافع به عن نفسه ضد قطاع الطرق، لأنه حيثما سافر الواحد منهم يحلُّ ضيفاً على التجمعات الأسينية المنتشرة في كل مكان، فَيُسْتَضَافُ ويقوم إخوانه على خدمته.

وكانت حياتهم اليومية تخضع لقواعد عامة، صارمة، لا تقبل المهاونة، تبدأ عادة بالصلاة ثم الذهاب إلى العمل، وعند الساعة الخامسة، يعودون للاجتماع، حيث يتدرَّعون في أوساطهم بحزام من قماش، ويغتسلون بماء بارد، وبعد إجراء مراسيم الغسل والطهارة(١) يتقدمون كافةً إلى قاعة الاجتماع، ويتلو الكاهن الأكبر أدعية وصلوات يأكلون بعدها طعام الفطور في سكينة ووقار، وتُخْتَتَمُ وجبةُ الفطور بأدعية أخرى مخصوصة، يعودون

---

(١) عادة الغطس في الماء طلباً للطهارة سَرَتْ إليهم من دين الصابئة، وهي العادة التي اعتمدها يوحنا المعمدان؛ الذي يبدو أنه كان منهم.

إلى الانتشار لمعاودة أعمالهم حتى المساء، ليجتمعوا مجدداً حول المائدة المشتركة المقدسة لتناول طعام العشاء، مسبوقاً ومختوماً بالأدعية والصلوات أيضاً.

وكانت القواعد العامة تقضي ألا يقدم عضو الجمعية على عمل من غير إذن مسبق من سادته الكبار، إلا أن يكون عملاً خيرياً خالصاً.

وهكذا تميزت حياتهم بالزهد وحياة العزوبة، مع التقلّل في المآكل والمشارب مع الصدق في القول، والتجافي عن الغرور، والامتناع عن الحلف والقسم.

وقد أورد يوسيفيوس صورة لقسم العهد والطاعة التي كان يؤديها المريد الملتحق بالجمعية وفيه العهد: «بأن يكون تقياً ورعاً ذليلاً أمام الله، عادلاً في معاملة الآخرين، لا يظلم أحداً لا بإرادتهِ ولا بإكراهٍ من آخرين، يردُّ الظلم ويجاهد من أجل العدالة، أن يكون صادقاً أميناً مسالماً حتى مع الحكام، لاعتقادهم بأن الحكام من قدر الله الذي لا رَادَّ له، شرط أن يكون الحاكمُ عادلاً ولا يسيء استعمال سلطانه، أو يحقر رعاياه، وأن يكون طالباً للحق، كارهاً للكذب ويعاقب الكذابين، وأن يستعفف عن السرقة، وقلبه طاهر نقي من الحرام، وأن لا يفشي سرَّ إخوانه، أو يخفي سراً عنهم، وإنْ عُذِّبَ حتى الموت»[١].

وكان من قواعد السلوك عندهم أيضاً الاغتسال قبل كل وجبة طعام، وعقب الاتصال بالأغيار؛ مع حرص شديد والتزامٍ حدِّ التزمت بأحكام الطهارة التي جاء على تعدادها التوراة؛ سفر التثنية: ٣٢-١٢.

---

(١) يوسيفيوس: حرب اليهود؛ ٢: ١٣٩-١٤٢.

الغيوريون Zealots:

مثَّل الغيوريون حركة ثورية باعثها الأول والمباشر كان دينياً، وإن انطوت أثناء تطورها على أبعاد سياسية واجتماعية - كما سنرى.

ويبدو - كما أشار زايتلن - في دراسته المُعَمَّقة للحركة أن يوسيفيوس هو المصدر المباشر للتعريف بالحركة ومضامينها وأهدافها؛ وإنْ عُدَّ في نظر أكثر المؤرخين متعصباً متحاملاً عليهم، فوصفهم بأنهم جمع من المهووسين وعصابة من قطاع الطرق، ومتمردون وثوريون متطرفون تَسبَّبُوا بحماقاتهم في الكارثة التأريخية الماحقة التي أنزلها طيطس باليهود، فهدم الهيكل وخرّب القدس، وفقد اليهود بعد ذلك وجودهم، وبدأ عصر الشتات الأكبر في تأريخهم.

ولفظاعة الكارثة وما جلبت من تطهير عرقي يكاد يكون كاملاً لليهود، وتهجير مَنْ بقي منهم قسراً عن أرض فلسطين، فقد قارنها بعض المعاصرين من اليهود بالتطهير العرقي الذي أنزله هتلر والحزب النازي باليهود في القرن العشرين[1].

أسس الحركة ابتداء يهودا الجَليلي، الذي كان وأتباعه من الفريسيين، سوى تمايزه عنهم، ففي مقابلة توجهات الفريسيين السلمية وسياستهم المهادنة مع السلطات الرومانية الوثنية، فإن يهودا والغيورين كانوا دعاة حرية ثورية، لا تتسع للمساومة والمهادنة بأية صورة وفي أية حال، فهم

---

(١) انظر مقالة: Richard K. Fenn، في أوجه المقارنة بين الهولوكوست النازي والكارثة التي أنزلها طيطس عام ٧٠ باليهود: "Holocaust as a pathological act of secularization" ضمن كتاب: Jews And Christians Exploring The Past, Present And Future, PP:185-207.

بهذه المثابة كانوا الجناح العسكري من الفريسيين، آمنوا بالكفاح المسلّح طريقاً أوحداً لنيلِ الحرية والتخلص من العبودية التي فرضتها السلطات الرومانية على اليهود؛ لاعتقادهم الديني الراسخ بأن الله هو الحاكمُ المتفرد الذي لا ينبغي الخضوع لغيره لأيِّ سبب كان «The Exclusive Kingship of God».

وكانت الشرارة التي أشعلت ثورة الغيورريين القرار الذي أصدره قورينوس عام ٦-٧م وفرض بموجبه ضرائب باهظة على اليهود، عَدَّها يهودا الجليلي بمثابة فرض العبودية على اليهود، وخرق للوصية الأولى من الوصايا العشر التي لا تُجِيزُ العبوديةَ لغير الله. ولهذا دعا يهودا أتباعه الحُمس Kannaim إلى حمل السلاح والتمرد على السلطات الرومانية الوثنية[١].

لقد لعبت عائلة يهودا الجليلي دوراً بارزاً وفاعلاً في نشأة حركة الغيوريين وتطورها، مدفوعة أصالة بأسباب دينية خالصة، مستمدةً رؤيتها ومنهجها في الكفاح المسلح من المآثر اليهودية ومسيرة عائلته. فقد عارض والدهُ حُكْمَ الطاغية هيرود، وصُلِبَ ابناهُ سيمون ويعقوب لقيامهما بأعمال مناهضة للسلطة الرومانية أيام طبريوس يوليوس الكسندر، وكان حفيد يهودا المدعو بنيامين، الذي استولى على حصن مَسَدَه Masada[٢] في بداية

---

(١) يوسيفيوس: العاديات اليهودية، The Jewish Antiquities؛ ١٢: ٢٣.

(٢) بعد محاصرة القدس من قبل القوات الرومانية التي استعانت بفيالق من المرتزقة والمجندين. هرب الغيوريون لواذاً وتَحصَّنُوا في قلعة مسدة، التي اكتشف آثارها القديمة الباقية الآثاري المعروف إدوارد روبنسون عام ١٨٥٢، وتتخذ حكومة إسرائيل من الحصن اليوم مكاناً لأداء القسم العسكري للمجندين الجدد.
وتذكر الروايات أن حامية الحصن اليهودية، بعد مقاومة دامت لأربع سنوات، وتمكن القوات الرومانية من احتلالها، فَضَّلَ أفرادها الانتحارَ الجماعي بإلقاء أنفسهم من أعلى الحصن، من الوقوع أسرى في أيدي القوات الرومانية، راجع: =

الحرب اليهودية عام ٦٦م، واستمر يقود منه حركة الكفاح حتى ساعة اغتياله من قبل منافسيه، وكان يهودا حفيد مناحيم اليعازر بن يائير قائد حركة المقاومة داخل حصن مسده حتى لحظات الانتحار الجماعي.

وقد استطاعت حركة الغيوريين إبان الحرب الأهلية ٦٦-٧٠م من جذب الأتباع والأنصار إلى صفوفها؛ وإن السيد المسيح - ع - كان من المتعاطفين مع الحركة، وأن ذلك كان سبب صلبه[١] من قبل السلطات الرومانية.

وأهم ما اختصت به الحركة تَعطُّش أتباعها للحرية، فكانت قطع النقد التي أصدروها إبان الحرب تحمل عبارات «الحرية لصهيون» و«حان الخلاص لصهيون» ولم يكن ليهودا الجليلي أو لأتباعه من هدف إلا أن يُقْتلوا أو يَقْتُلوا خصومَهم من المتعاونين مع السلطات الرومانية، مستمدين دوافعهم من عائلة الهسمونيين التي قامت الثورة المكابية، ومن مآثر رجال من أمثال فنحاس، حفيد هارون الذي حملته غيرته لله أنْ يقتل إسرائيلياً وزوجته لردَّتهم عن دين موسى أثناء تجوال بني إسرائيل في صحراء سيناء،

= زايتلن - المصدر نفسه، ص٢٩.

(١) منذ القرن الثامن عشر ظهر ميل عند بعض الباحثين إلى ربط السيد المسيح - ع - بحركة الغيوريين، وأول من أشاع هذا الرأي: Hermann Samuel Reimaru (1694-1768) أستاذ اللغات الشرقية بجامعة هامبورغ، راجع: زايتلن، ص١٢٩-١٣٠ ويميل زايتلن إلى توكيد صلة السيد المسيح بالغيوريين مستنداً إلى شواهد مستقاة من الأناجيل، من ذلك قول بولص ووصفه لنفسه: «وكنت غيوراً على خدمة الله مثلكم» أعمال الرسل: ٢٢-٥؛ وقيام السيد المسيح بتطهير الهيكل من غير المتفرغين للعبادة: لوقا؛ ١٥ : ١١ «فدخل الهيكل وأخذ يطرد الذين يبيعون ويشترون». وغيرته الشديدة على تعاليم التوراة والوحي؛ إنجيل متى؛ ٥ : ١٧ «لا تظنوا أني جئت لأبطل الشريعة بل لأكمل».

كما تروي التوراة، وسجودهم للإله الوثني بعل فغور كما جاء في سفر العدد: ٢٥ : ١-١٥ : «فلما رأى فنحاس بن اليعازر بن هارون الكاهن، قام من وسط الجماعة وأخذ رمحاً في يده، ودخل وراء الرجل الإسرائيلي إلى مخدعه فطعنه هو والمرأة في بطنهما. . وكان الذين ماتوا بالضربة أربعة وعشرين ألفاً. وكلّم الربُّ موسى وقال: «رَدَّ فنحاس بن اليعازر بن هارون غضبي عن بني إسرائيل، لأنه هو الذي من بينهم جميعاً أظهر غيرتَهُ لي».

ونبعت من صفوف الغيوريين جماعة أشد تطرفاً وأكثر عنفاً من البقية، أسماها يوسيفوس بـ«Sicarii» المغتالون من كلمة «Sica» التي تعني الخنجر المعكوف «Curved Dagger» الذي كانوا يُخْفُونه تحت ملابسهم ويستعملونه في اغتيال خصومهم المتعاونين فعلاً أو المشكوك في تعاونهم مع السلطات الرومانية الوثنية، مستغلِّين المناسبات العامة الصاخبة لتنفيذ اغتيال أعدائهم، وكانت عقيدتهم الراسخة أن الربَّ لن يساعد مَنْ لا يهبُّ لمساعدة نفسه ببذل الجهد الذاتي، وأطلقوا على الموالين للوثنية الرومانية: «الأغراب وجامعي الضرائب» تحقيراً لهم ولخيانتهم.

وهكذا - وكما يشير زايتلن -[1] بينما سلك الفريسيون طريق المهادنة والمصالحة مع السلطات الحاكمة لينعموا بالحرية الدينية لقاء ذلك، والتفرغ لدراسة التوراة وتطوير الشرائع تبعاً لتحديات عصرهم، وسلك الأسينيون طريقَ الاعتزال من المجتمع الذي سادته الشرورُ فلجأوا إلى الكهوف والمغاور هرباً بدينهم، وطلباً للطهارة الدينية، فإنَّ الغيوريين اختاروا طريق الثورة المسلحة ضد الوثنية فحملهم حماسُهم الديني على إسقاط اعتبارات توازن القوى، وانطلقوا لمواجهةِ المؤسسةِ الوثنية المتمثلة في عبادة القياصرة، ومن هنا اعتبارهم لأولئك المتعاونين مع الرومان أغراباً أعداء،

(١) زايتلن: المصدر نفسه، ص٢٩-٣٧.

قد تَنكَّروا لدينهم وانقادوا لعبودية الرومان مما جَوَّزَ لهم نصبَ القتالِ ضدهم، واستحلال حرماتهم، وحرق مساكنهم، ونهب ثرواتهم، حتى انتهت حركتهم التي وصفها يوسيفيوس بالهَوَسِ والحماقة بالكارثة الماحقة التي أنزلها طيطس باليهود، من تصفياتٍ عرقية جماعية، وهدم للهيكل، وتسوية القدس أرضاً، وبداية عصر الشتات الأكبر.

السامريون:

تمثل فرقة السامريين أقدم انشقاق ديني في تأريخ اليهودية. فبعد سقوط السامرة، عاصمة المملكة الشمالية على يد سرجون الآشوري عام ٧٢١ ق.م، وتدميره لمملكة إسرائيل، قام بنقل أعداد من مواطني امبراطوريته الواسعة، وأسكنهم مكان الإسرائيليين، الذين أجلاهم عنوة وقسراً عن مستوطناتهم. وقد تشكلت عند هذه الأقوام غير المتجانسة عرقياً، «Heteroginous Group»[١] عقيدةٌ دينية هَجِينة مركَّبة «Syncritic creed» يتهمها الربائيون بالوثنية: «Semi-idolatrous» من عناصر يهودية وأخرى اقتبسوها من الأديان الوثنية القديمة. ثم لحقت بهذه المجموعة غير المتجانسة عام ٤٣٢ ق.م جماعات يهودية أخرى خاصمت عزرا ونحميا لمنعهما الزواج من الأغيار الأجانب[٢].

---

(١) مسألة أصل السامريين قضية معقدة، لا يمكن الحسم فيها على وجه اليقين، ففي حين يرون هم أنهم أحفاد ينحدرون من سبطي أفرايم ومناسة، فإن عامة اليهود يؤكدون أنهم غرباء من سكان كوثا وبابل وحماة، ومن هنا تسمية اليهود لهم بـ«الكوثيون».

(٢) رَسَّخَ عزرا في قلوب اليهود بأن السبيل الأوحد للحفاظ على نقائهم العرقي والعقائدي هو الانغلاق على الذات، ومنع الزواج من الأغيار، ومن ثم فقد طلب كُلٌّ من عزرا ونحميا - بعد العودة من الأسر البابلي وإعادة بناء الهيكل - من اليهود المتزوجين من الأغيار وجوبَ الطلاق، (سفري: عزرا: ٩-١٢ ونحميا: =

وهكذا احتدم الخلاف واشتدت الخصومة بين السامريين وسائر اليهود وانتهت بعداوة راسخة وانفصال تام، حتى «أن الحجيج القادمين من الجليل والقاصدين أورشليم كثيراً ما يتحاشون المرورَ بالسامرة خوفاً من شرّ أهلها»[1]، على أن الخلاف «لم يمنع من انتشار ظاهرة انتظار المخلِّص في أوساط السامريين[2] أيضاً.

ونظراً لمنع عامة اليهود لهم من أداء الصلوات والطقوس الدينية في المعبد السليماني الذي أعيد بناؤه بعد العودة من الأسر البابلي، فقد بنى السامريون لأنفسهم معبداً خاصاً بهم على جبل جرزيم المقدّس عندهم: «Gerizim» بالقرب من مدينة نابلس، مما وَسَّعَ شقَّةَ الخلافِ بينهم وبين بقية اليهود.

وإبان الثورة المكابية عام ١٦٥ ق.م ساند السامريون السلطات الوثنية، مما حمل يوحنا هيركانوس (John Hyrcanus)، (١٣٥-١٠٤ ق.م)[3] على تدمير معبدهم المقدّس على جبل جرزيم، وفرض سنة الختان عليهم بحدّ السيف.

وللسامريين توراتهم الخاصة بهم، تختلفُ عن التوراة المعتبرة عند عامة اليهود والمعروف بـ: Masoretic وهي مدوّنة بالعبرية ولكنْ بأحرف عربية،

= ١٣-٢٨.

(١) الشرفي (الدكتور عبدالمجيد): المصدر السابق، ص٢٧.

(٢) المصدر أعلاه.

(٣) يوحنا هيركانوس، ابن سيمون، آخر الإخوة الخمس المكابيين، دخل في سلسلة حروب فاشلة كلفت اليهود الكثير من العناء، في رغبة طائشة منه لبناء امبراطورية. انظر: ابشتاين، المصدر نفسه، ص٩٥، وأيضاً: دائرة المعارف الأمريكية Ency, Amerecna، ص١٧٦ مادة «السامريون».

وثمة ما يقرب من ستة آلاف اختلاف في القراءة بينها وبين النسخة الماسوريتية، ومن وجوه الخلافِ مثلاً أنهم أضافوا إلى الوصايا العشر عبارةً تُفيد وجوب بناء الهيكل على جبل جرزيم.

وتقوم عقيدة السامرة على خمسة أركان، هي: وحدانية الله تعالى، وأنه تعالى ليس بجسم، ولا يقبل القسمة والتجزئة، ونبوّة موسى - عليه السلام -، وأنه أفضل الأنبياء، فهو نورُ العالم وضياؤه، وقداسة جبل جرزيم، واعتباره مركز العالم وقطبه، والإيمان بيوم القيامة والبعث والحساب، وأن الأسفار الخمسة وحيٌ إلهيٌّ لا يقبل النسخ[(١)].

وهم يقسمون تأريخهم إلى حقبتين رئيسيتين، الأولى: وهي الفترة التي حباهم الله برعايته ومكّنهم من بناء هيكلهم على جبل جرزيم، والثانية: وهي فترة اتسمت بغضب الله عليهم وتبدأ من يوم الهدم الأول للهيكل، عام ٥٨٦ ق.م.

والسامريون يمثلون في الوقت الحاضر طائفة صغيرة جداً في تعدادها، إذ يبلغ مجموع أفرادها ٣٣٧ شخصاً، وعرف عن علمائهم شدة العناية باللغة العربية والتأليف فيها.

---

(١) ماسوروت، من الاسم Mosorah الذي يفيد التقليد المأثور، Tradition، وأطلق الاسم على مدوّني وحافظي النسخة الموثّقة المعتبرة من العهد القديم، قارن: الإمام ابن حزم: الفِصَل في الملل والنِحَل ١: ١١٧ حيث يقول: إن بأيدي السامرة توراة غير التوراة التي بأيدي سائر اليهود، يزعمون أنها المنزلة، ويزعمون أن التي بأيدي اليهود محرّفة مبدّلة، وسائر اليهود يقولون أن التي بأيدي السامرة محرّفة مبدّلة، وللمزيد راجع: سوسه (الدكتور أحمد) مفصَّل العرب واليهود في التأريخ، ص٣٣٥.

القبالا والزوهار = Kabbalah & Zohar (الحكمة المستورة):

القبالا اتجاه صوفي ذو شعبتين: نظرية تأملية وعملية سلوكية. وهو يعتمدُ في مفرداته على الجمع والتلفيق من مذاهب الحروفيين في تقديس الأعداد والحروف، ومذاهب الفيضيين القائلين بالكشفِ والإشراق والإلهام، مع حنوٍّ إلى طريقة المُلاَّمتية في الدعوةِ إلى نبذِ مطالبِ الحياة الجسدية والتنكر لها واللامبالاة بما قد يتعرض لها الصوفي السالك من إهانة وتحقير، والدعوة إلى سلوك طريق التطهر والتزكية بإدامةِ الذكر وإدمان التفكير والاستغراق في لذات الإلهية[1].

وترتدّ حركة القبالا في أصولها وجذورها إلى المآثر اليهودية الخاصة بالمركبة الإلهية، إلى بلاد بابل، إذ المعتمد عند مؤرِّخة الفكر الديني عند اليهود أن تعاليم القبّالا، بخاصة في جوانبها العملية السلوكية كانت قد نفذت إلى أوروبا من قبل صوفيٍّ عراقيٍّ الأصل والنشأة هو أبو هارون بن صموئيل، من مُدَّعي الخوارق والكرامات والنزعات الباطنية المنتشرة في الشرق، الذي هاجر إلى إيطاليا ونشر تعاليمه بين أفراد من عائلة كالانيموس (Kalonymus) الذين نقلوها بدورهم إلى ألمانيا في القرن العاشر الميلادي، حيث بلغ القبّالا أوج تأثيراته فيها في القرن الثالث عشر، وكان من مشاهير ممثليه يهودا التقي (ت١٢١٧)، المعروف بأثره الذائع الصيت كتاب «التقي»: «Sefer Chasidim».

---

(١) ومن صور هذه المعاناة التي كانوا يمارسونها باختيار: «الصوم حتى الموت والهلاك، والتجرد عن الملابس ودفن أنفسهم في حفرة حتى الرقاب، أو صب الشمع الحار على الجسم ووخز الظهر ثم الضرب عليه بالسياط» انظر: حسن (الدكتور جعفر هادي): «فرقة الدونمة بين اليهودية والإسلام» (مؤسسة الفجر، بيروت، لندن، ١٩٨٧) ص٥٥-٥٦.

وحركة القبّالا جاءت كردٍّ فعلٍ لمحاولات علماء الكلام اليهود من أمثال موسى بن ميمون، صياغة العقيدة اليهودية صياغة فلسفية صارمة، ومن جهة أخرى فإن تعاليم القبّالا وما فيها من دعوة إلى إنكار الذات والتطهر كانت الملجأ الذي آوى اليهود إليه في أوروبا بعد حملات القتل والتشريد والإبادة الجماعية وألوان الاضطهاد التي تعرضوا لها، وما كانوا يعانونه من هوانٍ اجتماعي وسياسي في ألمانيا إبّان القرنين الثاني عشر والثالث عشر وما كانوا يتعرضون له من حملات اضطهاد ومصادرة للأملاك، والمخاوف التي كانت تحيط بهم من كل جهة وطرف.

وكان من أشد العوامل تأثيراً في انتشار تعاليم القبّالا، ظهور المدونة الصوفية الجامعة الكبرى المعروفة بالزوهار - "Zohar - Spledour Redianit" في القرن الثالث عشر والمكتوبة في أجزاء منها بالآرامية وأخرى بالعبرية. وقد اعتبر الزوهار المنبع والمصدر للنزعات الروحية بين اليهود في اتجاهيها الرئيسيين: التأملي الفلسفي والممارسة العملية. والمتواتر عند مؤرِّخة الفكر الديني اليهودي أن أول من جمع مادة الزوهار من مصادر متنوعة ومختلفة هو موسى الليوني القرطبي (ت١٣٠٥)[١]، الذي نَسَبَ مادتها وما فيها من رؤى وأحلام وأساطير إلى الراباي سيمون بن يوخاي (Simon Ben Yochai) (١٠٠-١٦٠ تقريباً)[٢] من رجال

(١) لمزيد من المعلومات، انظر: - ليوتريب، المصدر نفسه، ص٨٧. - دان كوهين شيربوك، المصدر نفسه، ص١٨، ص١٣٥. - نويسنر، المصدر نفسه، ص٨١-٨٢.

(٢) ويذهب المتخصصون في أدبيات القبّالا بأن موسى الليوني القرطبي قد لَفَّق مادة الزوهار من مصادر متباينة ومتنافرة، ولهذا جاءت الموسوعة خلواً من النَّسقيةِ والترتيب، فالموضوع الواحد قد يتكررُ في أكثر من موضع ومناسبة فيها، وأنه إنما قصد من نسبة الزوهار إلى الراباي سيمون بن يوخاي، إضفاء الشرعية =

القرن الثالث للميلاد، والذي عاش عقب فشل حركة التمرّد التي قادها باركوبا منتحل المسيحانية، وهرب متخفياً عام ١٣٢م أيام حكم الامبراطور هادريان، نظراً لمضايقة السلطات الرومانية له ولأتباعه، وأنه غاب تقية على نفسه لمدة ثلاث عشرة سنة بجوار البحر الميت، حيث تدّعي الأساطير أن النبي إيلياء كان يزوره خلالها ويعلمه الأسرار. ومشاهير رجالا القبّالا جميعاً كانوا من يهود السفارديم أي من الأندلس العربية أمثال: أبو العافية وإسحاق بن لطيف بن نخمان (١١٩٥-١٢٧٠م).

وتبحث فصول المدوّنة في مسائل تتعلق بوحدة الألوهية والمظاهر الأزلية التي تتجلى فيها الربوبية للعالم، والسر الخفي لأسماء الله الحسنى، وأن الله تعالى لا يُحَدُّ ولا يمكن إدراكهُ بالعقل إلاّ في تجليات فيوضاته في عشر مراتب متتالية: Sefirot، والروح الإنسانية طبيعتها ومآلها، وطبيعة الخير والشرّ وأفكار تتعلق بالمسيحانية والخلاص.

وتفصل الزوهار في ذلك كله بأسلوب رمزي باطني للأسفار الخمسة، بدعوى أن ذلك هو الأسلوب الأمثل والأقدر على كشف المعاني المستورة للنصوص، وأنه تبعاً لهذه الحقيقة، لا يجوز الوقوف عند المعاني والدلالات المباشرة لهذه النصوص. وتعتمد الزوهار في الكشف عن هذه المعاني المستترة منهجاً رباعياً في التأويل صار يُعرَفُ اختصاراً بالأحرف الأولى من اسم كل منهج بـ: «Derash Pardes» الجنة. وهذا المنهج الرباعي الجامع يتألف من «Peshat» وهو التفسير الحرفي و: «Remez» ويعني التأويل المجازي و: «Deresh» ويعني الشرح والبيان، وأخيراً

= التأريخية عليه، وفرض سعر باهظ ثمناً لنسخه. أما المشدودون إلى تعاليم القبّالا فيردُّون هذه الدعوى، ويقررون صحة نسبته التأريخية (انظر: آلن أونترمان، المصدر نفسه، ص٩٩).

«Sod» وهو التفسير الباطني الذوقي للنص[1].

لقد تهيّأت لتعاليم الزوهار فرصُ الانتشارِ والسيطرة على عقول كثيرين وذلك بعد طرد اليهود جبراً من الأندلس عام ١٤٩٢م، حيث حمل تعالميها المُهَجَّرونَ عنها عنوةً إلى الشرق (تركيا ومصر وفلسطين) وإلى دول أوروبا الغربية، مثل إيطاليا وألمانيا وهولندا وإنجلترا، وحيثما حلّ أتباع الزوهار عمدوا إلى نشر تعاليمها وترسيخ مفاهيمها وتعميم طرائق السلوك الموصولة بهذه التعاليم[2]، حيث بلغت أوج عظمتها بمدينة صفد ومدرستها الصوفية[3]، التي كان من مشاهيرها موسى القرطبي (١٥٢٢-١٥٧٦)

(١) صار هذا التأويل يعرف بالتأويل الرباعي: «The Four Fold Meaning of The Scripture» في دائرة الدراسات المتعلقة بالعهد القديم، وهو ما صار يصطلح عليه - من بعد - في الدراسات اللاهوتية المسيحية بالدائرة التأويلية (Hermenutic Circle).

(٢) ثمة مظاهر في أدب السلوك عند المشدودين إلى تعاليم القبّالا والزوهار شبيهة بآداب السلوك الصوفية في الإسلام، مثل جلوس المريد على ركبتيه بين يدي المرشد الروحي، أو الشيخ، والإنشاد والسماع، والتكفير عن الذنوب والخطايا بإدامة ملامة الذات وحملها ألواناً من المعاناة «Self - imposed Suffering».

(٣) هرباً من موجة الاضطهاد وملاحقات محاكم التفتيش في إسبانيا، بعد زوال السيادة الإسلامية، اضطر جَمْعٌ من يهود السفارديم إلى الهجرة إلى فلسطين والإقامة بمدينة صفد، آملين في الخلاص وانتظار مجيء المخلِّص المنقذ. وفي حلقات هؤلاء بلغت تعاليم الزوهار ذراها، وذلك في المدوّنة الموسوعية التي ألّفها موسى القرطبي (١٥٢٢-١٥٧٠) والموسومة بـ: الجنة «Pardes»، وكذا في كتابات إسحق لوريا الأشكنازي الملقب بالأسد (١٥١٤-١٥٧٢) وتأسيساً على تعاليم الزوهار وأدبيات القبّالا الصوفية قام إسرائيل بن اليعازر المعروف بـإسرائيل بعل شم توف Baal Shem Tov (١٧٠٠- ١٧٦٠) بتدشين حركة الحاسيديم الصوفية، التي انتشرت سراعاً انتشار النار في الهشيم، في أوكرانيا وبولندة، بل =

وإسحاق لوريا (١٥١٤-١٥٧٢) الملقب بالأسد (ARI) الذي التحق بحلقة صفد بعد إقامة قصيرة في جزيرة وسط نهر النيل انكبَّ خلالها على دراسة أدبيات القبّالا المأثورة[١].

لقد اتخذ الربائيون موقفاً صارماً ومعادياً من الزوهار، وأنكروا تعاليمها الباطنية؛ بل وأمرَ الربَّائي مائيربن سيمون بحرقها في نهاية القرن الثالث عشر باعتبارها مزيجاً مركباً من الشعبذة والسحر والخرافات والدعوة إلى تناسخ الأرواح.

الأشكناز والسفارديم (Ashkenazim & Sefardim):

رغم وجود قاعدة دينية مشتركة وجامعة لليهود إبّان العصور الوسطى الأوروبية، فقد انشطرت الثقافة اليهودية إلى لونين متمايزين، لكلٍّ منهما خصائصه التي تَفرَّدَ بها.

فاليهود السفارديم الشرقيون عاشوا في أقطار العالم الإسلامي، واعتمدوا الأصول الدينية المنحدرة من بلاد بابل مرجعاً لهم، ومستوياتهم الثقافية والاجتماعية أدنى كثيراً من الأشكناز، في حين عاش الأشكناز وتطورت ثقافتهم في أجواء العالم الغربي والثقافة المسيحية اللاتينية واعتمدوا الأصول المنحدرة من بلاد فلسطين وروما مرجعاً لهم.

= وفي أوساط اليهود في الشتات عموماً، وذلك إثر المذبحة الجماعية والتصفية العرقية التي نفّذها Chemielnicki بيهود بولندة عام ١٩٤٨، مما ساعد أيضاً على ظهور مدّعي المهدوية شبثاي زيفي عام ١٩٦٥.

(١) قام مارتن بوبر بجمع التعاليم المأثورة لزعماء حركة الحاسيديم الصوفية وصاغها في لغة شعرية جميلة، مما سَبَّبَ إحياء الحركة مجدداً، وانتشار نزعتها الصوفية - الفلسفية في أوساط اليهود. انظر: Buber, M: Tales of Hasidin, (London - Thames and Hudson), 1956.

ورغم اعتماد اليهود عامة اللغة العبرية، فإن السفارديم، وتحت تأثيرات الثقافة العربية الإسلامية بالأندلس، ومجاراةً لأساليبِ الخطاب العربي فقد اعتمدوا لغة مزدوجة فاستخدموا العربية في الكتابات النثرية، والعبرية في قرض الشعر، واعتمدوا لهجة هجينة من العبرية والإسبانية تعرف بـ(Ladino) في حين يعتمد الأشكناز لهجة هجينة من العبرية والألمانية: «Juedo - German dialect» والتي يتخاطب بها يهود أقطار أوروبا الشرقية، والولايات المتحدة وأقطار أمريكا الجنوبية وتعرف بـ: Yiddish.

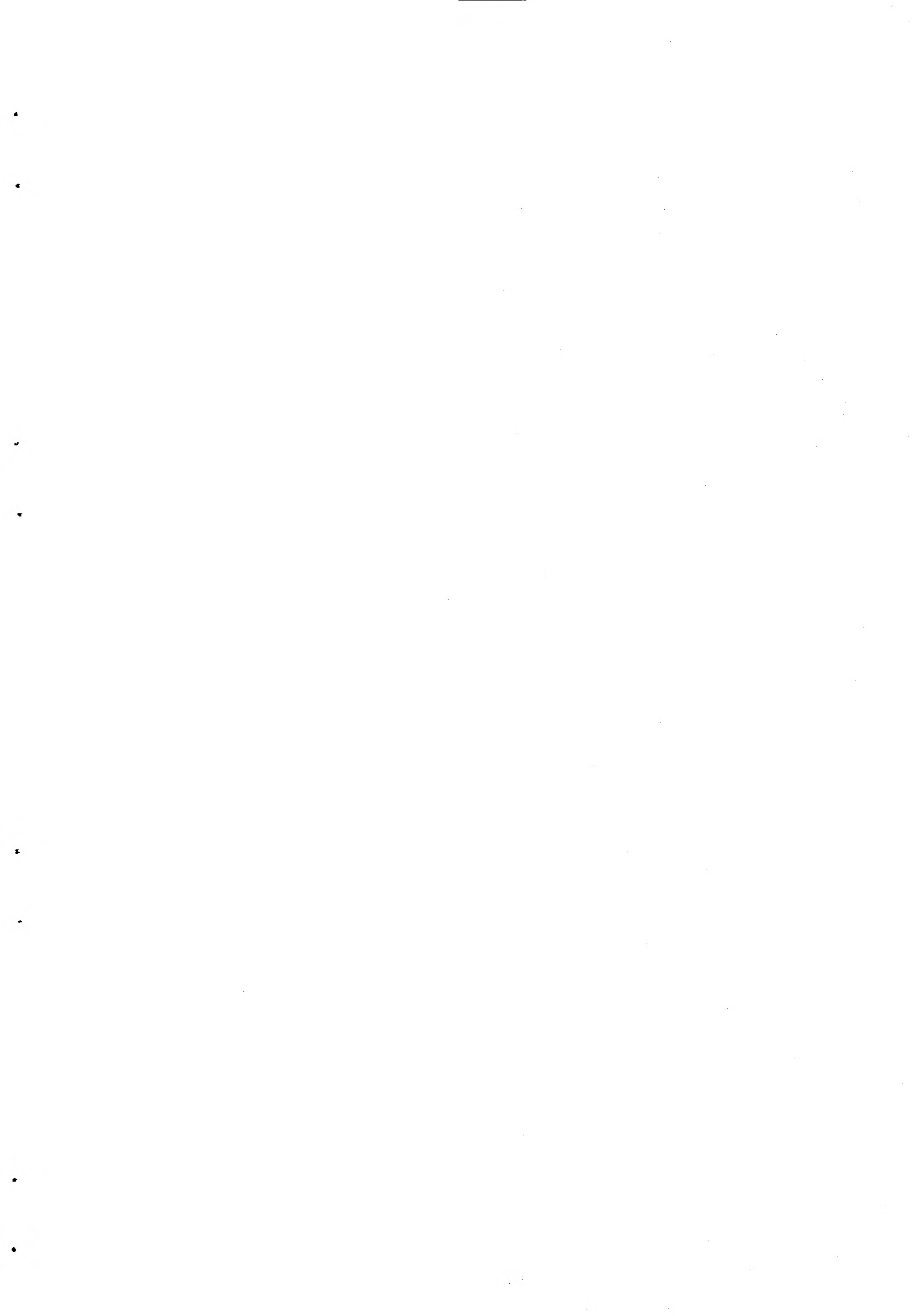
وكانت النزعة العامة ليهود العالم المسيحي دينية خالصة، في حين تَوَجَّه أدب السفارديم إلى معالجة الأمور الدنيوية من علم وطب وفلك وفلسفة، كما كان الشأن مع الثقافة العربية الإسلامية ببلاد الأندلس التي شعر اليهود فيها بالطمأنينة وشاركوا بهمة ونشاط في الحياة الثقافية والسياسية العربية، فشغل كثيرون منهم مناصب سياسية متقدمة في بلاط الخلفاء، أمثال: حسداي بن شبروط الذي عمل مستشاراً للخلفاء بقرطبة، وابن النغريلة الذي شغل منصب وزير بغرناطة.

وجرياً على عادة علماء الكلام الإسلاميين ومناهجهم في الجمع والتوفيق بين الوحي والعقل أو بين الدين والفلسفة فقد تابع مُتكلِّمةُ اليهود أيضاً هذا المنهجَ التوفيقيَّ وقلدوه في مدوناتهم. وقد أدّت أجواء التسامح الديني التي تمتّع اليهود بها في الأندلس العربية إلى إنجازاتٍ رائعة في الآداب والعلوم عند اليهود حتى استحقت الفترة الممتدة من ١٠٠٠م إلى ١١٤٠م، من تأريخ اليهود أن تُسَمَّى بالعصرِ الذهبي للأدب العبري (The Golden Age of Hebrew Literature).

وعن هذا الاختلاف الثقافي بين السفارديم والأشكناز تَوَلّد[1] اختلافٌ مُوازٍ له في دائرة التصوف اليهودي: تصوف عملي سلوكي بين الأشكناز بخاصة في ألمانيا حيث صار أتباعه يسمّون بالأتقياء القروسطيين في حين مالَ تَصوُّفُ السفارديم إلى التأمُّلِ النظري الذي قَوِيَ واشتدَّ في الأكاديميات الربائية في مقاطعة بروفانس بجنوب فرنسا وجنوب إسبانيا. ومع وجوه الخلاف هذه فقد عاشت الثقافتان في وئام قلق، ومما منع التصالح بينهما ما واجهته اليهودية عامة من هجوم كاسح على التلمود من قبل الكنيسة المسيحية، وما جرى من تهجير قسري لليهود من فرنسا عام ١٣٠٦م.

---

(١) ثمة وجوه للخلاف بين الفريقين أيضاً في مسائل تتعلق بصور الطقوس الدينية وأدائها، وطرائق الجلوس في الكنيست أثناء الصلوات، وفي الموائد والعادات، ومناهج الدراسة والتدريس، والنطق بالعبرية، وتباين مواقفهم من الأغيار والأجانب، انظر:
- آلن أونترمان: المصدر نفسه، ص٢١٢.
- ليوتريب: المصدر نفسه، ص٥٦ وما بعدها.



الفصل الخامس
الحياة الدينية عند اليهود

أولاً: تحديد الهوية اليهودية:

من أعقد المشاكل المستعصية التي واجهتها اليهودية في العصر الحديث، وتعاني من وطأتها إسرائيل اليوم، قضية تحديد الهوية اليهودية، وتعريف مَنْ هو اليهودي.

ولم تكن هذه المشكلة مثار خلاف وشقاق قبل نشأة حركة الإصلاح اليهودية بزعامة من موسى مندلزوهن (١٧٢٩-١٧٨٦)[١] في الأراضي الألمانية، والتي صار أتباعها يعتبرون اليهود «طائفة دينية مجرّدة»، من غير خصائص قومية، وذلك صدوراً عن نزعتهم العلمانية الصارمة، ودعوتهم إلى الانصهار في البنية الثقافية للدول التي يقطنونها، واعتقادهم بأن اليهودية الربانية القديمة بتقاليدها المتوارثة لم تعد تنسجم مع مطالب الحياة الحديثة.

أما قبل نشأة الحركة الإصلاحية، فقد كان الإجماع اليهودي منعقداً على حصر الهوية اليهودية في المولود، تقييداً، من أُمٍّ يهودية: «Matremonial Descent»، واعتبار أن اليهودية ترتكزُ أصالة وبإطلاق على النسب من الأم[٢]، ومن ثم فكانت اليهودية طيلة العصور الماضية ديناً محصوراً في

---

(١) انظر: القسم الثاني من هذا الكتاب الذي يبيّن نشأة حركة الإصلاح وتطورها.

(٢) شيربوك، المصدر نفسه، ص١.

جنس بعينه، اصطلح علماء التلمود على ردِّ نسبته إلى سيدنا إبراهيم (عليه السلام) باعتباره، الجدَّ الأعلى الأوّل لنسل إسرائيل: «Progenator of The Jewish people»، أي أبناء إسحق ويعقوب، حَمَلَةِ العهدِ الإلهي إلى أخلافهم.

ومما يزيدُ من تعقيدِ المسألة هذه، أن المؤرخين اليهود، في العصر الحديث، يختلفون أيما اختلافٍ بينهم حول هذه المسألة، تبعاً لانتماءاتهم المذهبية، وتفرّقهم إلى يهوديةٍ «إصلاحية» و«محافظة» و«أرثذوكسية جديدة». ومن ثم اختلافهم - كما سنرى - في تحديد الهوية اليهودية وتعريف مَنْ هو اليهودي، بناءً على مواقفهم المتعارضة من التقاليد الشرعية المتوارثة وأحكام الشريعة الموسوية.

فالنزعة السائدة بين اليهود الأرثذوكس، حصر اليهودية في النسب المحض «Biological origine»[1]، ومن ثم اعتبار المولود من أم يهودية حصراً، يهودياً، وهي النزعةُ المشدودةُ إلى تعاليم التوراة والتلمود وأحكام الشريعة الموسوية (Halakhah) كما فَصَّلتها: المدوّنة الفقهية الجامعية «Shulchan Arukh» التي صَنَّفها «يوسف كرو - Joseph Caro» في القرن السادس عشر، فعند هؤلاء جميعاً، ومذهبهم هو الدينُ الرسمي لإسرائيل، يكفي أن يُعدَّ المرءُ يهودياً لمجرد أنه مولودٌ من أم يهودية، وذلك عملاً بأحكام التلمود التي تنصّ: «ابنك الذي من امرأة إسرائيلية يُدْعى ابنك، أما ابنك المولود من امرأةٍ وثنية فلا يدعى ابنك»[2]، وهذا الأصل مما اخترعه عزرا بعد العودة من السبي البابلي، فقد شَدَّدَ هو ونحميا على وجوب

(١) شيربوك، المصدر نفسه، ص١. وراجع أيضاً: آلن أونترمان، المصدر نفسه، ص١٤.

(٢) نقلاً عن شيربوك، المصدر نفسه، ص٢٣٢.

الحفاظ على الطهر العرقي لليهود، منعاً لمخاطر الانصهار في الأغيار، ومن ثم إلزامهما من تزوج من اليهود من غير اليهود، بوجوب الانفصال والطلاق حتى: «ينفرز اليهود بزعمهما من رجاسات الأمم»[1].

وعن هذا التصور المبني أصالةً على النسب البيالوجي من جهة الأم حصراً، فإنَّ الطفل غير الشرعي المولود من يهوديةٍ اغتُصبت كرهاً من قِبَل غريب يُعدُّ يهودياً، في حين أن الطفل المولود من أب يهودي وأم غير يهودية، لا يُعدّ كذلك. وهو الحكم الشرعي والمعتمد عند الأرثذوكس والذي رفضه الإصلاحيون عامة، فقد أقرّ مجلس الربائيين الإصلاحي عام ١٨٩٢ اعتبار الطفل المولود من أب يهودي وأم غير يهودية، يهودياً أيضاً[2]، ومن غير حاجة لمراسيم اعتناق اليهودية التي يفرضها الأرثذوكس والتي سنأتي على صورتها، وفي حين اعتبرت القوانين التي أصدرها الحكم النازي أمثال هؤلاء يهوداً، فإنهم لا يعدّون في نظر اليهود الأرثذوكس يهوداً. ومعروف أن هذا التحديد للهوية تترتب عنه جملة أمور شرعية معقدة، لا حصر لها. ولا تنسخُ يهوديةَ المولودِ من أم يهودية إلاّ الردّةُ عن الدين، فعنده يبرزُ التعارضُ والتقاطع بين الرابطتين النسبية والدينية، فعملاً بالتقاليد الموروثة يبقى المرتد يهودياً، من بعض الوجوه، وغير يهوديٍّ من وجوه أخرى. ومن أبرز الأمثلة لهذه الحالة الطلب الذي تقدم به إلى المحكمة العليا الإسرائيلية، يهودي يُدعى Daniel Rufeisen اعتنق النصرانية، طالباً منحه الجنسية اليهودية عملاً بقانون الهجرة إلى فلسطين الذي يوجب منح المهاجرين إلى إسرائيل الجنسية الإسرائيلية - التي تحدد

---

(١) سفر عزرا: ١٢: ٩.

(٢) شيربوك، المصدر نفسه، ص٢٣٠، وأضاف الإصلاحيون أن كل إنسان بالغ عاقل يعتنق اليهودية، عن قناعة، يصبح يهودياً، بصرف النظر عن أصله ونسبه.

دينَ حاملها عادة - مباشرة وتلقائياً، حيث رفضت المحكمة بالأكثرية طلبه بدعوى أنّ منح الجنسية لشخصٍ يهودي نسباً ولكنه صار يمارس ديناً غير اليهودية، أمرٌ يأباه لوازم الانتماء إلى التقاليد المشتركة والمتوارثة التي ولدت في مخاضات تأريخ مشترك لليهود، بما فيه من معاناة عبر التأريخ[١].

والقاعدة العامة التي تحكمُ اليهودَ الأرثذوكس وتُحَدِّدُ مواقفهم هي أن الأجنبي الغريب، مقطوع النسب بإسرائيل عرقياً: «Gentile»، إنْ تهوَّد، تبعاً لشروط ولوازم اعتناق اليهودية وفقاً لأحكام الشريعة، من وجهة نظر الأرثذوكس يصبح يهودياً، ولهذا يصرّون على وجوب تهوّدهم وفق المراسيم التي سنأتي على صورتها لأجل الحصول على الجنسية الإسرائيلية التي تحدد الهوية الدينية لحاملها، في حين أن النصارى والمسلمين يأبون ذلك إطلاقاً، ويصرّون على اعتبار أنفسهم مواطنين إسرائيليين لهم ما لليهود نسباً وديناً، من حقوق. وأبرز مثال لهذه الحالة حادثة ضابط البحرية الإسرائيلي المدعو بنيامين شالت، عام ١٩٦٨، حيث تقدّم بطلب إلى المحاكم الإسرائيلية لاعتبار ابنه المولود من أم غير يهودية، مواطناً إسرائيلياً، بالدلالتين النسبية والدينية Biological Origine and Religious affiliation، فأقرّت المحكمة بشرعية طلبه، مع تَحَفُّظٍ مَفادهُ، أن هذا الابن، سوف لن يعتبر يهودياً في نطاق أحكام الأحوال الشخصية.

يتبين لنا من هذا العرض الموجز أن الحدَّ الفاصل في تحديد هوية اليهودي باقٍ على ما كان عليه، وهو القولُ بالنسب والانتماء العرقي

---

(١) قـــارن "Rapheel loewe: "Defining Judaism, Some Ground Clearing: Jewish Journal of Sociology (London) 7, No. 2 (December 1965), P15 و الذي يدّعي أن كل من عانى من اضطهاد اللاّسامية ينبغي أن يُعدّ يهودياً.

فحسب عاملاً في تحديد الهوية، وأن صيحات الإصلاحيين ذهبت سدىً، ولم تجد آذاناً صاغية. فقد عمدت إسرائيل (الدولة) أخيراً وتحت ضغط الأحزاب الدينية المتطرفة المشدودة إلى أحكام الهالاخاه والتلمود، إلى حصر المواطنة الكاملة في المولود من أم يهودية بإطلاق.

أما مَنْ يعتنق الديانة اليهودية فيغدو يهودياً، مع ملاحظة وجود فروق جوهرية، هي موضع شقاقٍ وخلافٍ بين المذاهب الثلاثة لليهودية المعاصرة حول مراسيم اعتناق اليهودية.

فاليهود الأرثذوكس يوجبون على معتنق اليهودية الشروط التالية:

أ- الغطس في ماء الحوض المقدس Mekveh والذي جمعت مياهه من المطر، عارياً للأنثى Ritual immersion، والختان المسبوق على الغطس للذكر Circumcision.

ب- وأن يعلن المرء عن تَهوُّدِهِ في حضرة مجلس ديني وبحضور ثلاثة من الربائيين يشكلون عادة مجلساً شرعياً «Bet Din».

جـ- وأن يسبق الإقرار بقبول تهوّده فترة يُوضَعُ فيه مَنْ رغب في التهوّد تحت المراقبة للتحقق من الدوافع وراء رغبته، وهل هو مدفوع بأسباب مادية أو رغبة في الحصول على مكانة اجتماعية، أو بدافع من الخوف وتقية على نفسه، ويُلقّن خلال هذه الفترة أصولَ اليهودية، وما تفرضها من إلزامات وقواعد سلوكية، وقد تمتدّ مهلة التحقق هذه عند الأرثذوكس إلى أربع أو خمس سنوات[١].

---

(١) انظر: نويسنر: المصدر نفسه، ص٢٦ وما بعدها، وأيضاً: شيربوك، المصدر نفسه، ص٢٢٩ وما بعدها.

أما أتباع المذهب الإصلاحي فقد تجاوزوا كل هذه المراسيم، فعلى مذهبهم كل من يرغب في التهوّد بمحض إرادته، ومن غير إكراه، وعاقل بالغ، يصبح يهودياً من غير المرور بعملية التهويد وشروطه الآنفة الذكر. على أن مثل هؤلاء المتهوّدين على المذهب الإصلاحي، لن يُعدّوا يهوداً في نظر الأرثذوكس، إلاّ إذا أعادوا تهوّدهم وفق شروط مذهبهم الآنفة الذكر.

وطبيعي هنا أيضاً أن يترتب على هذا الخلاف قضايا شرعية متنوعة، فأتباع المذهبين المحافظ والأرثذوكس، لا يجيزون الزواج من أو بمثل هؤلاء المتهودين، بل ويعتبرون النسل عن مثل هذا الزواج أبناء زنى «Mamzer»[١] ويرى المؤرخون أن مثل هذا الشقاق والخلاف إن استمرّ بين الإصلاحيين من جهة والأرثذوكس والمحافظين من جهة ثانية، فإنه سيسوق حتماً إلى انشطار اليهودية على نفسها إلى ثلاثة أديان مستقلة لا يجمعها جامع «Three endogamous groups»[٢].

وقد أدّت مثل هذه الخلافات إلى نشوب أزمات سياسية في الحكومات الإسرائيلية التي تأتلفُ فيها الجماعات الدينية المتشددة مع الجماعات المنتمية للاتجاهات الإصلاحية.

وثمة مشكلة أخرى في إسرائيل اليوم تتعلق بتحديد هوية كثيرين، وُلدوا في إسرائيل (الدولة) واعتادوا الخطاب بالعبرية، ويُجَنَّدونَ عادةً في جيش إسرائيل، ويُعرفون من قِبل (إسرائيل - الدولة) على أنهم إسرائيليين:

---

(١) انظر في صور هذه التعقيدات اللازمة عن الاختلاف في تحديد الهوية: آلن أونترمان، المصدر نفسه، ص٢١٨، وأيضاً: دان كوهين شيربوك، المصدر نفسه، ص٢٧١ وما بعدها.

(٢) آلن أونترمان، المصدر نفسه، ص٢١٨.

نصارى أو مسلمين إسرائيليين، ممن يمتنع اعتبارهم إسرائيليين من وجهة النظر الدينية.

ثانياً: قواعد الحلال والحرام:

انتهى علماء اليهود من خلال تأويل وتفسير النصوص التوراتية على ضوء الظروف المتقلبة التي مرّوا بها إلى صياغة نظام تفصيلي وكامل للحياة الدينية لليهود مستفاد من الشرائع والوصايا الواردة في العهد القديم والتحدّيات التي واجهوها. وظلت مفردات هذه الممارسات الدينية تتنامى بفضل الإضافات التي تراكمت عبر الزمن، وهكذا شكَّلت نُظُمُ العبادة بمفرداتها المتنوعة، إطاراً من الطقسيات، التي صارت تميِّزُ الحياة التعبديّة عند اليهود.

وتبدأ الحياة الدينية لليهودي منذ الصباح الباكر وذلك بتلاوة أدعية الشكر والثناء على الله تعالى، تَصْحَبُها صورٌ من الغسل والوضوء التي تتناسب مع دواعيها. فغسلُ اليدين عقب القيام من النوم عملٌ من أعمال الطهارة، ومظهر من مظاهر التقديس لله، وكذا الأخذ بعادة غسل اليدين قبل وعقب تناول وجبات الطعام. وكان هذا أحد الأسباب لمعاداة اليهود للنصارى الأوائل الذين كانوا «يتناولون الطعام بأيدٍ نجسة، أي غير مغسولة. لأن الفريسيين واليهود على العموم يتمسكون بتقاليد القدماء، فلا يأكلون إلاّ بعد أن يغسلوا أيديهم جيّداً» (إنجيل مرقص: ٧)[1].

---

(١) جاء في كتاب: المنية والأمل، لابن المرتضى: الوضوء وهو أن يغسل يديه ثلاثاً ثم وجهه ثلاثاً ثم ذراعيه غسلة واحدة ثم يستنثر ويستنشق بيده اليسرى ثم يغسل يديه ثلاثاً ثم يتمضمض ثلاثاً ثم يغسل يده دفعة واحدة ثم يستنجي استنجاء نظيفاً ثم يغسل قدميه إلى فوق الكعبين مبتدياً باليسرى ثم يغسل يديه ثلاثاً وقد تم وضوءه؛ ص٨٥.

ويحرم على اليهودي أكل لحوم الحيوانات والطيور غير الطاهرة «Terefah»[1]، فلا يجوز إلاّ أكل الحلال Kasher المذبوح من قبل مأذون مُتخصِّصٍ بالذبح Shochet ويلزم عند الذبح إسالةُ كاملِ دمِ المذبوح باعتبار أن الدم محرم بإطلاق، ويجب أن يكون اللحم المأكول خالياً من الألياف والأعصاب، وأن يعصر جيّداً ويُمَلَّح. وعملاً بنصوص التوراة يجب الفصل بين اللحم والحليب لحرمة الجمع بينهما في الأكل أو المطبخ، كما جاء في (سفر الخروج: ٢٣/١٩، ٣٤/٢٦): [لا يطبخ جدياً بلبن أمّه]. وقد فُسّر هذا الأمر على أنه منع لأمور ثلاثة هي: الامتناع عن أكل منتجات اللحم واللبن معاً، أو طبخهما معاً أو استعمال المزيج منهما، معاً.

---

(١) انظر: سفري: اللاويين: ١١ وسفر التثنية: ١٤: ٣ «هذه هي البهائم التي تأكلونها، البقر والضأن والمعز والغزال واليحمور والوعل والرئم والثيتل والمهاة والزرافة. وكل بهيمة من البهائم تجترُّ ولها ظفر مشقوق بشطرين. وأما التي يجب ألاّ تأكلوها فهي: الجمل والأرنب والوبر (حيوان صغير كالأرنب) لأنها تجتر لكنه لا يشق ظلفاً فهي نجسة لكم. والخنزير لأنه يشق الظلف لكنه لا يجتر فهو نجس لكم. فمن لحمها لا تأكلوا وجثتها لا تلمسوا.
وهذا تأكلونه من كل ما في المياه. كل ما له زعانف وحرشف تأكلونه.. كل طير طاهر تأكلون. وهذا ما لا تأكلون منه: النسر والأنوق والعقاب والحدأة والباشق والشاهين على أجناسه. وكل غراب على أجناسه. والنعامة والظليم والسَّاف والباز على أجناسه. والبوم والكركي والبجع.. والقوق والرَّخَم والغواص والصقر والببغاء بأصنافه والهدهد والخفّاش وجميع الدويبات المجنحة، نجس لكم، فلا تأكلوها، وللتفاصيل راجع:
- ليوترب، المصدر نفسه، ص٢٨٢.
- دان كوهين شيربوك، المصدر نفسه، ص٢١٢.
كذلك يحرم أكل الميتة والدم، وشحوم بعض الحيوانات وعرق النسا الذي في حق الورك، وكل مذبوح لم يقم بذبحه المختص بالذبح.

وعقيدة اليهود الملتزمين بشريعة التوراة، أن الله تعالى قد أوحى إلى موسى (عليه السلام) ٦١٣ وصية Mitzvot، تجب طاعتها، والعمل بموجبها، وجاءت مدونةً في الأسفار الخمسة، تشكل في مجموعها عنوان العهد الإلهي المبرم مع بني إسرائيل. وهذه الوصايا تنقسم إلى (الواجبات - Presciptions) التي هي فرائض وعددها ٢٤٨ أمراً بالإتيان على وجه الوجوب، وأحكامٌ تتصل بالمحرَّمات - Proscriptions، كأحكام القتل العمد والزنا والسرقة.. إلخ.

وقد حاول علماء اليهود، في مناسبات مختلفة، اختزال هذه الأحكام، وحصرها في عموميات تشملها، فقال هليل الفريسي الذي عاش في بدايات العصر المسيحي، في جوابٍ لأحد تلاميذه عن حقيقة اليهودية فقال: «ما تراه كريهاً أن يُفعل بك لا تفعله في إنسان آخر. هذه هي خلاصة التوراة، وما سواها تفسيرات عارضة - والآن أسرع وواصل دراستك للتوراة». وأوجزها ربائي متأخر عنه بقوله: «أعطى موسى ٦١٣ وصية، المنهيات وتقابل عدد أيام السنة (٣٦٥) وصية، وأحكام عدد أجزاء الجسم الإنساني، وهي الواجبات، وعددها ٢٤٨.

وفي المزامير المنسوبة إلى داوود، أُجملت هذه الأحكام في إحدى عشرة وصية [مزمور: ١٥]: «هو الذي يسلك بنزاهة. ويصدق في جميع أعماله. يتكلم بالحق في قلبه. ولا دجل على لسانه. لا يسيء إلى أحد بشيء. ولا يجلب العار على قريبه. النمّامُ محتقَرٌ في عينه. ويكرِّمُ مَنْ يخاف الربّ. يحلفُ ولا يُخلف ولو تضرر. لا يعطي ماله بالرِّبى. ولا يقبل الرشوة على البريء».

واختزلها سفر أشعيا إلى ست وصايا [سفر أشعيا ٢٣: ١٥-١٦]: «السالكون طريق العدل، المتكلمون كلام الاستقامة، الرافضونَ مكاسبَ

الظلم، النافضون أيديهم من الرشوة، المغلقون آذانهم عن خبر الجريمة، المغمضون أعينهم عن رؤية الشر».

واختزلها سفر ميخا إلى ثلاث فقط [سفر ميخا ٦-٨]: «أن تصنع العدل وتحب الرحمة وتسير بتواضع مع إلهك».

وجمعها سفر عاموس في عبارة جامعة واحدة [سفر عاموس: ٥-٢]: «اطلبوني فتحيوا». وكذلك قرر حبقوق [سفر حبقوق: ٢-٤] فقال: «البارّ بإيمانه يحيى».

ويجب على اليهودي الالتزام بلبس (الطلّيت) و(التفلين)[١] ووضع علامة على مدخل الدار Mezuzah[٢]. والطليت شال مربع ذي هدب كان يلبس دائماً، ثمّ صار بعد القرن الثالث عشر للميلاد لباساً داخلياً ورمزاً يذكِّرُ اليهوديَّ بصلته الدائمة بربه. أما التلفين فعصبة تُشَدُّ على الرأس، ولفافة على أعلى الذراع الأيسر المقابل للقلب، وتحوي نصوصاً من الكتاب المقدّس، مدوّنة على لفائف ورقائق محفوظة في حافظةٍ من الجلد.

وأما أوقات الصلوات المفروضة فثلاثة: الفجر «Shacharit» وبعد الظهر «Minhah» وفي المساء «Marvit». ووقت صلاة الفجر من الفجر حتى

---

(١) Tallit: الشال ذو الهدب، «وكلم الربّ موسى فقال: قل لبني إسرائيل أن يصنعوا لهم أهداباً على أذيال ثيابهم، ويجعلوا على أهداب الذيل سلكاً أزرق اللون» (سفر العدد: ١٥-٤٠).

Tefillin: جاء في سفر الخروج ٩/١٣: «ويكون لك علامة على يدك وتذكاراً بين عينيك، لكي تكون شريعةُ الربّ في فمك. لأنه بيدٍ قوية أخرجكَ الربُّ من مصر فتحفظ هذه الفريضة في وقتها، من سنة إلى سنة».

(٢) واكتبوها على قوائم أبواب بيوتكم وعلى مداخل مدنكم (سفر التثنية ٦: الوصية الكبرى).

نهاية الثلث الأول من النهار، ووقت صلاة العصر من منتصف النهار وحتى قبيل غروب الشمس، أما الصلوات الليلية، فتبدأ مع بدء الظلام وحتى الفجر. وأقدس هذه الصلوات: صلاة الصبح، حيث لا يجوز تناول الطعام وأداء الأعمال قبلها، وتُؤدى بلبس الطليت والتفلين. وأوضح مظاهر الصلوات جميعاً التفيلّة Tefilla، ويعرف حالياً بالأميدا، أي الوقوف قياماً ويتضمن تلاوة ١٩ تسبيحة. ويسبق صلاتي الصبح والمغرب الشيما Shema، التي تُمثِّلُ الإقرارَ بشهادة الإيمان وتوكيدها [اسمعوا يا بني إسرائيل: الربُّ إلهنا ربّ واحد، فأحبّوا الربَّ إلهكم بكل قلوبكم وكل نفوسكم - سفر التثنية /٦/ ٤].

وتُختتم الصلوات اليومية الثلاث بالدعاء والمناجاة والتوسّل بالخلاص الأبدي. والأول في العُرف والعادة أن تُؤدى الصلوات جمعاً وجماعة، وأن لا يقلّ عدد المصلين عن عشرٍ من الذكور البالغين «Minyam». ويجوز أداء الصلوات بانفراد.

ومن المظاهر المصاحبة للصلوات القراءة الجماعية للتوراة وتتلى التوراة عادة من أجزاء مفردة مستقلة تعرف بـ«سفر توراة».

وقد أوصى علماء التلمود منذ القدم ألّا يمرّ على اليهودي أكثر من ثلاثة أيام من غير تلاوة متدبرة للتوراة، كذلك أوصوا بالتلاوة الجماعية للأسفار الخمسة أيام الخميس والاثنين من كل أسبوع، وصباح ومساء كل سبت. ولهذا جُزِّئت التوراة إلى أربعة وخمسين جزءً، (سدرة - Sidra) ورُتِّبت بحيث تتم تلاوتها على مدة سنة كاملة (ختمة سنوية)، وكانت العادة قد جرت بأرض فلسطين أن تختتم التوراة في ثلاث سنوات ثمّ انقرضت هذه السُّنَّةُ المُتَّبعة وحلّت بديلاً عنها الختمة السنوية، كما حدّدها التلمود البابلي.

وفي العصر التلمودي الممتد من ٢١٩م-١٠٣٠م، جرت العادة في البلاد التي تتكلم الآرامية (أرض بابل وفلسطين) أن يرافق تلاوة التوراةِ تلاوةُ ترجمة لها «Targunm» مدونة على الحاشية، وهي العادة التي تتردد إلى أيام عزار باعتبار أن الآرامية كانت يومئذ لغة العلم والحضارة والتجارة وكانت الترجمة الشارحة تُتْلَى عادة من قبل مفسِّرٍ متخصصٍ حتى لا تتداخلَ نصوصُ التوراة مع الشرح المرافق لتلاوته. وأقدم تفسير للتوراة هو المعروف بـأونكيلوس «Onkelos»، والذي يرجع إلى القرن الثاني الميلادي ويتابع نصوص التوراة متابعة حرفية، وظل هذا التفسير الآرامي شائعاً ومقدساً عند كافة اليهود، رغم انقراض الآرامية كلغةِ حضارةٍ وثقافة سائدة.

أما الأدعية، التي تتلى في الصلوات فلا تكون إلاّ باللغة العبرية باعتبارها اللغة القومية المقدسة، التي ليس لغيرها أن تعبّر عن آمال اليهود وأحاسيسهم. ويحرم على اليهودي أداءُ الصلواتِ حاسرَ الرأس.

ثالثاً: الحياة العائلية:

تبدأ الحياة الزوجية بالخطبة، التي تقام تحت قبة مخصوصة (Huppa)، وعلى الخاطب ومخطوبته صيام اليوم السابق لإعلان الخطبة، التي تعقد بمحضر شاهدين اثنين يعينان خصيصاً لهذا الأمر، ومن غير أقارب الزوجين. وعلى الزوج أن يقدم عهداً مدوناً Ketubbah، يتضمن ضمانات تكفل حق الزوجية مستقبلاً، والقصد من الزواج هو التكاثر والتناسل وطلب العفة وبناء عش الزوجية. فقد جاء في (سفر التكوين: ١/١٨): «خلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه. ذكراً وأنثى خلقهم، وباركهم الله وقال لهم: أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها..» ولا يجوز للزوجين الجِماع خلال فترة الحيض التي تسمى الزوجة فيها «Nidda»،

وسبعة أيّام من بعدها، وكذا اثني عشر يوماً من كل شهر تعرف بفترة الانفصال: «Michitzah» أما فترة وجوب الاتصال الجنسي بين الزوج وزوجته فتعرف بـ«Onah». وعلى الزوجة الاغتسال في بركة مخصوصة جُمعَ ماؤها من المطر (Mikveh)، ومثل هذا الغسل يلزم المخطوبةَ قبلَ الدخولِ بها.

ورغم أن تعدد الزوجات كان عادةً شائعةً ومألوفة بحكم التوراة والتلمود، فقد انعقد رأيُ علماء اليهود في المجمع الديني (Synod) الذي دعا إلى عقده جيرشوم حوالي نهاية الألف الأول من الميلاد على تحريمه، وأنْ لا يقع طلاق من غير رضى الزوجة وقبولها، ولكنه ظل مألوفاً، عند اليهود الساكنين في الأوساط الإسلامية[١].

ويعتبر اليهود الأرثذوكس - كما أسلفنا - كُلَّ طلاقٍ لا يتم في بيت الدين، وينتهي بحصول المطلقة على وثيقة الطلاق الشرعية «GET» من زوجها باطلاً، ويُعَدُّ زواجُ المطلقة من جديد آنئذٍ زناً، ويُعدُّ النسل المولود منها أبناء زنا «Mamzer»، ولا يحق لهم الزواج - عندئذ - إلاّ من أمثالهم.

---

(١) في غياب السلطة الدينية المركزية الممثلة للشرعية والإجماع، بدأت الدعوة إلى عقد المجامع الدينية Synod، مثل المجمع الآنف الذكر الذي دعا إليه جيرشوم (٩٦٠م-١٠٤١م)، والذي حرم فيه تعدد الزوجات، ووجوب توفر رضى الزوجين لوقوع الطلاق، ثم عقد مجمع في ميتز (١٢٢٣م)، ومجمع يهود إسبانيا (١٣٥٤م) ومجمع القدس (١٥٥٢م) والمجمع الذي دعا إليه نابليون عام ١٨٠٦م. وفي عام ١٩٠٣م، عقد مجمع كبير حضره خمسون من كبار ربائي اليهود بمدينة كراكاو، وتحت زعامة رئيس ربائي الاسكندرية إلياهو حزان، وانتهى هذا المجمع إلى نفي تهمة مصِّ دماء المخالفين عن اليهود، ورفض النزعات العدمية التي انتهى إليها بعض اليهود. [انظر: دائرة المعارف اليهودية، مادة: اليهودية، ص٦٠٤-٦٠٥].

وللمطلقة بحسب الشرط الآنف الذكر أن تتزوج بعد ثلاثة أشهر، ويجوز للمطلقة أن تعود إلى زوجها، شريطة أنها لم تتزوج أثناء الانفصال بغيره. كذلك لا تُجوِّزُ الشريعةُ الموسوية زواجَ الكهنة من المُطلَّقات، إطلاقاً: [سفر اللويين: ٢١ : ٧: «لا يتزوج الكاهن من مطلقةٍ من بعلها»].

وتحرّم الشرائع الربائية وقوع الطلاق في حالتين: الأولى: ادّعاء الرجل بأن زوجته لم تكن باكرةً حالَ دخوله عليها، ثم تبين فسادُ ادّعائه، فيلزمه الإمساك بها، والثانية: في حالة اغتصابِ الرجل لبنتٍ باكرة، فلا يجوزُ له الطلاق منها بعد أن فَضَّ بكارتها: سفر التثنية: ٢٤ : ٢-٤.

وحُكْمُ الزنا القتلُ، [سفر اللاويين، ٢٠ : ١٠: «كل من زنى بامرأة إسرائيلي آخر يقتل الزاني والزانية، وكذا حكم الزنا بالباكرة» [سفر التثنية ٢٢ : ٢٣]، القتل رجماً وكذا حكم اللواط [سفر اللاويين ٢٠ : ١٣][1].

وعلى الوالدين مسؤوليةٌ دينية في تربية أبنائهم وفقاً لتعاليم التوراة والتلمود. وتبدأ التربية الدينية بما يلي:

أ- الاختتان (Berith Milan)، في اليوم الثامن من الولادة إعلاناً وإشهاراً لدخول المولود في الملّة «Kelal Yesrael - Community Israel»، وتوكيداً للعهد الإلهي[2]، الذي أبرمه سيدنا إبراهيم مع الربّ - تعالى، ويختصُّ بالختان مُعَلِّمٌ يُعرف بـ(Mohel)، ثم يسمى المولود باسمه. وتجرى عملية الختان بحضور عشرة أفراد من الذكور البالغين،

---

(١) غنيٌّ عن القول بأن هذه المحرمات قد تجاوزها أتباع المذهب الإصلاحي بصورة عامة.

(٢) انظر: سفر التكوين: ٢١ : ٤ «وختن إبراهيمُ إسحقَ ابنه وهو ابن ثمانية أيام، كما أوصاه الله».

ويحمل الطفل العرّاب: «Sandek - God Father»، مع توهّم حضور النبي إيلياء حفل الختان حيث يُهَيّأُ له مقعدٌ إلى جانب مقعد الطفل الذي سيختتن.

ب- يبلغ الفتى سن الرشد عند بلوغه سن الثالثة عشر، وهو سن التكليف الديني، ويسمى بعده بابن الوصايا: بارمتزوه = Bar - Mitzvah في حين تسمى البنت: Bat - Mitzvah، ويبدأ الطفل بلبس الطلّيت والتفلين، وحضور الصلوات الجماعية، ويعقد حفل بلوغ سن الرشد في الكنيس يوم السبت الموافق لعيد ميلاده الثالث عشر، ويدعى الولد إلى المحفل لقراءة التوراة والصلوات المخصصة لذلك اليوم، وأجزاء من سفر الأنبياء «Haftarah» المخصصة لليوم ذاته. وإذا كان المولود الأول للعائلة ذكراً، فإنَّ احتفالاً آخر يقام في اليوم الحادي والثلاثين من عمره، وتعرف المناسبة بـ(Pidyon Ha - Ben) تدفع العائلة فيه كفارة «Redmntion» تقدر بخمسة شيكلات للكاهن القائم على خدمة التوراة لقاء إعفائه من حصر نفسه على خدمة الكنيس. أما الفتاة فإنها تبلغ سن الرشد في اليوم التالي لإكمالها السنة العاشرة من عمرها.

جـ- مع اكتساب الطفل القدرة على الكلام، على الأب أن يعلمه مبادىء التلمود، وأول ما ينبغي حفظه من التوراة نص (سفر الاشتراع: ٢٣/ ٤): «بناموس أوصانا موسى، ميراثاً لجماعة يعقوب».

بيت التوراة (المعبد) Kenassa - Synagofgue:

يعد المعبد مرتكز الحياة الاجتماعية والدينية عند اليهود، باعتباره مؤسسةً جامعة لأوجه النشاط الديني والدنيوي معاً، وللمعبد مظاهره ورموزه، التي من أهمها:

- تابوت العهد القديم، الذي يُحْفَظُ فيه لفائفُ ورقائق الشرع، ويُتَوجَّه إليه في الصلوات.

- المشكاة المضاءة دوماً.

- المحفل Al - Mamara وهو عبارة عن منصة للتلاوة، ويرمز إلى الهيكل القديم ومكانه وسط حلقات الصلوات الجامعة.

- وتُلْحَقُ بالمعبد صفوف دراسة عَرَّفها التلمود ببيت الكتّاب «الكتاتيب»، حيث يتلقى الصغار فيها مبادىء الدين وقواعده، و«بيت المدرسة» حيث يجتمع الشباب للدراسة والبحث، وإضافة على هاتين البيتين، فإن بعضاً من الجماعات اليهودية يقيمون أيضاً معاهد عليا ملحقة بالمعبد Yeshivah، تضم عادة العلماء المتخصصين، الذين أخذوا على أنفسهم دراسة العقائد والمآثر والتقاليد اليهودية، وتدريب الكهنة والخطباء الدينيين.

رابعاً: الأعياد الدينية ومواسم الاحتفالات:

يحتفل اليهود، عملاً بنصوص العهد القديم بثلاثة أعياد دينية كبرى، هي بمثابة مواسم حج مفروضة: عيد الفصح، وعيد الحصاد، وعيد المظال، وهذه الأعياد موصولة في أصولها وجذورها بمواسم الحصاد التي كانت تحتفل بها الشعوب الوثنية قديماً، وبمرور الأزمان انقطعت صلة هذه المواسم بالحصاد، وصارت رموزاً لأحداث تأريخية لها أهميتها في الوعي الجمعي العام لليهود.

أولاً: عيد الفصح - الفطير Pesah - Passover[(١)]:

(١) انظر: سفر الخروج: ١٢، اللاويين ٢٣، التثنية: ١٦ «احفظوا شهر أبيب [أول =

يمثل هذا العيد أكثر الأعياد أهمية عند اليهود - Fistive Par Excellence، ومدته سبعة أيام في إسرائيل، وثمانية في عالم الشتات، ويقع بين الخامس عشر والثاني والعشرين من شهر نيسان [ما بين نيسان ومايس]. والعيد في أصوله البعيدة موصول بموسم الربيع باعتباره فترة نموّ وازدهار وحياة جديدة، ثم صار - من بعد - يرمز إلى خلاص بني إسرائيل من العبودية في مصر وخروجهم منها بقيادة موسى، وهارون ويوشع، عليهم السلام. ومن أهم مظاهر هذا العيد:

أ- الاقتصار في الأكل على الخبز الفطير: "Unleavened Bread" "Hag ha- Matzas" تذكيراً لليهود بالعجلة التي كان عليها بنو إسرائيل أثناء هروبهم من مصر لواذاً وسراعاً.

ب- قراءة متدبرة لقصة الخروج، التي أُعيدت صياغتها في الوقت الحاضر، من قبل الإصلاحيين خاصة، لتتخذ في دعواهم صورة «الإعلان عن حقوق الإنسان» وتجسيد حركات التحرر من العبودية.

جـ- وضع ثلاث قطع من الفطير، الواحدة فوق الأخرى، ترمز القطعتان العلوية والسفلية إلى المنّ والسلوى مما رزق اللهُ بهما بني إسرائيل في سيناء، حيث تقومُ القطعة الوسطى رمزاً للآلام وصور المعاناة التي جابهوها في «التيه». ويشدد المتشدّدون وجوب صنعها بالأيدي. ووجوب التخلص قبل العيد من كل خبزٍ مطبوخٍ بعد تخميره.

د- اليوم السابق للعيد يوم صومٍ للولدِ البِكْرِ للعائلة، رمزاً لنجاة الطفل

= شهر السنة] واصنعوا فيه فصحاً للربّ إلهكم، لأنه في شهر أبيب أخرجكم: من مصر ليلاً.. سبعةَ أيام تأكلون خبزاً فطيراً، خبز المشقة فيه لأنكم بعجلةٍ خرجتم من أرض مصر.. ولا يكن لكم ضمير في جميع أرضكم سبعة أيام.

اليهودي من القتل الذي أمر به فرعون. وقد يُكفّر عن صوم الولد بوجبة طعام مخصوصة كفّارة عن عدم صومه.

هـ- استعمال أطقم طعام جديدة لتهيئة الطعام والأكل، باعتبار أن الأدوات المستعملة نجسة «Chametz». ولهذا يحتفظُ المتشدِّدون من اليهود بأطقم مخصوصة طاهرة للمناسبة. وقد جوّز البعض استعمال الأدوات القديمة شرطَ تطهيرها بالماء المغلي أو عرضها للحرارة.

و- شرب أربعة كؤوس من الشراب يتخلله تلاوة الأدعية والصلوات.

ز- في يوم السبت السابق عليه تقوم الأسرةُ بعمليةِ تفتيشٍ دقيقة وتطهيرٍ للبيت، ويعرف هذا السبت: Shabba Ha - Gadol.

حـ- شرب كأس من الشراب باعتباره نخب النبي إيلياء، الحي الغائب المنتظر.

ط- تناول أعشاب مرة «Maror».

ي- وضع فخذ خروف مشوي، رمزاً لذبيحة الفصح، ولا يؤكل منه شيءٌ بتاتاً.

ثانياً: عيد العرازيل - المظال "Sukkoth" - "Tabernacles" - "Booth":

يقع هذا العيد في الخامس عشر من شهر تشرى[1] [ما بين شهري أيلول وأكتوبر]، مع أنه يحتفل به عادة في فصل الخريف، وهو موصول أيضاً

---

(١) عملاً بالتوراة فإن شهر نيسان هو أول شهور السنة، رمزاً لبدء فصل الربيع: «هذا الشهر يكون لكم رأس الشهور. أول شهور السنة» (سفر الخروج: ١٢-٢) مع أن الخروج من مصر حدث في فصل الربيع فإن الاحتفال بهذا العيد يصادف فصل الخريف.

بقصة الخروج من مصر[١]. ومن أهم مظاهره:

أ- بناء عريش مخصوص مصنوع من سعف النخيل وأغصان الأشجار في العراء، والإقامة فيه لسبعة أيام، باعتباره تذكاراً لحياة الشغف والمعاناة في «التيه»، فالعيد موصول أيضاً بقصة الخروج من مصر، رغم أنه يرجع في أصوله إلى موسم الحصاد.

ب- شَعيرةُ الاستسقاء من الآباء، التي أكد الالتزام بها الفريسيون، من طبقة الكَتَبَة ومعلِّمي التوراة، وأنكرها ونفاها الصدوقيون، لعدم وجود نص عليها. واليهود المتشددون لا يزالون يمارسونها وسط أجواء صاخبة من المرح واللهو والرقص والغناء حتى أواخر الليل. فهو بهذا الاعتبار أكثر الأعياد مَدْعاةً للسرور والابتهاج: «Shimini Atzeret»، باعتباره أيضاً يوم الانتهاء من الختمة السنوية المعتادة للتوراة: «Simhat Torah»[٢].

ثالثاً: عيد الحصاد (Shavout)، **الأسابيع - العنصرة - الخمسين** :"Tabernaclis" - Pentecost"

يُحتفَلُ به ليومين في عالم الشتات وليوم واحد في إسرائيل، ويقع في السادس والسابع من شهر سيفان. وسُمِّيَ بعيد الأسابيع لأن الاحتفال به يأتي في اليوم الخمسين، وبعد سبعة أسابيع من عيد الفصح والفطير. والعيد كمثيلاته موصولٌ في التوراة في جذوره بمواسم الحصاد[٣]، [حصاد

(١) سفر اللاويين، ٢١: ٤٣-٤٤.

(٢) خذوا لكم في اليوم الأول ثمار أشجار نضيرة، وسعف نخل، وأغصان أشجار كثيفة وصفصافاً نهرياً.. جميع بني إسرائيل يقيمون في المظال سبعة أيام. فتعلم أجيالكم أن الربّ أسكن بني إسرائيل في المظال حين أخرجهم من أرض مصر.

(٣) انظر: آلن أونترمان، المصدر نفسه، ص

الحنطة]، ثم انقطع عن هذا الأصل الموصول بالأعياد الوثنية القديمة، وصار رمزاً لنزول الوحي والألواح والوصايا على موسى (عليه السلام)، وذلك بعد هدم الهيكل وتدمير أورشليم، ومن هنا تسمية العيد أيضاً بعيد نزول التوراة «Zeman Mattan Toratenu».

ومن المظاهر الموصولة بهذا العيد:

أ- قيام الليل «Tikkun Leil Shavout»: خاصة عند اليهود من أتباع النزعات الصوفية من المشدودين إلى تعاليم «القبّالا» تذكيراً لليهود بما أصاب بني إسرائيل من غفوة وسِنَة في «التيه»، ثم التوجه فجراً إلى حائط المبكى: «Wailing Wall».

رابعاً: عيد رأس السنة وعيد الغفران "Penitence" - "Yom Kippur" - "Rosh Ha - Shanah"[(١)]:

السنة العبرية - كما أشرنا - تبدأ تبعاً لتعاليم التوراة في الأول من شهر نيسان (فصل الربيع) حيث يصادف عيد الفصح في الخامس عشر منه، ومع ذلك فقد جرت العادة عند القوم على اعتبار شهر تشري، وهو الشهر السابع بعد نيسان بداية لرأس السنة: «Rosh Ha- Shana»، والاحتفال برأس السنة من الواجبات الدينية المفروضة لدى الطوائف اليهودية جميعاً. ويتم الاحتفال به في اليومين الأول والثاني من الشهر المذكور (شهر تشري - ما بين أيلول وتشرين أول) ورأس السنة بمثابة الشروع والتهيؤ والاستعداد، وعلى مدى عشرة أيام لاستقبال يوم الغفران: «Yum-Kippur» أقدس الأعياد الدينية طرّاً. ومن أهم المظاهر الموصولة بهذين العيدين:

---

(١) انظر: سفري: اللاويين ١٦: ١-٢٤، العدد: ٢٤: ٧-١١.

أ- اليوم الأول، الذي يلي رأس السنة، يوم صوم، احتفالاً باغتيال جدَليا «Gedalia» الحاكم الذي نصبه نبوخذ نصر بعد هدم الهيكل وتدمير أورشليم عام ٥٨٦ ق.م. ومع أنه لا تأريخ دقيق ليوم اغتياله، فقد جرت العادة على اعتبار اليوم الثالث من شهر تشري يوم اغتياله الذي جاء العهد القديم على ذكر تفاصيله[١].

ب- الذهاب إلى سواحل البحار وضفاف الأنهار للاغتسال، العادة المسماة بالتشليخ «Tashlika»، رمزاً لإلقاء اليهودي ذنوبه في المياه، وإعلاناً لتوبته، وعزمه على التطهر[٢].

جـ- وجوب الصوم على الذكر البالغ الثالثة عشرة من عمره، وأحياناً على الأنثى البالغة الثانية عشرة من سنّها، من غروب الشمس إلى أول ليلة اليوم التالي، عند ظهور نجوم ثلاثة في السماء.

د- اليوم العاشر هو يوم الغفران «Yum Kippur»، الذي نص العهد القديم عليه.

هـ- والمتشددون من اليهود يلتزمون إلى جانب أداء الصلوات والطقوس الدينية الموصولة بالمناسبة، بأمورٍ تعبدية وطقوس إضافية، فيحرّمون العلاقةَ الجنسية بين الزوجين أو ارتداء الأحذية الجلدية أو استعمال العطور والروائح، أو غسل البدن سوى رؤوس الأصابع والعينين.

خامساً: عيد الخانوكة أو الإهداء الشموع - "Khanukah" "Dedication" - "Festival of Lights":

---

(١) سفر الملوك الثاني: ٢٥: ٢٥، سفر إرميا: ٤١.

(٢) سفر ميخا: ٧: ١٨-٢٠ «الرب يرحمنا ويغفر لنا ذنوبنا. وفي أعماق البحر يطرح جميع خطايانا».

مدة هذا المهرجان والاحتفال ثمانية أيام تبدأ في الخامس والعشرين من شهر Keslive. ويمثل هذا العيد إحياء ذكرى انتصار المكابيين على الحكم السلوقي في القرن الثاني قبل الميلاد - كما مرّ بنا -، حيث قاوموا السلطات الوثنية وطردوها عن الهيكل الذي كان الوثنيون - عبدة القيصر، قد دَنَّسوه، برجاساتهم وطقوسهم الوثنية، عبر عمليات مقاومة ليلية وهجمات مباغتة مستخدمين المشاعل.

وتربط العوائد اليهودية هذا العيد بخارقة، فيزعمون أنه بعد تطهير المعبد السليماني بحثوا عن زيتٍ لإشعال الشموع فوجدوا جرة واحدة لا تزال مختومة بختم الكاهن الأعظم، فاستدلوا منه على أنه طهور لم ينجّس، ومع قلة كمية الزيت فيه، فقد كانت كافية لإشعال فتائل المشاعلِ لثمانية أيامٍ متوالية. وقد فقد العيد هذا المعنى وصار يرمز إلى التحرر من أصفاد الأغيار ونيل الاستقلال.

ومن المظاهر الموصولة بهذا العيد:

- إشعال الشموع الثمانية، في كل ليلة شمعة واحدة حتى اليوم الثامن، حيث توقد الشمعة الثامنة.

- وضع حامل الشموع في مداخل البيوت أو على مشارف المنافذ إعلاناً للمناسبة: «Memora».

- تناول معجنات مصنوعة من البطاطس «Potato Pancakes» والمعجنات المعروفة بالدوناتس «Dougnuts».

مهرجان بوريم Purim - **القرعة** - Lots:

يتصل هذا المهرجان الذي موعده الرابع عشر من شهر آذار، بخلاص

يهود بلاد فارس من المؤامرة التي دبرها هامان رئيس وزراء كسرى الفرس أحشويرش الذي حكم فارس في الفترة (٤٨٦ - ٤٦٤ ق.م). وذلك بفضل مكيدة دبرتها زوجته اليهودية الحسناء (أستير) للتخلص من هامان وإنقاذ اليهود من «خبث هامان»[١]، وطلبت من اليهود تنفيذاً لخطتها «صيام ثلاثة أيام بلياليها»[٢]، وسُمي العيد بعيد القرعة لأن هامان كان قد استخدم القرعة «لتعيين اليوم والشهر اللذين فيهما يجري ما عزم عليه» من إفناء لجميع يهود فارس.

وثمة مناسبات أخرى للاحتفالات عند اليهود، مثل عيد الشجرة: Tu Bi- shevat - New Years for Trees والاحتفال بولادة كل هلال جديد: Rosh Hodish.

---

(١) ٣٧ و٣٨ و٣٩: سفر أستير: ١-١٠.

(٢) عن تفاصيل أخرى إضافية عن الأعياد الدينية والمواسم، انظر:
- ليوتريب، المصدر نفسه، ص٢٩٠-٣١٥.
- دان كوهين شيربوك، المصدر نفسه، ص١٧٠-١٨٩.
- نويسنر، المصدر نفسه، ص٥٨-٦٣.



القسم الثاني
الحركات الحديثة في اليهودية

فصل من كتاب «اليهودية - عرض تاريخي»

Judaism: A Historical Presentation

لمؤلفه

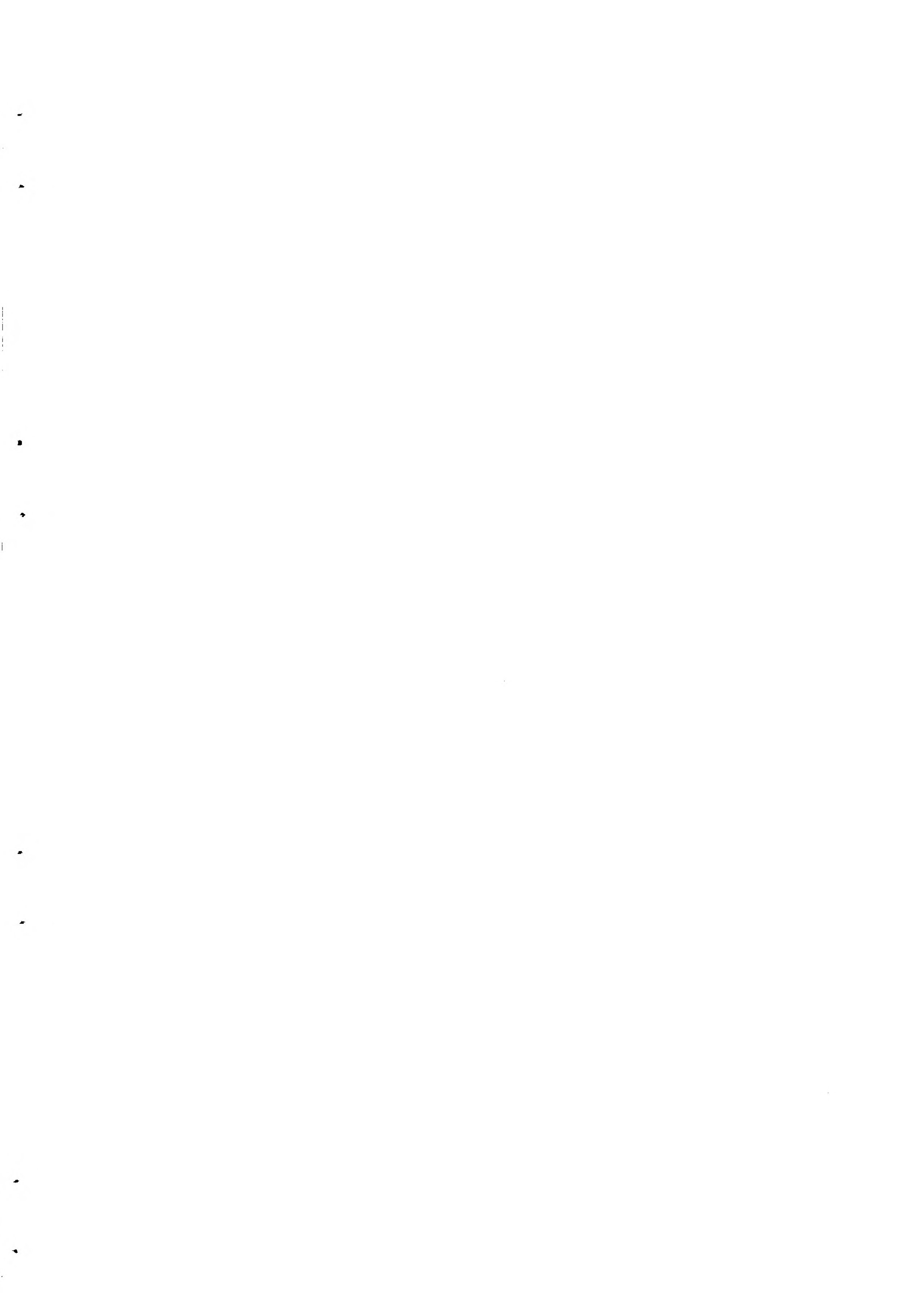
الحاخام أيسدور أبشتاين[١]

ترجمة الأستاذ

الدكتور عرفان عبدالحميد فتاح

---

(١) **الحاخام أيسدور أبشتاين**: من يهود إنجلترا. أنهى دراسته الأولية في الكلية اليهودية - لندن، وحصل على بكالوريوس آداب من جامعة لندن في الساميات والدكتوراة في الآداب منها أيضاً. عرف بمؤلفاته الغزيرة، أشرف على طبع وتحقيق التلمود البابلي في ست وثلاثين جزءاً باللغة الإنجليزية، وأصدر كتابه هذا مع مجموعة أخرى عن الدين اليهودي، تاريخاً وفكراً وحضارة، وشارك في دائرة المعارف البريطانية مشرفاً على ما يتعلق من موادها بدائرة اهتماماته.



* يمكن القول إجمالاً بأن الحركات الحديثة في اليهودية جاءت نتيجة مباشرة أو غير مباشرة لحركة التنوير (Enlightenment) التي ميزت الجو الثقافي العام في القرن الثامن عشر، ومَثَّلت جهد الإنسان الغربي من أجل تحكيم العقل وقوانينه وأحكامه في الجوانب المختلفة من حياة الإنسان.

* وبقدر ما يتعلق الأمر بالدين، فإن الدعوة إلى استقلال العقل البشري تضمنت جملة أمور كان من بينها، رفض كل عقيدة دينية أو سلطة شرعية - فأصبح لكل فرد حق تقرير ما يراد ويعتقد به. أما في دائرة العلاقات السياسية والاجتماعية، فإن حركة التنوير استهدفت معارضة كل صور التعصب والاستبداد وطالبت بالحرية والمساواة للبشرية جمعاء.

* إن حركة التنوير التي ظهرت بادىء ذي بدء في الأراضي المنخفضة وإنجلترا سرعان ما نفذت بتأثيراتها إلى فرنسا، حيث اتخذت فيها صيغة متطرفة بلغت مداها في الثورة الفرنسية التي أسقطت بإعلانها (لائحة حقوق الإنسان والمواطنة - Declaration of The Rights of Man and Citizenship) كافة القيود التي كانت السلطة الكنسية قد فرضتها على اليهود في دول أوروبا وحجزتهم عن المشاركة في الحياة المدنية مع مواطنيهم. ومن فرنسا انتشرت الحركة بسرعة فائقة إلى ألمانيا وبقية الدول الأوروبية حتى حدود نهر الفولغا.

* لقد قام «موس مندلسوهن - Moses Mendelssohn» (١٢٦٨-١٧٨٦) بالجهد الأكبر في نشر مبادىء فلسفة التنوير في صفوف اليهود، فقد انبرى بتأثير من آراء وفلسفة لابينتز (١٢٤٦- ١٧١٦) التي آمن بها،

إلى بيان طبيعة الصلة بين الوحي والفلسفة، فأعاد صياغة العقيدة اليهودية من جديد، رافضاً الاعتراف بأي ركن من أركانها الثابتة والمتوارثة، مما لا يمكن للعقل الإنساني بنوره الفطري، أن يهتدي إليه أو يتثبت من صحته، فأعلن صراحة في كتابه «القدس» قوله: «أنا لا أقر بمبدأ «خالداً» إلا ما أمكن تأسيسه أو التحقق من صدقه بالعقل». إن جملة ما تدعو إليه اليهودية وتقررها في دائرة الحقائق الدينية تنحصر في أمور ثلاثة هي:

الإقرار بوجود الله تعالى، والاعتقاد بعنايته ورعايته للخلق وخلود النفس البشرية. وهذه حقائق بسيطة، واضحة لذاتها، شبيهة بالبديهيات الرياضية، من حيث أنها من المبادىء الأولية التي يتوصل إليها العقل الخالص باستقلال عن الوحي. وإضافة إلى هذا، فإن هذه الحقائق الثلاث، من حيث أنها من هدي العقل البشري، تشكل أموراً مشتركة بين الأديان جميعها.

وفي حين فرضت العقائد الأخرى على هذه الحقائق الأولية البسيطة، نظاماً مغلقاً من العقائد التي لا بد من الإيمان به طلباً للخلاص، فإن اليهودية - في نظر مندلسوهن - لم تشأ أن تفرض على أتباعها مثل هذه القيود، فلم تبشر بحقائق أزلية ثابتة لا تقبل تغييراً أو تبديلاً. وهكذا فإن اليهودية - في نظره - ليست منظومة عقائدية مغلقة على ذاتها وموصٍ بها الرب، بل هي قواعد شرعية عامة لتنظيم السلوك. فالنداء الإلهي من جبل سيناء جاء بوصايا عملية ولم يقرر عقيدة دينية ثابتة. وكان الهدف من هذه الوصايا العملية هو صيانة «الجنس» اليهودي من الضياع، حتى يتمكن من أداء رسالته المقدسة ويبلغها إلى شعوب العالم جمعاء.

وغني عن البيان بأن «العقل» الذي توجه مندلسوهن على عرش الدين يختلف جوهرياً عن العقل الذي آمن به موسى بن ميمون (١١٣٤- ١٢٠٤)

وغيره من علماء العقيدة اليهودية، ممن اعتبروا العقل رديفاً للدين، وتابعاً له. كذلك فإنه، مما لا يحتاج إلى تأكيد أن صورة اليهودية، كما فهمها مندلسوهن، باعتبارها مجموعةَ أحكامٍ شرعية عملية لا يجوز ليهوديٍّ إغفالها جاءت متعارضةً ومخالفة في مجموعها لما أكَّدتهُ مسيرةُ التاريخ العام للحياة الدينية لليهود وخبراتهم الروحية التي تراكمت في وعيهم عبر القرون، وهنا كانت تكمن نقاط الضعف في فلسفة مندلسوهن التي سرعان ما ظهرت عيوبها بادية مشخصة للمؤمنين بالعقيدة اليهودية. لقد كفر كثيرون من أتباع مندلسوهن بالدين عموماً فتابع كُلٌّ عقلَهُ إلى حيث هداه عملاً بوصايا مرشدهم، في حين تطرف آخرون، بضمنهم غالبية أبنائه، فلم يترددوا عن الارتدادِ عن دينهم واعتناق دينِ الأكثرية من مواطنيهم، أملاً في الحصول على مراكز متقدمة في الحياة.

* والحق أن مندلسوهن كان في أعماقه أكثر إخلاصاً من أن يعمد إلى القيام بما من شأنه منع أبناء دينه عن عقيدتهم المتوارثة، إلا أنه، وقد تملَّكَتْهُ النزعةُ العملية وضروراتها الداعية إلى التكيُّف مع مُسَلَّمات العصر وحقائقه، قد جعل هدفه الأقصى إنقاذ إخوته في الدين من القيود التي كانوا يعانون من وطأتها، وذلك ببذل الجهد من أجل تحريرهم وتمكينهم من حقوقهم المدنية.

وهكذا اعتقد بإخلاص أن في الإمكان تحقيق هدفه، إذا ما أثبت للآخرين من غير ملته، توافقَ العقيدةِ اليهودية مع النزعة العقلية التي سادت عصره. ومن هنا فقد جعل الدعوة إلى الفلسفة العقلية موقفاً «ثابتاً» صار يقرره في تواصل كما هو بيِّنٌ من كتابه الموسوم «القدس».

وتحقيقاً للغاية ذاتها فقد بذل ما في وسعه من جهد لتحرير اليهود ثقافياً وتربوياً، وهو الأمر الذي تَيقَّنَ بأن سبيل الوصول إليه يكمنُ في توسيع

الأفق المعرفي لليهود ليشمل معطيات الثقافة المعاصرة التي تتجاوز حدود الدراسات التقليدية المتصلة بالتلمود وما ارتبط بها من موضوعات تفرعت عنها وتلازمت معها.

وهكذا انبرى مندلسوهن يدفع أبناء عقيدته إلى تخوم الثقافة الأوروبية التي من شأنها، إن هم ساهموا في حركتها، أن تجعلهم مقبولين من قبل الأجانب الغرباء من غير اليهود. وكانت الخطوة الأولى التي انتهجها في هذا السبيل ترجمته للأسفار الخمسة (البنتاتوخ) إلى الألمانية، متوخياً من ذلك دعوةَ اليهود الألمان إلى استبدال لغتهم التي كانت خليطاً من العبرية والألمانية بلغة الألمان القومية، ومن ثم المشاركة في مسيرة الحضارة الغربية وحركتها الصاعدة. ثم أتبعَ هذه الترجمةَ برعايته لتفسيرٍ للتلمود بالعبرية حاول فيه إعادة تأويل النصوص الدينية في ضوء معطيات الفكر الحديث، مما أثار في صفوف اليهود من أبناء عصره رغبة صادقة في التعرف على الثقافة العامة السائدة آنئذ.

* لقد أثارت جهود مندلسوهن التربوية هذه عاصفة هوجاء من المعارضة والتنديد، فلقد تَوجَّس كثيرون الخيفة - وكانوا على حق فيما ذهبوا إليه - من الآثار السلبية المدمرة لهذا الانفتاح الفكري على موارد الثقافات الأجنبية على الحياة الروحية لليهود، وإخلاصهم لعقيدتهم الدينية. ولم يكن مندلسوهن وحيداً في الدعوة إلى هذا الانفتاح الفكري الذي تخيله الأداةَ الكفؤةَ لتحريرِ اليهود، فلقد أحاطت به، وانتصرت لدعوته، عُصبةٌ من الرواد المخلصين ممن شايعوا منهجه وأيدوا مذهبه، فجعلت هذه العصبة من التنوير (Haskalah) ديناً لها، وأطلقوا تبعاً لذلك على أنفسهم اسم المنورين (Maskilin) وتعاهدوا بينهم على إصدار دورية أدبية عنوانها «الجامع - Hameasef» ومن هنا اللقب الشائع الذي عرفوا به أيضاً

«Measefim». وقد استمر صدور هذه الدورية لفترات متقطعة وغير منتظمة ما بين (١٧٨٤- ١٨١١) باللغة العبرية التي اعتقد المتنورون أنها الوسيلة الكفؤة لنشر آرائهم ومعتقداتهم معرضين عن لغة الياديش (Yiddish) وهي اللهجة المحلية التي كانت خليطاً متنافراً من العبرية والألمانية؟

* كذلك حاولت هذه العصبة من صفوة المثقفين اختراق إطار الدراسات التقليدية التي كانت تقتصر على التلمود، فانهمكوا في إجراء البحوث والدراسات العامة مستهدفين من ذلك بيان جمال لغة التوراة والحرص على نقائها. ومع هذا كله فإن الغاية القصوى التي أرادوا تحقيقها كانت الرغبة في الاندماج بثقافة العصر القائمة، متخذين من اللغة العبرية أداة لتدعيم وجهات نظرهم في ضرورة مسايرة روح العصر والانسجام مع معطياتها ودفع اليهود صوب المفاهيم الكلية لحضارة الغرب وقيمها الراهنة.

وكان نفتالي هرتس ويسلي (Wesseley) (١٧٢٥- ١٨٠٥) الشاعر ذائع الصيت والشهرة واحداً من أشهر أنصار مندلسوهن وأكثرهم إخلاصاً لدعوته، وقد أقام ويسلي شهرته هذه على حماسه المُتَّقد في الدعوة إلى الاندماج الفكري والانصهار في ثقافة العصر وعلومه، وقام في كتابه المعروف «كلمات عن السلام والحقيقة» بدعوة أبناء مِلَّتهِ من يهود النمسا والمجر إلى الاستجابة المخلصة لنداء الامبراطور جوزيف الثاني (١٧٤١- ١٧٩٠) الذي جاء في لائحة الإعلان عن التسامح «Edict of Toleration» التي صدرت عام ١٧٨٢ ودعا فيها إلى استخدام اللغة الألمانية وإنشاء المدارس الحديثة لتعليم العلوم العصرية ذات الصلة بروح العصر ومطالبه.

لقد عاش مندلسوهن ليشهد الثمرةَ الأولى لجهوده التربوية وذلك بافتتاح أول مدرسة يهودية حرة «Frei Schule» في برلين عام ١٧٧٨ والتي كانت أول مدرسة يهودية حديثة جمعت في برامجها التعليمية بين العلوم الدينية

والعلوم العصرية والتي كانت تدرس جميعاً باللغة الألمانية. على أن جهود مندلسوهن من أجل تحرير اليهود وحصولهم على حقوقهم المدنية في المواطنة قد واجهت سلسلة من المصاعب والمعوقات، فلم يتحقق شيء مما أراده إبان حياته إذ لم تختف مظاهر التعصب والكراهية والتمييز الديني ضد اليهود واليهودية، وهي المظاهر المؤلمة التي تعكسها عبارة فردريك الكبير، امبراطور بروسيا (١٧١٢- ١٧٨٦) التي جاء فيها: «لقد تمتع الناس جميعاً في دولتي بالحرية الدينية، وصار كل فرد ينشد خلاصه الذاتي فيما يراه حراً «طليقاً» من كل قيد. ومع ذلك بقي اليهود محرومين من هذه الامتيازات، وخارج نصوصها التي منحتها القوانين وأقرتها للمواطنين على السواء».

وهكذا تأجل حصول اليهود على حقوق المواطنة الكاملة إلى ما بعد وفاة مندلسوهن بخمس سنوات، أي إلى عام ١٧٩١ عندما أقرت الجمعية الوطنية الفرنسية، عقب قيام الثورة مبدأ حرية الاعتقاد ومنح الحقوق المدنية الكاملة لرعايا الدولة الفرنسية من اليهود. ثم حمل نابليون بونابرت الوريث الشرعي للثورة، هذه التشريعات إلى حيث وصل في حروبه وفتوحاته بما في ذلك ألمانيا، وسرعان ما تهاوت الحواجز والموانع أمام اليهود في الدول الأوروبية الواحدة بعد الأخرى - واختفت القيود التي كانت تحول بينهم وبين المواطنة الكاملة.

ومع إطلالة القرن التاسع عشر كان اليهود قد استكملوا اكتساب جملة حقوقهم المدنية في دول أوروبا الغربية، وحيثما منح اليهود حقوقهم المدنية كاملة اندفعوا في إخلاص لا يَشُوبُه ريبٌ إلى خدمة مؤسسات دولهم، وساهموا بفعالية ونشاط في تطوير الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية لبلدانهم التي يقيمون فيها، وفيما عدا دائرة العقيدة

الدينية وما يتصل بها من مراسيم، فإن اليهود سووا بين مصالحهم الذاتية وأقدارهم وبين المصلحة العامة لمواطنيهم، فاندفعوا يعملون على تطويرها باذلين غاية جهدهم في سبيل ذلك.

* ووسط هذا التحول المفاجىء وغير المتوقع واجه اليهود أزمة حادة لم يشهدوا لها مثيلاً من قبل، وبدا واضحاً عجزهم الأكيد عن التكيف والاستجابة للظروف المستجدة، ذلك أنهم وبعد قرون من الاغتراب والعزلة في «الشتات» لم يعد ميسراً لهم أن يكونوا مواطنين سواء مع غيرهم في الحقوق وفي دولة قومية علمانية لا تدين باليهودية فكان أمر الوصول إلى صيغة متوازنة للتوفيق بين عقيدتهم الدينية، بخصائصها المميزة، وبين المكانة السياسية والاجتماعية الجديدة التي اكتسبوها، قضيةً شائكة تستعصي على الحل. لقد تجاوز كثيرون هذا المأزق وذلك بالارتداد عن اليهودية واعتناق دين الأكثرية السائد، في حين وجد آخرون أن أفضل سبيل يمكن اتباعهُ هو التكيف مع الظروف المستجدة ومحاولة الاندماج مع معطياتها، وهكذا أعلنوا - من جهة - ولاءهم لليهودية ومآثرها التقليدية كما صاغها مندلسوهن ولخَّصها في المبادىء العقلية الآنفة الذكر، باعتبار أن **الدين اليهودي عقيدة فلسفية مجردة** وتَنكَّرُوا - من جهة أخرى - لجملة الخصائص القومية التي تميز اليهودية وتفصلها عن غيرها من الأديان.

وهكذا رفضوا مجرد التسمية باليهودي، فلم يعد مسوغاً في عرفهم أن يُدعوا يهوداً، بل مواطنين ألمان وفرنسيين وإنجليز من أتباع الطائفة الموسوية. وسرعان ما انتشرت هذه الاتجاهات المتطرفة الداعية إلى الانصهار القومي والاندماج في الدولة العلمانية في صفوف اليهود، فصاروا يتنكَّرون علانية للمآثر الدينية والقومية المتوارثة التي ظنوها تتصادم ولا تتفق مع نوزاع واتجاهات أتباع الدوائر الفكرية المتنورة التي اتصل اليهود

بها في بلدان الشتات. وكان حصيلة ذلك كله ظهور الحركة المعروفة «بحركة الإصلاح - Reform - Movement» التي نبتت بادىء ذي بدء في ألمانيا ثم واصلت انتشارها المذهل في الولايات المتحدة وإنجلترا.

لقد استهدفت حركة الإصلاح اليهودية هذه تطويع الصور التقليدية المتوارثة للحياة والسلوك لروح العصر وثقافة الأمم التي اندمج اليهود في تاريخها ومسيرتها الاجتماعية في الحياة. ويُعَدُّ ديفيد فردلندر Friedlander (١٧٠٦- ١٨٣٤) أحد أكثر تلامذة مندلسوهن إخلاصاً لدعوته، والمؤسس الحقيقي لحركة الإصلاح فهو المسؤول عن إرساء دعائمها وقواعدها التي لم تهجرها الحركة قط.

وعلى الرغم من أن الحركة استهدفت ابتداء الحيلولة دون ارتداد اليهود عن مآثرهم الدينية والقومية، فإن السبب الجوهري وراء نشاط الحركة ونموها الذي هيمنَ على مساراتها وحدد طبيعتها، كان يتمثل في الدعوة إلى التوافق مع مطالب العصر والانصهار في المجتمع الغربي الحديث.

وهكذا شخَّصت الحركة غايتها القصوى في العمل من أجل اجتثاث تلك العناصر والخصائص القومية التي من شأنها أن تؤثر سلباً في علاقات اليهود المتنامية مع الأغيار.

ولقد ذهب ديفيد فريدلندر في مسعاه إلى حدودٍ متطرفة غير مُستساغة، فقدم عام ١٧٩٩ التماساً إلى السلطات الكنسية البروتستانتية ببرلين يطلب فيه السماحَ له ولأنصاره ومريديه الاشتراك في المراسيم الكنسية، شَرْطَ أن يُعْفَوْا من القول بألوهية عيسى (ع) ومن ممارسة الطقوس الدينية التي هي من لوازم العقيدة المسيحية. وكان طبيعياً أن ترد الكنيسة طلبه هذا الذي تضمن رِدَّةً مشروطة عن اليهودية.

* وتحت وطأة المشاعر المؤلمة التي كانت تُسَبِّبه له عقيدتُه اليهودية وما تثيرها من مصاعب ومشكلات له، فقد اندفع من أجل تطوير اليهودية وفق منهج قصد به **إسقاطَ كل الخصائص القومية عن اليهودية** والتي من شأنها في اعتقاده - أنْ تُعيقَ قيام علاقات سويّة بين اليهود ومواطنيهم من رعايا الدول التي كانوا يقيمون فيها، أو تشكك في إخلاصهم الوطني، **فدعا إلى إلغاء كافة الصلوات الدينية التي تعكس سمة قومية، وطالب باستبدال اللغة العبرية** بالألمانية كلغة للصلاة، وأداء الطقوس والمراسيم الدينية الأخرى بها.

وعلى الرغم من اجتماع نفر غير قليل من المناصرين المخلصين حول فريدلندر وتعاليمه فإن واحداً منهم لم يجرؤ على نقل دعوته هذه إلى واقع الحياة العملية.

* والحق فإن الدعوة إلى الإصلاح، كحركة منظمة ومقتدرة ترتبط تاريخياً بالمحاولات التي وقفت عند حدود العمل على صياغة المظاهر الخارجية للحياة الدينية عند اليهود وفق المراسيم الكنسية وطقوسها من غير أنْ تمسَّ عمليةُ التطور هذه المضمونَ العام للصلوات اليهودية ومحتواها الديني القومي. وترتبط هذه الدعوة باسم «إسرائيل جاكبسون - Israel Jacobson» (١٧٦٨- ١٨٢٨) الذي أسس أول هيكل (كنيس) يهودي للإصلاح في مدينة «سيسن برنزويك» بجهده الخاص ومن ماله. وقد جرى في هذا الهيكل ولأول مرة في تاريخ اليهودية أداء الصلوات والطقوس الدينية وفق صيغ المسيحية وتقاليدها الكنسية، وأول مناسبة يسمى فيها المعبد اليهودي «بالهيكل - Temple» وهو الاسم الذي خصَّ اليهود به الهيكل المقدس، مما يعكس استخفاف الإصلاحيين بالتقاليد الدينية المتوارثة وخروجهم على الإجماع اليهودي وأملهم التاريخي المشترك في

استعادة اليهود لهيكل سليمان القديم.

كذلك تضمنت بدعة جاكوبسون - إلى جانب إجراء التغييرات في المظاهر الخارجية لصور العبادة، أداء بعض المراسيم والاحتفالات باللغة الألمانية والاستعانة بفرق المنشدين (الكورال الكنسي) واستخدام الأورغن، على غرار ما هو قائم في الكنائس المسيحية، وإجراء مراسيم بلوغ الذكور سِنَّ التكليفِ الشرعي يوم عيد الحصاد (Pentecost)[1] [في اليوم الخامس عشر التالي لليوم الثاني من عيد الباسوفر «Passover»] بدلاً من سن الثالثة عشرة كما تنص المآثر والتقاليد اليهودية، وإلغاء تلاوة الصحف المقدسة في الصلوات العامة.

ومع تقادم الأيام قويت حركة الإصلاحيين وازدادت تطرفاً وعنفاً، فأقدم أتباعها على تطبيق ما كان قد بشر به فريدلندر، وهكذا أُنشيءَ معبد ثانٍ في هامبورغ على شاكلة الذي شيد في سيسن مع الإقدام على إجراء تحويرات جوهرية في صِيَغِ الصلوات ومضامينها القومية، وهكذا غُيِّرت الصلاةُ من أجل العودةِ إلى أرض الميعاد وتبشر بالخلاصَ القومي المرتقب لليهود لتعني نشدان الخلاص العام للبشرية جمعاء. وغُيِّر مفهومُ «المسيا - [المسيح المنتظر الموعود] وأُفْرِغَ من دلالته التاريخية والقومية ليصبح دعوة إلى بداية عصر إنساني ينعم الجميعُ فيه بالعدل، وتزول فيه مظاهر الظلم عن بني الإنسان جميعاً.

كذلك أقبل القائمون على معبد برلين على بدعة أخرى لا أصل لها في

---

(١) بموجب المآثر المتوارثة يبلغ الفتى سن الرشد عند الثالثة عشر من عمره، وهو سن التكليف الشرعي، ويسمى بعده بابن الوصايا Bar Mitzuah ويبدأ يلبس (الطليت) الشال المربع ذي الهدب، و(التلفين)، العصبة التي تشد على الرأس، انظر سفر الخروج، ١٢/٩. المترجم.

المآثر الدينية، تلك هي الأخذ بسنة الاحتفال بتأكيد دخول الإناث في العقيدة.

ومع ظهور كل من «صموئيل هولدهايم S.Holdheim» (١٨٠٦-١٨٦٠) و«إبراهيم جايجر A.Geiger» (١٨١٠- ١٨٧٤) قادةً وزعماء للحركةِ الإصلاحية، بدأت الحركةُ تتخذ مساراً أشد تطرفاً وغلواً من قبل، فقد صرحا معاً، وبلغة حاسمة وواضحة **بأن اليهودية عقيدة دينية وأخلاقية صرفة ليس فيها ما يشير إلى خصائص قومية**. ومن هنا فقد عملا جاهدين إلى إلغاء كافة الأحكام الشرعية والطقوس الدينية والمراسيم اليهودية التي أُريدَ لها أن تُمَيِّزَ اليهودَ عن سائر الأمم والطوائف.

* وهكذا أقدم صموئيل هولدهايم، من زعماء هيكل برلين عام ١٨٤٩ على استبدال السبت اليهودي ومراسيمه بالأحد المسيحي وطقوسه، وألغي الاحتفال باليوم الثاني لشهود القمر الجديد وولادته، وسمح القائمون على الهيكل باختلاط الجنسين أثناء مراسم أداء الصلوات من غير غطاء[١] الرأس والشال الذي يوضع على الكتف[٢]، واستبعدوا اللغة العبرية عن الطقوس الدينية وأبطلوا استخدام «الصور» أو «البوق» Shofar إيذاناً ببدء العام الجديد، ورفضوا التمائمَ والأدعيةَ التي تُلْتَمسُ من التقاة الصالحين المنحدرين عن أصول دينية معتبرة، بدعوى أن هذه الممارسات ترتد إلى

(١) Tefflilin: التفلين، حافظة صغيرة تلف على الذراع، أو تعصب حول الرأس أعلى الجبهة أثناء تأدية الصلاة. وقد ربطها علماء التلمود المتشددون بأصل إلهي ووجدوا له حكماً في التوراة، سفر التثنية: ٨/٢ (واربطها علامة على يدك، ولتكن عصائب بين عينيك) المترجم.

(٢) Tallith، الطليت، بجدائله الأربع، أو أهدابه، سفر العدد: ٣٨/١٥ (وقل لهم يضعوا أهداباً في أذيال ثيابهم).

أيام الهيكل القديم ولا تتفق مع عقلانية العصر ومطالبه.

* وإذا كان «أبراهام كايجر» أقل تطرفاً في الجوانب العملية في دعوته إلى الإصلاح والتطوير، فإنه لم يكن أقل حماساً من «هولدهايم» في الجوانب النظرية، فقد دعا إلى ضرورة ممارسة ضبط النفس في عملية الإصلاح مخافة أن تفقد الحركة كاملَ صلتها بأبناء بني إسرائيل ومشاعرهم الدينية، واجتهد في تطويرِ معارف أتباعه وذلك بما ألَّفَ ودوَّن من كتب ورسائل **أنكر فيها الأصلَ الإلهي للأسفار الخمسة، ورفض الاعتراف بالأحكام الشرعية الثابتة وحياً من السماء، وناصرَ الدعوةَ إلى إلغاء سنة الاختتان.**

* **وانطلاقاً من اعتقاده بأن اليهودية لا تدل إلا على طائفة دينية مجردة عن أية** خصائص قومية، فقد بشر بمفهوم عالمي مجرد عن كل مضمون قومي، **باعتبار أن إضفاء صفة قومية عليها يناقضُ ما أراده الله تعالى** وقصده، ولهذا فقد أسقط من كتاب الصلوات الذي قام بنشره عام ١٨٥٤ كافة الأدعية والصلوات التي تتضمن الدعوة إلى استعادة بناء الدولة اليهودية في فلسطين، وكذلك كل إشارة إلى الأمل القومي المنتظر في اجتماع يهود الشتات وعودتهم إلى أرض الميعاد. وأَبانَ كايجر بأنَّ هذه المعالم القومية أمورٌ قد بادت وانقرضت واختفى مضمونها عن الوعي اليهودي بإطلاق.

وقد بَيَّنَ كايجر بأن وجهة نظره هذه إنما تستند إلى قراءة تاريخية ونقدية للمآثر التوراتية التي دُوِّنَتْ في أزمانٍ وظروف خاصة بها تبرر ما ذهب إليه من الدعوة إلى التغيير وإعادة التأويل والتفسير. وأعلن بأن داعيته إلى إجراء مثل هذه التأويلات تنسجم مع التقاليد التلمودية المتوارثة التي تؤكد ضرورة رعاية المصالح تبعاً لتغير الأزمان ومقتضياتها.

والحق فإن كايجر لم يكن ذا اهتمام وتقدير لا للمآثر المُتَّبعة ولا لنصوص التوراة ذاتها، باعتبار أن أياً منهما لم يكن يشكل - بحسب قناعته - سلطةً مقدسة واجبة الاتباع، بل الذي كان يُؤَرِّقُه ويُعنِّيه ويصدر عنه هو ضرورةُ التوافقِ مع روح العصر التي كانت من وجهة نظره، ونظر المتابعين له ولدعواه وحياً «من الله أيضاً»، يُكَمِّلُ ويُتَمِّمُ التعاليمَ السماوية التي جاءت بها التوراة والتلمود.

* إن إنكار قادة حركة الإصلاح لشرعية التوراة وقدسيتها قد فتح المجال واسعاً أمام ظهور الاتجاهات الفردانية الخالصة مما أنتج بدورها اختلافاً كبيراً في صفوف دعاة الإصلاح وتباين وجهات نظرهم حول ماهية اليهودية ومعالم السلوك اليهودي في الحياة. ورجاء تجاوز هذا التباين والاختلاف ونتائجهما السلبية، ورغبة في الوصول إلى قدرٍ مشترك من الفهم والممارسة، فقد بُذلتْ جهود مضينة لعقد مؤتمر ديني عام بغية الوصول إلى مقررات ملزمة من شأنها أن تُوحِّدَ الصفوف وتقضي على التباين والاختلاف في الآراء والاجتهادات تحت راية الإصلاح والدعوة إلى التطوير.

* وكان من بين أخطر هذه المؤتمرات تاريخياً المؤتمر الذي عقد بمدينة فرانكفورت عام ١٨٤٥ والذي جرى فيه نقاش عام وشامل للتغييرات التي أجريت على الطقوس والمراسيم الدينية. فقد دعا عدد من الوفود **إلى إلغاء كامل للغة العبرية، باعتبار أن تأكيد المحافظة عليها ينتهي إلى القول بأن اليهودية ديانة قومية**، في حين أكَّدت أغلبيةُ الوفود على ضرورة الإبقاء عليها لا باعتبارها القومي والتاريخي وإنما مراعاةً لمشاعر أبناء الجيل القديم وتقديراً لعواطفهم.

وقد أدى هذا الاستعداد من لدن الإصلاحيين للتخلي عن اللغة القومية

إلى انشقاق «زكريا فرانكيل - Z. frankel» (١٨٠١- ١٨٧٠) عن الآخرين وقيامه بتأسيس «مدرسة الوضعية التاريخية - Positive Historical School» التي فصلت فصلاً تاماً بين العقيدة النظرية والممارسة العملية، وجمعت بين الدعوة إلى حرية البحث والاستقصاء التاريخي في عقائد بني إسرائيل وماضيهم الغابر وبين مراعاة الشريعة اليهودية والتقاليد القومية المتوارثة باعتبارهما معاً نتاجَ خبرةٍ تاريخية مشتركة تراكمت عبر العصور وميزت بني إسرائيل عن غيرهم.

لقد واجهت حركة الإصلاح، وبدرجة أدنى، مدرسة الوضعية التاريخية معارضةً عاصفة من الأصوليين والمحافظين، داخل ألمانيا وخارجها على السواء - ممن صاروا يسمون وعلى سبيل التهكم والسخرية من قبل الإصلاحيين «باليهود الأرثذوكس»، وكان من بين أشد المعارضين للاتجاهات الإصلاحية وأصلبهم عوداً وأغزرهم مادة الربائي «موسى صوفر M. Sofer» (١٧٦٣- ١٨٦٣) من يهود «برسبورغ - Pressburg» الذي كان حاخاماً ذائع الشهرة ومعروفاً بفتاويه «Responsa» الشرعية التي بلغت في مجموعها مجلدات ضخمة، والتي ما زالت ذات قيمة شرعية لا تنسى.

لقد انقلب صوفر بعنف على كل دعوةٍ إلى الحداثة والإصلاح في شؤون الحياة الدينية لليهود، وإليه وإلى جهودهِ وصراعهِ الدائب المستمر ضد الإصلاحيين يعود الفضلُ في انحسار تيار الحركة الإصلاحية وفشلها في هنغاريا على الرغم من جهود أتباعها المخلصين وحماسهم المتزايد في الدعوة إلى برامجها.

* أما في ألمانيا فقد وجدت الأصولية المحافظة أعظم نصيرٍ لها في

شخص «سمسون روفائيل هيرش - S. R. Hirsch»[1] (١٨٠٨- ١٨٨٨) الذي عارض بشدة بالغة أتباع الحركتين الإصلاحية والوضعية التاريخية على السواء، وأسس منهجاً مغايراً لهما عرف فيما بعد بـ: الأرثذوكسية المحدثة - Neo - Orthodoxy - التي شكلت فيما بعد - إذا ما أسقطنا بعض أوجه الخلاف البسيطة التي حتمتها الظروف المتباينة ليهود الشتات - الأرثذوكسية اليهودية المعاصرة في العالم الغربي.

* والحق فإن الأرثذوكسية المحدثة ليست مذهباً جديداً بقدر ما هي عملية إحياء شاملة لليهودية وفق منهج المدرسة المتوسطة التوفيقية اليهودية التي قامت في الأندلس العربية، والتي أخذت على نفسها التوفيق بين ثوابت الدين ومقررات العقل الفلسفي والجمع بينهما، مع انتماء راسخ وأكيد للتقاليد المتوارثة في دائرتي العقيدة والسلوك، ومشاركة نشطة وفعالة في ثقافة العصر وعلومه المستجدة.

وباعتباره ربائياً مسؤولاً عن طائفة الأرثذوكس في فرانكفورت - على نهر المين - أعلن هيرش مبدأ الاعتزال أو الهجرة - Austritt - قاصداً به ضرورة انفصال اليهود الأصوليين عن المجتمعات والهيئات التي تسود فيها النزعة الإصلاحية، وتأسيس مجتمعات خاصة بهم، وعلى الرغم من استجابة عدد قليل من الهيئات لدعواه هذه، فإنه استطاع تأسيسَ جماعتهِ الأصولية الملتزمة بمبادئه في فرانكفورت وعمل على تطويرها، لتتحوَّل من

---

(١) لقد لخص هيرش منهجه القائم على الجمع بين المآثر الدينية المتوارثة وبين روح العصر في شعاره المعروف: «التوراة وقانون الأرض»: Torah Im Derkeh Erets، ولمزيد من التفاصيل، راجع:
- دان كوهين، المصدر نفسه، ص١٤٠، وأيضاً.
- نويسنر، المصدر نفسه، ص١١١-١١٢ (المترجم).

بَعْدُ إلى منظمةٍ دينية قوية لها مدارسها الحديثة التي تُمَوَّلُ ذاتياً من قبل أتباعها، وشكلت المثال الذي تقتدي به وتسير على مناهجه جماعات اليهود في أرجاء ألمانيا وأقطار أوروبا الأخرى.

وأخيراً واجهت حركة الإصلاح ضربة قاتلة أصابتها بالشلل التام عندما عقد الإصلاحيون مؤتمر «برسلاو» ١٨٤٦ وانتهت أعماله بالفشل التام بسبب الاختلاف الحاد في وجهات النظر حول استبدال السبت اليهودي بالأحد المسيحي، وهكذا اضطر المناصرون للإصلاح إلى نقل مراكز نشاطهم إلى الولايات المتحدة حيث استطاعت الحركة فيها بفضل جهود عدد من المخلصين لبرامجها، مِمَّن انضموا إلى سيل الهجرة المتدفق من ألمانيا وغيرها من الأقطار الأوروبية، والذي بدأ عام ١٨٣٠ وبلغ أَوْجَهُ بين سنتي ١٨٤٨- ١٨٥٠ بسبب ثورة ١٨٤٨، وردود الفعل المناهضة لها.

وفي هذا العالم الجديد، وبعيداً عن تيار المعارضة المتشدد من الجماعات الأصولية، وعبر جهود ونشاطِ قادةٍ بارزين أمثال «إسحاق وايز I. Wise» (١٨١٩- ١٩٠٠) و«ديفيد آينهورن D. Einhorn» (١٨٠٩- ١٨٩٩) وآخرين غيرهم، تمكنت الحركة الإصلاحية - أن تشق طريقها بسهولة ويسر. وفي عام ١٨٨٥ وفي مؤتمرها العام الذي عقد بمدينة بطسبرج استطاعت حركة الإصلاح الأمريكية أن تحدد المبادىء العامة لمنهجها الذي نَصَّ - من بين أمور كثيرة - صراحةً على **رفضٍ كاملٍ للتشريعات الموسوية والربائية، بما في ذلك الشريعة الإلهية المنزلة، وما يماثلها من المقدسات، وتم استبدال السبت اليهودي بالأحد المسيحي، مع إدانةٍ كاملة للنزعات القومية.**

وانبثق عن هذا المؤتمر مباشرة وتبعه، مؤتمرٌ مركزي عام آخر عقد عام ١٨٩٢ انتهى إلى إلغاء سنَّة الاختتان الواجبة ديناً، كعلامةٍ دالة على الدخول

في اليهودية. وكردٍّ فِعْلٍ لمقررات مؤتمر بطسبرج تشكلت مجموعة مؤثرة من أصحاب النزعات التوفيقية المعتدلة بزعامة «سباتو موريياس - Sabato Morias» (١٨٢٣- ١٩٠١) تحولت فيما بعد إلى حركة منظمة عرفت بحركة المحافظين «Conservative Movement» استطاعت أن تنمو ويتكاثر أعوانها وأتباعها بسرعة، وأن تتطور إلى قوة رئيسية ذات أثر بالغ في الحياة الروحية والتقاليد العامة لليهود الأمريكيين، وذلك بفضل تَبنِّيها لمواقف زكريا فرانكيل مؤسس الوضعية التاريخية من جهة، والقيادة الروحية النشطة لـ«سلمون شيختر - S. Schechter» (١٨٣٠- ١٩١٥) الذي عمل أستاذاً للدراسات الربائية في جامعة كمبردج، ونال شهرة علمية وعريضة لاكتشافه أثريات جينيزة[١] بالقاهرة، من جهة أخرى.

* وانطلاقاً من موقفها المتوسط بين الأرثذوكسية المحافظة وبرامج الحركة الإصلاحية، فإن حركة المحافظين عمدت من طرف - إلى الأخذ بمجموعة من المظاهر الشكلية المتصلة بصور العبادة الخارجية مما انتصر لها الإصلاحيون: كالجمع بين الجنسين في الصلوات، وهو المبدأ الذي رفضته الأرثذوكسية دائماً وبلا مساومة، وكذلك أداء طرف من الصلوات باللغة الإنجليزية، وإدخال آلة الأورغن إلى المعبد، ومن جهة أخرى أعلن المحافظون عن التزامهم العقائدي الصارم بالبنية العامة للتقاليد الموروثة عن الحاخامات، مع الاحتفاظ بحقِّ تأويلِها وتفسيرها للشريعة الموسوية تبعاً للمصالح العامة ومقتضيات العصر ومطالبه. وكمثل على هذا السلوك

---

(١) Genizah - المخبأ: اسم عرف به المخزن الذي كان موجوداً في كنيس عزرا بالقاهرة، والذي كان يحوي عدداً كبيراً من الكتب والمخطوطات التي تلقي ضوء «كاشفاً» على تاريخ وآداب اليهود. وقد قام بنقلها شيختر إلى جامعة كمبردج عام ١٨٩٨ ونشر عام ١٩٠٥ قسماً منها.

التوفيقي نذكر أن المحافظين يقرون - مثلاً - الذهاب إلى الكنيس بواسطة آلية، وذلك خلافاً للربائية التي لا تجيز ذلك بإطلاق.

وكان لزاماً على المحافظين تحديد معالم منهجهم والمبادىء العامة لحركتهم وبيان مواقفهم من تطبيق قواعد الشريعة وحدودها في الحياة كما أبان عنها الربَّائيون، ومن هنا فقد آمنت الحركة بالوحي السماوي إلى بني إسرائيل، واتخذت موقفاً إيجابياً من الآمال القومية لليهود في العودة إلى أرض الميعاد وإقامة دولتهم المستقلة عليها، وأعطت قيمةً تاريخية حاسمة للغة العبرية ولزوم أداء الصلوات والمراسيم الدينية بها. وخلافاً للأرثذوكسية، فإنها رفضت عقيدة البعث والقيامة وإنْ هي آمنت بخلود النفس البشرية، وحددت الحركة أهدافها الرئيسية في المبادىء الثلاثة التالية:

١- تنمية الشعور بالوحدة الجامعة لبني إسرائيل، وهو ما أسماه شيختر بالكاثوليكية أي «الدين الجامع».

٢- صيانة حرمة التقاليد اليهودية الموروثة والحفاظ عليها من الضياع.

٣- تطوير الدراسات والمعارف اليهودية وبذل الجهد من أجل تنميتها.

وكان الاعتقاد السائد بين أتباع الحركة أنه إذا ما تم تأكيد هذه المحاور الأساسية فإن القضايا الفرعية الأخرى المتعلقة بها، سوف تتعهد ذاتها بنفسها. وتأسيساً على هذه المبادىء العامة فقد رفضت الحركة الالتزام بقواعد معينة وثابتة في دائرتي العقيدة ومبادىء السلوك، فسمحت بقدرٍ واسع من الحرية فيما يتعلق بتفاصيل ومفردات السلوك العام وعقيدة الجماعات المنضوية تحت لوائها. وقد أدى هذا التسامح بدوره إلى قيام حركة جديدة داخل الحركة ذاتها عرفت: «بإعادة البناء أو التجديد The

Reconstruction Movement التي دَشَّنها «مردخاي كبلن - M. Kaplan» (١٨٨١-) والتي قامت على أساس من الدعوى القائلة بأن الدين اليهودي إنما وجد من أجل اليهود، ومن ثم فإن وجود بني إسرائيل ليس رهناً بالدين اليهودي وبقائه.

ومن هذا المنطلق فإن حركة التجديد والبناء صارت تنظر إلى العقيدة اليهودية نظرة نسبية، وعلى أنها من الإرث الحضاري العام لبني إسرائيل، هذا الإرث الذي تُشَكِّلُ العقيدةُ الدينية على الرغم من أهميتها، أحدَ عناصره، من بين مظاهر متعددة كثيرة تجلَّى فيها هذا الإرثُ الحضاري وعبر فيها عن نفسه ومكنوناته، شأنها في ذلك شأن اللغة والأدب وسائر الفنون، وبناء على هذا الفهم فإن **الدين اليهودي لا يعدو أن يكون عقيدةَ الجمهور** كما أصبحت الشيوعيةُ ديناً للجماهير في روسيا، وأن الشعائر الدينية الموصولة بالعقيدة الدينية ليست إلا وسائل جماهيرية للتعبير عن الذات، مثلها في ذلك مثل الاحتفال بيوم الطرف الأغَرِّ عند الإنجليز، أو اليوم الرابع عشر من تموز عند الفرنسيين ويوم الاستقلال عند الأمريكيين.

وحتى مفهوم الألوهية والإقرار بوجود كائن أسمى، خَلَقَ الوجودَ ويوالي عنايته ورعايته له، قد اتخذ عند هذه الجماعة صيغة الاعتقاد بوجود عملية تطورٍ كونية صاعدة، تجد لها تعبيراً في الحقيقة التي تقرر قيمة الإنسان وتعمل من أجل الوحدة الاجتماعية لبني الإنسان.

وغنيٌّ عن القول والبيان بأن مثل هذه المفاهيم والتصورات التجريدية الخالصة للألوهية من شأنها أن تلغي كل مفهوم للألوهية والتي تقوم أصالة على أساس من علاقة مباشرة متبادلة بين الخالق والعبد، وهو ما يُشَكِّلُ حقيقةَ كل الأديان وجوهرها، دَعْ عنكَ عقيدةَ اليهود في الاختيار الإلهي المقصود لبني إسرائيل، والإيمان بإرادة إلهية سامية تستهدف تحقيق

غاية قصوى من الخلق وحركة التاريخ.

وهكذا فإن حركة التجديد والبناء ليست سوى النزعة الأصولية المحافظة التي أسلفنا خصائصها العامة بعد أن جردت من نزعتها التوكيدية على الجوانب الدينية عند اليهود، ومن هنا فإن من الصعوبة بمكان اعتبارها عقيدة دينية بالمعنى المتبادر إلى الذهن للمصطلح على الرغم من أن للحركة معابدها وأساتذتها وطقوسها الدينية الخاصة بها.

* ومع كل هذه الدوافع المثالية التي هيمنت على قادة الحركة الإصلاحية على اختلاف مناهجهم ومشاربهم والتي دفعتهم إلى ما انتهوا إليه من تصورات ومفاهيم، فإن **الحركة وقد فصلت نفسها عن الآمال القومية التي لا تتجزأ تاريخياً عن العقيدة الدينية**، قد دفعت اليهودية وبصورة مهلكة وخطيرة باتجاه المسيحية والتوافق معها، الأمر الذي أدى في الغاية والنهاية إلى ارتدادِ الكثيرين من دعاة الإصلاح والتطوير عن اليهودية واعتناق المسيحية بديلاً عنها.

ولعلَّ هذه النتيجة الحتمية والخطيرة هي التي تسببت في انشقاق «ليوبولد زونز - Leopold Zunz» (١٧٩٤- ١٨٨٦) عنها، ومحاولته تحقيق ما كانت ترمي إليه الحركة الإصلاحية وذلك عن طريق تأسيس الاتجاه الذي ارتبط باسمه وصار يعرف بـ«علم اليهوديات - The Science of Judaism» الذي أخذ على عاتقه أمر القيام بدراسةٍ تقويميةٍ عميقة وشاملة للتاريخ وما أنجزه اليهود من مآثر وتقاليد.

وسرعان ما بلغت هذه الحركة التي بدأها زونز عصرها الذهبي المتألق فأصدرت مجموعة هائلة من الدراسات العلمية التي ارتبطت بأسماء رهط من علماء اليهوديات ممن اجتمعوا حول زونز، ولعب هو دور القيادة

والتوجيه بينهم. ولقد عُدَّ زونز، عن جدارة واستحقاق، إمام هذه الجماعة بلا منازع، لما ألف من مُدَوَّنات تمثل شواهد تاريخية شامخة على عبقريته الفائقة، فكتابه الموسوعي الشامل عن: «أعياد اليهود - Sermons of The Jews» يمثل جهداً استثنائياً رائعاً في متابعة نمو وتطور أدب الهجادة - Aggadah - ولهذا عُدَّ من مؤلَّفات العصر المعتمدة في حقله، وكتابه: حول التاريخ والأدب - On History and Literature» قد شَقَّ طريقاً جديدة في مناهج البحث والاستقصاء في تاريخ وآداب اليهود في ألمانيا وفرنسا إبان العصور الوسطى، وكتابه الموسوم «الشعر الديني في العصور الوسطى - The Synagogal Poetry of the Middle Ages» جاء جامعاً للشعر الديني عند اليهود على مدى ألف عام، في حين يشكل كتابه عن «طقوس الصلوات الجامعة في الكنيس - Ritual of the Synagogue Service وصفاً دقيقاً لنمو وتطور الطقوس الدينية وكشافاً جامعاً للأدب الديني المتصل بها على مدى ألف عام.

وعلى الرغم من إجماع القول على أن زونز هو مؤسس حركة «علم اليهوديات» التي ارتبطت باسمه، فإنه - والحق يقال - مَدينٌ في مسعاه إلى العالم الغاليسي المعروف سلمون يهودا «رابوبورت S. J. Rapoport» (١٧٩٠- ١٨٦٧) الذي أرسى فيما دَوَّنَ من معجم مفهرس للشخصيات اليهودية ودراسات تاريخية متنوعة، قواعدَ المنهج النقدي في الدراسات التاريخية والأدبية. ويدين رابوبورت بدوره إلى مواطنه الآخر «ناخمان كروخمال - N. Krochmal» (١٧٨٥- ١٨٤٠) الذي تابع في موسوعته المعروفة «دلالة حائر الأزمان The Guide for the Perplexed of the Times» بدقة علمية متناهية، وبصيرة نافذة، المكونات الأولية للتقاليد اليهودية، وأوضح الإمكانات الواسعة من الإفادة من الوثائق التلمودية في تدوين التاريخ.

ويُعَدُّ كُلٌّ من رابوبورت وكروخمال من بين أوائل ممثلي المدرسة الغاليسية التي أقدمت، تحت تأثير المدرسة الألمانية والرغبة في مجاراتها إلى عَلْمنةِ التربية اليهودية، مع اختلافٍ ظاهر في المقاصد والغايات.

إذ الغالب على المدرسة الغاليسية النزعة الشموبية التي تجمع بين التراث والمعاصرة، في حين نزعت المدرسة الألمانية عموماً إلى الاستزادة من ثقافة العصر السائدة ومن ثم الانخراط في تياراتها العامة.

وبمجرد تمكن اليهودي الألماني من اللغة الألمانية وعلوم العصر كان يندفع إلى تعميق معارفه في ألوان الثقافة الإنسانية العامة من أصولها الألمانية مباشرة. ومن هنا جاءت قلة اهتمامهِ وعدم اكتراثه بما كان يُدَوَّنُ بالعبرية.

وعلى الرغم من إسهامات المدرسة الألمانية القيمة في تطوير المعارف اليهودية وعلومها مما يَتَّصِلُ بدراسةِ التلمود وعلم اللغة والقواعد، فإنها نتيجة لنزوعها الآنف الذكر، قد ارتبطت ابتداء، ثم اتحدت أخيراً، مع الاتجاهات الداعية **إلى الاندماج والانصهار وإلغاء الهوية القومية المستقلة لليهود**.

أما الأمر في غاليسيا فكان على النقيض من ذلك تماماً، فبفضل الكثافة العددية لليهود فيها وما عرف عن مراكزها العلمية من مستوى علمي رفيع في الدراسات الربائية، فقد تجاوز علماؤها عقدة الاستسلام لمنهج المدرسة الألمانية ودعوتها إلى المعاصرة والاندماج في ثقافة المجتمع غير اليهودي.

ومع أن علماء المدرسة الغاليسية لم يألوا جهداً في نقد السلطة الربائية ومعارضتها بشدة، فإنهم وبصفة عامة كانوا أكثر إيجابية من غيرهم فساهموا

بفعالية ونشاط من أجل الحفاظ على الخصائص الأخلاقية والمعالم الثقافية للحياة اليهودية، وجهدوا من أجل صيانتها وإدامتها.

ولهذا ففي الوقت الذي لم تدم المدرسة الألمانية طويلاً في الحياة بسبب نزعتها المغتربة عن اليهود، فإن شقيقتها الغاليسية استمرت في الوجود وقدمت جهداً علمياً متواصلاً ومدوناً بالعبرية مما أسهم في تبيان تراث اليهود التاريخي وتعريف الناس به.

وإلى جمهرة العلماء الذين كان بينهم كروخمال ورابوبورت، ممن دَوَّنوا مؤلفاتهم باللغة العبرية، ينتمي أيضاً الإيطالي ديفيد «صموئيل لوزاتو - S. Luzzatto» (١٨٠٠- ١٨٦٠) الذي كان وبحق من أكبر علماء العهد القديم إنتاجاً وأصالة، وأحد أبرز المدافعين في أيامه عن الشعر العبري، واستطاع أن يلعب من خلال ما ألف بالعبرية والإيطالية دوراً بارزاً في مجمل حركة علم اليهوديات.

وعلى الرغم من التباين والاختلاف في الاهتمامات العلمية لكلٍّ من كروخمال ولوزاتو، فالأول - كما أسلفنا، قد انصرف إلى متابعة العلوم المتصلة تاريخياً بالتلمود، في حين اختص الثاني وعُرِفَ باهتماماته المرتبطة بالعهد القديم والشعر العبري، فإنهما معاً كانا يصدران من منطلق واحد، وجمع بينهما هدف مشترك أريد به تحقيق غاية علمية جمعت بينهما ومَيَّزتهما عن رهط علماء اليهوديات من أبناء جيلهم. ففي حين استهدف الآخرون من دراساتهم عن التراث اليهودي بيان قيمته التاريخية المجردة، كمآثر متوارثة لا شأن لها بركب الحياة المعاصرة، فإن كروخمال ولوزاتو قصداً من جهدهما العلمي العام الكشف عن الأصول العامة والمكونات الأولية للتراث العبري وتأكيد الاهتمام بها لصلتها وتأثيرها في الحياة الراهنة والمستقبلية لليهود.

ومن هنا فإن مساهمات كروخمال ولوزاتو، إلى جانب أنها لعبت دوراً «أصيلاً» في حركة علم اليهوديات، فإنها استهدفت وبقدرٍ مساوٍ بيانَ قيمة هذه التقاليد الموروثة ذات الصلة التاريخية بجوانب **الفكر الديني لليهود، هذا الفكر الذي ثبتت، بما لا يقبل الجدل، قيمتُه الحاسمة في صياغة الحياة المعاصرة ليهود العالم**.

وكان كروخمال، الأول بين أقرانه في التصدي للأزمة التي تَهدَّدت اليهودية والتي جاءت وليدة حركة التنوير الأوروبية، كما أسلفنا. فقد حاول تجاوزها وذلك بالاستعانة بلغة العصر وما ساده من مفاهيم فلسفية واتجاهات فكرية، وهكذا واعتماداً على مبادىء استقاها من فلسفة هيجل في تفسير التاريخ، شرع كروخمال في بيان أن الصراع بين اليهودية التاريخية والنزعة العقلية للعصر، هو في الحقيقة صراع ظاهري وليس أصيلاً أو حقيقياً وحاسماً، فلكلِّ أمةٍ هويتها الثقافية المتميزة، أو كما عبر عنها: «إلهها القومي» الذي خلقها وأضفى عليها صفاتها القومية. فاليونان مثلاً قد غلبت عليهم الروح العلمية والنزعة الفلسفية والفنية، وعُرِفَ الرومانُ بنزعتهم القانونية وشجاعتهم البدنية، وهذه الخصائص العامة المشتركة التي تُميِّزُ عادة أمةً عن غيرها، ليست سوى مجالات ومظاهر لتجليات ما يسمى بالعقل المطلق أو النفس الكلية لتلك الأمة والتي تتبدى وتتشخص في مسيرة التاريخ المتأنية لها، وتشكل في مجموعها العام الخبرة الروحية الكلية لها.

وبقدر ما يتعلق الأمر باليهود فإن هذه الروح الكلية أو العقل المطلق ليس سوى إله بني إسرائيل الذي عقد اليهودُ معه العهدَ والميثاق ومن ثم أضحى تحقيق إرادة الرب الكلية في الحياة هو المقصد الأسنى والغاية القصوى لبني إسرائيل وجهدهم العام في الحياة.

ومن هنا فليس صحيحاً أنْ تُعَدَّ اليهودية، من هنا فصاعداً هويةً ثقافية منفردة وشاذة عن بقية الثقافات القومية، بل النقيض من ذلك، فقد استطاعت حضارة بني إسرائيل أن تتحاور مع غيرها فاستوعبتها وتمثَّلتها وأعادت صياغة مفرداتها في وحدة كلية متجانسة وشاملة.

أما لوزاتو، فقد حاول خلافاً لمنهج كروخمال، إنهاء الأزمة التي تَولَّدت عن حركة التنوير وذلك ببذل جهد علمي رصين ومكثف لإسقاط دعوى أنصار النزعتين العقلية والتنوير معاً، وذلك ببيان تهافت قواعدهما العامة، وهكذا وفي متابعة لخطى يهودا هاليفي (١٠٨٥- ١١٤٠) أكد لوزاتو سمو الدين وسيادته على الفلسفة، ومن ثم فقد عارض الروح اليونانية التي أطلق عليها «الأثينية - Atticism» بالتراث الروحي لبني إسرائيل، الذي دعاه «بالإبراهيمية» التي بدأت بإبراهيم الحنيف - عليه السلام -. ففي حين تهدف الأولى إلى تطوير العقل، فإن الأخيرة تعمل من أجل صفاء الروح، ونقاء السريرة، فالأولى شأنها أن تخلق نزعة مادية تشخص الخير في المصالح الأنانية والذاتية وتجعلها غاية في ذاتها، أما الثانية فإنها تغرس في الإنسان مفاهيم السلوك الفاضل والتوجه إلى عمل الخير، حتى وإن جاء ذلك معارضاً ونقيضاً للمصالح النفعية الفردية الخالصة.

يقول لوزاتو في معرض بيانه لفلسفته: إن الحضارة البشرية وليدة اجتماع عنصرين نقيضين هما: الأثينية واليهودية. وإذا كنا ندين للأثينية فيما لنا من فلسفةٍ وفنونٍ وعلوم، وكل ما من شأنه تطوير أساليب تفكيرنا، وكذا النظام وحب الجمال ومبادىء الأخلاق، نظريةً كانت أم عملية، فإننا نَدينُ - من جهة أخرى - لليهودية بما لنا من دين ونزعة خلقية مصدرها القلبُ الموصولُ بالله، والتي تربي فينا النزوع إلى الإيثار وفعل الخيرات.

وبديهي أن الجمال والكمال مما لا يمكن أن يقوم مقام الخير أو يحل محله، ذلك أن المجتمع الإنساني بحاجة إلى عاطفة ووجدان أبداً. والروح الأثينية التي لا تنبع عن عاطفة خالصة ولا تصدر عنها، إنما تعمل على إضعاف هذه النزعة الجوَّانية فينا وإعاقة نموها. ولهذا فطرت الطبيعة الإنسانية على الانتصار دوماً لداعية القلب والوجدان والخير أي «للروح اليهودية».

وكان «أبراهام كايجر - A. Geiger» من بين المعاصرين لـ: زونس، وممن ساهموا بنشاط وفعالية في تطوير علم اليهوديات واتخذ على نحو مخالف له من دراساته عن تاريخ «العهد القديم» وسيلة لتأكيد وجهة نظره المتطرفة في الإصلاح، وكذلك زكريا فرانكيل الذي رفعته دراساته العميقة ومنهجه العلمي الرصين المتقن في دراسة المآثر اليهودية بخاصة ما يتصل منها بالتلمود والأدب الديني إلى المقام الأول بين المؤرخين المنافحين عن «الهالاخاه - Halacha» (النصوص الشرعية والشعائرية ذات الصفة العملية) - وقد أصدر كل من كايجر وفرانكيل دوريات علمية تعنى بالجوانب المختلفة من الموروث اليهودي، كالمجلة الشهرية التي بدأت تصدر عام ١٨٥١ بإشراف الأخير واستمرت بلا انقطاع حتى بداية الحرب العالمية الأولى.

ومن بين الأسماء اللامعة الأخرى التي ارتبطت: بعلم اليهوديات «هينرش كراتس - H. Graetz» (١٨١٧- ١٨٩١) المؤرخ اليهودي المعروف وصاحب موسوعة «تاريخ اليهود - The History of the Jews» في أحد عشر مجلداً والذي كتبه بأسلوب رائع ومهيب، وترجم عن أصله الألمان إلى لغات عدة. وكان لمؤلفه هذا أكثر من أي عمل تاريخي آخر، الفضل في تقريب التاريخ اليهودي الغابر من متناول عموم المثقفين، ويبقى

هذا العمل الشامخ حتى يومنا هذا مثالاً راقياً في الكتابة التاريخية.

ومنهم «موريتز شتاين شنايدر - M.S. Schneder» (١٨١٦- ١٩٧٠) الذي عد أعظم المعجميين اليهود بإطلاق، وصاحب الكشاف المفهرس للمراجع العبرية بمكتبة بودليان بجامعة أكسفورد.

وكانت نتيجة هذا الجهد العلمي المتقن لهؤلاء الرواد من علماء «علم اليهوديات» وما يتصل به، ويتفرع عنه من المعارف، أن عالَماً من التاريخ والأدب والثقافة الذي ظل منسياً ومهملاً حتى آنئذ، قد تكشَّفت أسرارهُ وصفحاته للباحثين، والذي لم يقف حائلاً دون موجة الردة عن اليهودية في ألمانيا إبان القرن التاسع عشر فحسب، بل أثر بعمق وفعالية في ترسيخ صلة هؤلاء بالحياة والفكر اليهودي، وفي كل طرف من أنحاء العالم حتى يومنا هذا.

وقد تسببت الدعوة إلى ضرورة الاهتمام بالمآثر اليهودية والتدوين عنها باللهجة المحلية الهجينة والرغبة في بيان أصول وقواعد العقيدة اليهودية وفق صيغ علمية وحديثة، في إنشاء عدد من الكليات اللاهوتية التي أخذت على عاتقها مسؤولية تخريج القادة الروحيين الذين يجمعون بين المعرفة التاريخية عن اليهودية وبين أساس راسخ من الثقافة الجامعية الرصينة وكانت «الكلية الربائية - Rabbinical Seminaries» أول معهد يهودي من نوعه قد تأسس في بادوا عام ١٨٢٩ حيث كانت تعاليم صموئيل ديفيد لوزاتو القوة الروحية المسيطرة على توجهاتها وبرامج التدريس فيها. وبعد ذلك بعام واحد تم إنشاء المعهد الديني الإسرائيلي في فرنسا بمدينة ميتز حيث نقل فيما بعد إلى باريس العاصمة سنة ١٨٥٩.

وكان أول معهد لاهوتي يقام في ألمانيا قد أنشىء في مدينة «برسلاو»

وافتتح عام ١٨٥٤ بإمرة زكريا فرانكيل وإشرافه المباشر، وفي عام ١٨٧٢ تبعه إنشاء المعهد اللاهوتي الإصلاحي في برلين برئاسة كايجر، وبعده بسنة واحدة افتتح في المدينة ذاتها «المعهد الأرثذوكسي الربائي» بقيادة من إسرائيل هيلد شايمر الروحية I. Hildesheimer (١٨٢٠- ١٨٩٩).

وأنشيء معهد آخر شبيه بمعهد برسلاو في مدينة بودابست - المجر - عام ١٨٧٧. أما في إنجلترا فإن «الكلية اليهودية» التي كانت تأسست منذ عام ١٨٥٥ بريادة رجال من أمثال الحاخام الأكبر ناثان مركوس أدلر (١٨٠٣- ١٨٩٠) والسير موسى مونتفيرو (١٧٨٤- ١٨٨٥) وآخرين غيرهم ممن أرادوا لها منذ البداية أن تكون قادرة على الاستجابة لحاجات الطائفة اليهودية من الإنجليز البالغ عددهم آنئذ أربعين ألفاً. وقد استمرت هذه الكلية اليهودية بالنمو والتطور حتى اتخذت شكل معهد بريطاني متميز ومرموق اختص بالدراسات العبرية والسامية عموماً ثم ارتبطت بجامعة لندن، وتحتلُّ الآن مكانةً متميزة في الحياة الدينية ليهود الكومنويلث البريطاني البالغ عددهم سبعمائة ألف شخص.

ومتابعة لخطوات شقيقاتها من الجماعات اليهودية في أوروبا فقد شهدت الجاليةُ اليهودية الأمريكية عام ١٨٤٧، افتتاحَ الكلية العبرية المتحدة بمدينة سنسناتي كمؤسسة لتخريج الربائيين وفق مناهج الإصلاحيين، تلاه إنشاء المعهد اليهودي للاهوت بمدينة نيويورك الذي أخذ على نفسه تخريج ربائيين محافظين، وفي عام ١٨٩٦ تم افتتاح أكاديمية الربائي إسحق إيلخمان للتدريب الحديث التي استوعبت لا الربائيين الأرثذوكس فحسب، بل فتحت صفوفها للمثقفين من المدنيين عامة.

* وعلى الرغم من تواصل هذه الجهود العلمية وزخمها المستمر، فإن **تيار الارتداد عن العقيدة اليهودية والدعوة إلى الانصهار والاندماج في**

ثقافة الآخرين استمرت قوية بحيث جعلت من قضية انحلال أواصر الحياة اليهودية وسقوطها مسألة ظاهرة للحياة، وقضية وقت ليس إلا. ذلك أن علم اليهوديات تَشَكَّلَ أصلاً في صيغة منهج نقدي صارم، وموضوعية علمية محايدة تفتقر بطبيعتها إلى ما من شأنه غرس حرارة الإيمان في الحياة العامة لليهود، هذا إلى جانب أن آثار هذه الحركة الواسعة قد اقتصرت على دائرة ضيقة من أعلام المتخصصين، مما أفقدها القدرة على التفاعل مع آمال الجماهير وطموحاتها بصورة عامة.

أما الحركة الأرثذوكسية، فعلى الرغم من خدماتها الجليلة التي لا يجوز إغفالها، فإنها هي الأخرى فشلت فشلاً مروعاً في إيقاف تيار الارتداد الديني والقومي في صفوف اليهود وذلك لتأكيدها المفرط على المظاهر والظواهر الشكلية مما يتصل بقواعد السلوك، وأغفلت قيمة الدراسات العملية وضرورة متابعتها فلم تبذل جهداً من أجل تعميق الالتزام بالمآثر التلمودية أو التبشير بها في أوساط اليهود من الشباب والكبار على حد سواء، تلك المآثر التي استمد اليهود منها على مَرِّ التاريخ دوافعهم الروحية وحصانتهم الخلقية التي مَكَّنتهم دائماً من التغلب على تيارات التحريف والردة والاغتراب الروحي التي كانت تتهدد وجودهم التاريخي.

والحق فإن ما حفظ للجالياتِ اليهودية في دول أوروبا الغربية وجودها، وأبعد عنها خطرَ الزوال والهلاك التاريخي، هو ذلك السيلُ المتدفق من المهاجرين إبان القرن التاسع عشر من روسيا وبولندة وكذلك المجر إلى أوروبا الغربية. فبفضل ما كانوا يتمتعون به من مستويات علمية رصينة في الدراسات الدينية، وما اختصُّوا به من تُقى ونزعةٍ روحية متوارثة، فقد استطاعوا أن يحفظوا للعقيدة اليهودية نقاءها، بل وأن يبعثوا في هيكلها المتداعي روحاً جديدة، حيثما استقر بهم المقام في الغرب. ويعود الفضل

في تحقيق هذه المستويات السامية ليهود روسيا وبولندة والمجر إلى الحلقات الواسعة للكليات الدينية «Yeshivoth» المنتشرة في أرجاء بلادهم، والتي خَرَّجت عبرَ أجيالٍ متعاقبةٍ الآلافَ من طلبة العلم الراسخين في تعاليم التوراة، والمتحصنين بالتقى ومخافة الله.

ومن بين أشهر هذه الأكاديميات الدينية - «Yeshivoth» تلك التي أسست علم ١٨٠٢ في «فولوشين Voloshin» بلتوانيا بريادة من حاييم بن إسحق (١٧٤٠- ١٨٢٢) من تلامذة غاؤون الفلني[1] ومريديه الروحيين. ففي هذه الأكاديمية، حيث اتخذت تعاليم غاؤون الفلني صيغة معايشة عملية لها، كان يتلقى النابهون من أبناء الجالية اليهودية ثقافتهم الأصلية عن اليهودية، واستمدوا منها طموحاتهم وآمالهم في الحياة. وفي العام نفسه أسس موزيس صوفر أكاديمية دينية مماثلة بمدينة برسبورغ وضمت في صفوفها خمس مئة طالب، واستمرت تؤدي رسالتها العلمية والروحية دونما انقطاع حتى بداية الحرب العالمية الثانية، واستطاعت عبر العقود أن تهيىء أعداداً من القادة الروحيين والعلماء المتخصصين ممن صاروا يخدمون الطوائف اليهودية في أنحاء العالم كله، وأقيمت عام ١٨٨٢ أكاديمية دينية أخرى في «سلابووكا Slaboka» بالقرب من كوفنو (Kovno) وكانت مناهجها الدراسية تتضمن دراسة يومية للمدونات المعتبرة في الأخلاق العملية والرياضات الروحية، مثل كتاب «أعمال القلوب» لمصنفه بخيا بن بكودا، وكتاب «منهاج العارفين» لموسى حاييم لوزاتو.

---

(١) أليجا بن سلمون، المعروف بـكاؤون الفلني (١٧٢٠- ١٧٩٧) من مشاهير قادة حركة القابالا ذات النزعة الصوفية، كان خصماً «لداود» لجماعة الحسيديين وإليه يرجع الفضل في تناهي هؤلاء عن مظاهر الغلو والتطرف التي شابت حركتها وعودتهم من جديد إلى أحضان التوراة المتوارثة والالتزام بها (المترجم).

وكان الهدف الأقصى لمثل هذه الأكاديميات التي صارت تعرف بـ«الموصار Musar» هو بناء شخصية روحية متمرسة وقادرة على إرشاد الآخرين وتوجيههم إلى طريق التقى والورع والرشاد. ثم سرعان ما حذت حذو هذه الأكاديمية ومناهجها التعليمية، مراكزُ أخرى في عددٍ من أقطار أوروبا الشرقية، كما وصارت مثلاً ونموذجاً يُقتدى من قبل المدارس التي أنشئت في السنين الأخيرة في أقطار أوروبا الغربية أيضاً.

وتشير المعلومات المتوفرة لدينا إلى أن إسرائيل سلانتر I. Slanter (١٨١٠- ١٨٨٣) كان أول داعية إلى إدخال دراسات الإرشاد الروحي إلى المدارس والمعاهد الدينية، وكان الدافع إلى تحقيق رغبته هذه ما شاهد من انتشارٍ للآراء الحرة والانحرافات الدينية التي حملها دُعاةُ التنوير معهم من ألمانيا إلى روسيا، فنظم في «فلنا - Vilna» عام ١٨٤٢ «زاوية دينية» كان يجتمع فيها أفراد من طبقات اليهود المختلفة، من طلابِ علمٍ وأصحابِ مهنٍ حرة ورجال أعمال وفنانين وعمال، وذلك وقت غروب الشمس، حيث تعين الأجواء النفسية التي تخيم على المجتمعين مع هبوط الظلام إثارةَ المواجيد ودواعي الروحانية. ويبدأ الجميع بدراسة كتب الدين والأخلاق بتوجيه من سلانتر وإرشاده الروحي.

وقد شقت دعوته هذه طريقها سراعاً بين الملأ من اليهود وهكذا ولدت «حركة المرشدين الروحيين Musar Movement» التي أثرت بدرجة كبيرة على حياة اليهود الأرثذوكس في هذه البلاد. وكان المدخل إلى هذه الحركة والغاية المتوخاة منها هي تطوير الملَكَة الخُلُقية عند أتباعها، وذلك من خلال «عملية تربوية ذاتية Self - Education» تتألف من ثلاث مقامات:

١- قتل الرغبة ونوازع الشر في النفس الإنسانية وذلك من خلال

مجاهدة عملية تهدف إلى تطوير ملكة الإرادة.

٢- رياضة الاعتراف بالخطأ والتقصير، ومحاولة تجاوزه عن طريق ممارسة عملية نقد الذات بعد تحليلها.

٣- بذل الجهد من أجل تطوير الشخصية لتصبح الفضيلة طبيعة ملازمة للإنسان يكمل بها وجوده.

إن عملية التربية الذاتية (وتبعاً لتعاليم الموصار) صار أمراً يمكن تحقيقه من خلال القراءة المستمرة لكتب الدين والأخلاق وتدبر معانيها، مع ممارسة عملية لرياضة ضبط النفس والتأمل المُركَّز. ومن ثم فلا ينبغي أن يمر يوم على السالك من غير ذلك، باعتبار أن هذه الرياضة الروحية هي الطريق الأمثل إلى الحكمة وجماع الصفات التي تحقق للإنسان كماله.

* أما في الغرب فإن الحياة العامة لليهود كانت في طريقها إلى التحلل الكامل ولم يعد يُوقِف نتائجه المتوقعة عائق.

وبعد استقراء مُفصَّلٍ ودقيق لهذه المخاطر التي صارت تحيط باليهودية انتهى موسى هيس M. Hess (١٨١٢- ١٨٧٥) إلى الاعتقاد بأن السبيل الوحيد والممكن اتباعه إنما هو العودة الصارمة إلى القومية والالتزام بها فصرح في كتابه المعروف «روما والقدس» الذي نشر عام ١٨٦٢ **بأن الانبعاث القومي هو الطريق الأوحد الذي سيعيد** للعبقرية الدينية عند اليهود قوتها من جديد ويمنحها الروح الرسالية التي افتقدتها منذ زمن. ولهذا لم يتمكن أحد من قادة التنوير، بما فيهم مندلسوهن نفسه من تحطيم السور الأخلاقي الذي ضربته الربانية من حول اليهودية، حماية لها من صروف الدهر، ومن غير هذه الروح القومية التي تشكل حقيقة اليهودية وجوهرها فإنه لا سبيل إلى الخلاص، لذا وجب القيام فوراً بجهد عام لإحياء الأمة

وذلك بترسيخ الأمل التاريخي في الولادة الجديدة للدولة القومية، وإذكاء هذا الأمل حيثما أصابه الضعف والخور.

ولم يكن هيس غافلاً عما ستثيره هذه الأفكار من عداوة وبغضاء في أوساط اليهود الغربيين مِمَّنْ تملَّكهم هَوَسُ التحرر من أغلال الماضي وقيوده وتقاليده. ومن ثم فقد توجه بندائه هذا إلى الملايين من أهل المعرفة والتقى من إخوته في دول شرق أوروبا مستثيراً فيهم نوازع الفعل المقتدر من أجل ولادةِ دولةِ اليهود من جديد على أرض الميعاد.

وكانت النزعة القومية عند هيس ممزوجة بالفكرة السامية، فاليهود هم شعب الله المختار المنتظر الذي تقع على عاتقه مسؤولية تحقيق مبادىء العدل الاجتماعي والتعاون بين البشر والسلام الدائم في عالم إنساني موحد ومنظم. والسبيل إلى تحقيق هذه المبادىء والمُثُل يكمنُ في عودة يهود الشتات إلى الأرض الموعودة، هذه العودةُ التي ستمكِّنهم من تنفيذ مسؤوليتهم الخلقية تجاه الإنسانية بصورة مثلى، وتعينهم على تحقيق ما سماه هيس «بالسبت التاريخي للبشرية Historical Sabbath of Mankind».

لم تذهب دعوة هيس لأبناء دينه في روسيا وبولندة في واد، ففي هذا الوقت بالذات ظهرت في روسيا دعوةٌ قوية إلى إحياء الروح القومية كان دافعها، وقد يبدو ذلك غريباً، نزعاتُ التحرر التي سرت إليها من أوروبا الغربية.

إن منح الحقوق الكاملة لليهود في العديد من الدول الغربية ووصول أعداد منهم إلى مناصب عليا في مجالس هذه الدول وفي عالم التجارة قد بدا للكثيرين من يهود الدول الشرقية بشارةَ خلاصِهم المنتظر مما يعانون.

وهكذا وبدلاً من الاعتقاد السائد **بأن الخلاص والعودة إلى أرض الميعاد لم يتحقق إلا بفِعْلٍ غيبيٍّ مُعْجزٍ ومفاجىء وبتدخلٍ مباشر من الرب**، بدأ اليهود يرون بأن هذا الخلاص قضية يمكن لها أن تتحقق من خلال الجهد الإنساني الدؤوب والمتصل وتسخير الإمكانات البشرية المتاحة من أجل ذلك، وأن العون الإلهي سيأتي بعد ذلك عاملاً رديفاً ومساعداً يعين في تحقيق الأمل المنشود، وبعد أن يكون الإنسان قد بذل ما في وسعه وطاقته من إمكانات.

وكان الرائد الأول في تحقيق هذه الفكرة الحاخام «تسفي هيرش كاليشر ZVI Hirsh Kalisher» (١٧٨٥- ١٨٧٧) من مدينة «ثورن» الذي التمس لدعواه التي فَصَّلها في كتابه «السعي إلى صهيون - Derishat Zion» المنشور عام ١٨٦٢ حججاً دينية وإشارات مستوحاة من التلمود تفيد بأن عهد المسائية المنتظر لا بد وأنْ يسبقه السعيُ إلى إقامةِ مستعمراتٍ يهودية في فلسطين بمساعدةِ ومعونةِ الدولِ الراغبة وأغنياءِ اليهود في العالم. ووضع كاليشر خطة عملية لبناء المستعمرات الاستيطانية جذبت اهتمام الموسرين والمتنفذين من اليهود أمثال «موزيس مونتفيري - Sir Moses Montefiore» (١٧٨٤- ١٨٥١) و«لورنس أوليفانت - L. Oliphant» (١٨٢٩- ١٨٨٨) و(إيــرل أوف شفتسبــري - Earl of Shaftesbury» (١٨٠١- ١٨٨٥) وانتهت هذه الجهود أخيراً إلى إنشاء المدرسة الزراعية «Mikweh Israel» عام ١٨٧٠ قرب يافا وإقامة أول مستعمرة يهودية بيتاتيكوه Petah Tikwah عام ١٨٧٨.

وكانت المشاعر القومية ليهود روسيا قد تغذت من حركة التنوير التي سبقت الإشارة إلى تفاصيلها والتي سرت إليها من دول أوروبا الغربية. وعلى الرغم من ميل هذه الحركة في روسيا أيام السياسة المتحررة التي

دشنها الاسكندر الثاني (١٨١٨- ١٨٨١) إلى إظهار قدر كبير من النزوع إلى تيار الانصهار والاندماج، فإن القوة المتنفذة للتقاليد الدينية الموصولة بالمنهج الربائي وتعدد الأكاديميات الدينية المنتشرة في روسيا قد حَوَّلت الحركة فيما بعد إلى تيار فكري يدعو إلى الإحياء القومي لليهود، وإلى النهضة العلمية التي من شأنها بعث التراث العبري من جديد، مما أدى إلى ظهور لون جديد من فنون الكتابة الأدبية في الكتب والدوريات عرف «بالأدب العبري الحديث» كان من بين مشاهير رواده في روسيا «إسحق بـائيـر لفنســون - I.B. Levinson» (١٧٨٨- ١٨٦٠) المعـروف عـادة بمندلسوهن روسيا وذلك لنزعته إلى الإصلاح ودعوته إلى تغيير المناهج الدراسية، كل ذلك مع دفاع حار وشديد عن اليهودية.

ومنهم أيضاً «أبراهام مابو - A. Mapu» (١٨٠٨- ١٨٦٧) الذي عد الأب الروحي للقصة اليهودية و«أبراهام ليبنسوهن - A. Lebensohn» (١٧٨٩- ١٨٧٨) الذي اعتبر أول من قدم الشعر العبري للجمهور اليهودي في لتوانيا وابنه ميخائيل جوزيف (١٨٣٨- ١٨٥٢) الذي أصدر مجموعة شعرية تقع في جزأين والذي كان متوقعاً له أن يصبح أعظم شاعر غنائي ولدته حركة التنوير في روسيا لولا موته المفاجىء، ويهودا ليب كوردن J. L. Gorden (١٨٣١- ١٨٩٢) أعظم شعراء العبرية في زمانه.

وكان الإيمان الراسخ لأمثال هؤلاء الرجال المتنورين، ممن أخلصوا لدواعي الإصلاح والتحرر التي اعتبروها البلسم الشافي والوحيد لكل مآسي اليهود ومظالمهم، قد منعهم من الانجذاب إلى تيار النزعة القومية ورفع لوائها. وهكذا فإن الدعوة القومية في روسيا لم تبدأ إلا مع بيرتس سمولنسكي Somolenski (١٨٤٢- ١٨٨٥) من كتاب الأدب الرومانسي ومحرر «المجلة اليهودية»: «الفجر - Hashahr» الذي استطاع أن يضفي

على حركة التنوير صفة قومية محددة وواضحة، فَعُدَّ بحق أول داعية إلى النزعة القومية في صفوف المتنورين في روسيا، وهاجم بشدة وعنف دعاوى القائلين بأن اليهودية ليست إلا طائفة دينية لا شأن لها بالتجانس القومي، وطالب أقرانه أن يخرجوا على العالم ويعلنوا على الملأ بأن اليهود شعب واحد، وعلى الرغم من أنهم شعب بلا دولة ولا وطن ولا حدود. وفي الوقت نفسه أكَّدَ وجوبَ أن يعتبر اليهود أنفسهم رعايا ومواطنين في الدول التي يقيمون فيها في الشتات باعتبار أن وحدتهم القومية روحية خالصة.

وهكذا **فإن القومية في نظر سمولنسكي كانت قومية روحية مجردة عن التعلق بأرض الميعاد**، ورابطة تجمع اليهود في الشتات، ليس إلا.

أما أول داعية في روسيا **إلى إنشاء وطن قومي لليهود** في فلسطين فكان اليعازر بن يهودا (١٨٠٨- ١٩٢٢) ففي مقال له بعنوان «المسألة الملتهبة The Burning Question» التي قدمها لمجلة «Hashahr» والتي كان يقوم سمولنسكي برئاسة تحريرها في فينا، أشار إلى الحركات القومية في أوروبا والتي بفضلها قد حققت شعوب صغيرة استقلالها السياسي، وادعى أن ما هو مشروع وجائز للآخرين فإنه كذلك لليهود، بلا ريب. وفي هذا المقال ذاته طالب اليعازر بن يهودا باستعادة اللغة العبرية والتحدث بها كي تصبح معتبرة ومنتشرة ولغة قومية لليهود عموماً.

وهكذا سيطرت هذه المبادىء والأفكار على عقله وروحه حتى إذا استقر به المقام في فلسطين تحقق من أن اللغةَ العبرية فقيرةٌ في مُفْردَاتها التي تعبر عن حاجات العصر فأقدم بهمة على وضع معجم لغوي «Millon» صار يشكل أكبر وأعظم إنجازاته العلمية في حياته، والذي جمع مادته من جملة المصادر والمآثر اليهودية: من توراةٍ وتلمود وأدبيات القرون

الوسطى، مضيفاً إليها ما استنبطه هو من المصطلحات والمفردات التي ساهمت في تطوير اللغة العبرية واستجابتها لمطالب العصر. وبالتزامه المتعنت ألا يتحدث مع الآخرين إلا بلغته القومية أراد أن يبرهن للجميع بأن اللغة العبرية يمكن أن تصبح لغة التفاهم اليومية وأن تكون قادرة على تطوير نفسها باستمرار.

وفي هذه الفترة سطع في عالم الشعر العبري نجم آخر في روسيا ممثلاً في شخص «نخمان بياليك N. Bialik» (١٨٧٣- ١٩٣٤) الذي استطاع بقدراته المبدعة الفائقة وخياله الخلاق وروحه الرِّساليةِ المؤمنة بأمته، أن يبعث الروح القومية في صفوف أبناء دينه.

إن ردود الفعل العنيفة التي تلت مجيء الإسكندر الثالث عام ١٨٨١ إلى الحكم والتي بلغت ذروتها في «قوانين مايس» التي صدرت عام ١٨٨٢ والتي حظرت على اليهود الإقامةَ أو امتلاكَ شيء خارج حدود المدن الروسية، أو الانتقال من مكان إلى آخر، إلى جانب عدد آخر من التقييدات التي فرضت عليهم، قد أثارت عاصفة من الروح القومية في صفوف يهود روسيا، أدت في الغاية والنهاية إلى **أن تصبح روسيا مركزاً لحركة القومية اليهودية**.

وصدرت أول دعوة واضحة وصريحة عن الحركة عام ١٨٨٢ على لسان «ليو بنسكر Leo Pinsker» (١٨٢١- ١٨٩١) من «أوديسا» ضمنها رسالته المعروفة «بالتحرر الذاتي - Auot Emancipation» وصف فيها معاداة السامية بأنها مرضٌ اجتماعي موروثٌ ومُزْمن لا يُرْجى منها شفاء، وأسماها بـ«عقدة التخوف وكراهية اليهود - Judeophobia» التي تولَّدت عند الآخرين لافتقارِ اليهودِ إلى وطنٍ يجمعهم، فصار اليهودي في نظر الغرباء يولد ميتاً بين الأحياء، وغريباً في مسقط رأسه، وتافهاً منبوذاً وسط

مواطنيه، ومتسولاً فقيراً بين الأغنياء، وثرياً محتكراً في أعين الفقراء، وأجنبياً لا أرضَ له بالنسبة لمواطنيه، ومنافساً مكروهاً في نظر الجميع، وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لليهود فإن من الضروري أن يشكلوا مرة أخرى ومن جديد أمةً واحدة وشعباً له دولة وسيادة وحدود.

وقد أدت هذه الصيحة القومية إلى تأسيس «حركة مُحِبِّي صهيون Choveve Zion» التي تَزعَّمها بنسكر وقادها حتى وفاته وانتشرت سراعاً بعد تأسيسها عام ١٨٨٤ في مؤتمر كاتفيتز إلى رومانيا وألمانيا والنمسا وأمريكا وإنجلترا. وكانت الثمرات الأولى لنشاطها المتفوق إنشاء القرى الزراعية في فلسطين وتصاعد معدلات الهجرة إليها والاستيطان فيها.

وفي نفس العام الذي ظهرت فيه رسالة بنسكر قام جَمْعٌ من الشباب اليهودي بإنشاء منظمة لهم في كاراكوف Kharkov صارت تعرف باسم «بيلو - Bilu»، (من الأحرف الأولى للعبارة العبرية «يا أبناء بيت يعقوب هلموا إلى هناك»).

وهكذا أخذت الحركة على عاتقها، وأكثرية أعضائها من الشباب، على أن تضرب المثل العملي والقدوة الرائدة في استعمار أرض «بني إسرائيل» التاريخية، وأصبحوا فيما بعد بعملهم هذا الآباء الرواد للمستوطنات اليهودية في فلسطين.

وفي سنة ١٨٨٣ تعهد البارون أدموند دي روتشيلد من باريس (١٨٤٥-١٨٣٤) أمر الإشراف والمساهمة في تطوير هذه المستعمرات الإسرائيلية التي كانت تصارع آنئذ من أجل البقاء.

والحق فإن الفضل يعود إلى جهود «تيودور هرتزل» (١٨٢٠- ١٩٠٤) في تحول الصهيونية من صورة نزعة عاطفية مجردة إلى حركة عالمية منظمة

لها أهدافها السياسية المحددة، فقد دفعت ردود الفعل العنيفة والمناهضة للاسامية، والتي بلغت أوجها عقب حادثة دريفوس المشهورة في فرنسا التي كانت تُعَدُّ حتى ذلك التاريخ أكثرَ دول العالم ثقافةً وحضارة، هرتزل إلى قناعةٍ جازمة بأن الحلَّ الوحيد لمشاكل اليهود يكمن في إنشاء دولة قومية مستقلة لهم.

وهكذا تلاقت وجهات نظر هرتزل ومخططاته مع تلك التي دعا إليها كل من هيس وبنسكر، على الرغم من أنه لم يكن قد اطلع على مؤلفاتهما ولم يتوفر على دراسة أفكارهم.

ولم يكن هرتزل أول من استطاع نقل المسألة اليهودية إلى محافل السياسة الدولية وتعقيداتها فحسب، بل اعتقد جازماً، وهو ما عبر عنه بلغة واضحة وصريحة، بأن على اليهود أن يبذلوا ما في وسعهم من الجهد والإمكان من أجل إقامة دولتهم القومية المستقلة الخاصة بهم، وصاغ هذه الدعوة في كتابه المعروف «الدولة الصهيونية» الذي نشره عام ١٨٩٠، والذي تحول إلى توراة الحركة التي أسسها وارتبطت باسمه وصارت تعرف «بالصهيونية - Zioniam» وهو الاسم الذي اخترعه بادىء ذي بدء «ناثان برنباوم Nathan Birnbaum» (١٨٢٤- ١٩٢٧)، أحد أعوانه المعروفين عام ١٨٩٢.

وعلى الرغم من صدود هرتزل[١] في صغره وصباه عن تعاليم اليهودية

---

(١) رغم ما عُرِفَ به هرتزل من نزعةٍ علمانية صارمة تقترب من حدود الإلحاد الصرف، فإنه كان في الحقيقة موصولاً بالتراث اليهودي الذي من أخصِّ مظاهره - كما أكدنا - التعلق بالمسائية ولهذا فقد سلكه جاكوب نويسنر مع أكبر مدعي المسائية في العصر الحديث شبشاي زيفي مع التأكيد بأن هرتزل الملحد قد استبدل المسائية الدينية، بنزعاتهما الغيبية والأسطورية المشحونة بالخرافة =

وقناعات أبناء طائفته فإنه كان متأثراً بوضوح بعقيدة المُخلِّص المنتظر الموعود (المسيا Messianism)، ومن ثم فإن الدولة التي آمن بضرورة قيامها كانت تمثل في اعتقاده رحمةً إلهية مُزْجاةً، لا لليهود وحدهم، بل لأبناء الجنس البشري على السواء، فكتب يقول: «**إن العالم سيتحرر من خلال حصولنا على حريتنا، ويزداد غنىً وثراءً من خلال تراثنا، ويعظم شأنه كلما اتسعت آفاقُ عظمتنا، وما سنحاول القيام به هناك سيعود بالفائدة ويعين البشرية جمعاء**».

ورغبة منه في حمل الآخرين على تأييد وجهة نظره دعا هرتزل عام ١٨٩٧ إلى عقد أول مؤتمر يهودي بمدينة بازل السويسرية تَمَّ فيه تحديد البرنامج السياسي للحركة الصهيونية الذي لُخِّصَ في العبارة التالية: تهدف الحركة الصهيونية إلى إنشاء وطن قومي لليهود، معترف به دولياً وقانونياً.

وما إن بدأت الحركة الصهيونية بتدشين برنامجها السياسي حتى أثارت عاصفة هوجاء من المعارضة في صفوف اليهود الأرثذوكس، فكان ثمة مَنْ يعتقد بأن برنامج الحركة الصهيونية يخالف الإرادة السماوية ويتعارض معها، وتَخوَّفَ آخرون من الميول العلمانية الواضحة لزعماء الصهيونية ومن نتائجها السلبية الهادمة على مجمل الحياة الدينية والتقاليد الموروثة لليهود[١]، في حين انضم جمع ثالث منهم، ومن بينهم عدد من أكابر

= والتصوف والمهدوية والهلوسة عند شبتاي تسفي إلى مسائية عملية وسياسية ذات برنامج واقعي ينطلق من الواقع وضمن شروطه، قارن نويسنر، المصدر نفسه، ص٩٩-١٠٠ (المترجم).

(١) حدث هذا في بدايات نشأة الحركة الصهيونية التي عارضها الإصلاحيون والأرثذوكس المحافظون للأسباب المنوه عنها هنا، وبعد قيام إسرائيل، فإن الإسناد الأكبر للصهيونية وحتى يومنا هذا، يأتي من أتباع المذهبين على حد =

الحاخامات أمثال «صموئيل موهيليفر S. Mohilever» (١٨٢٤- ١٨٩٨) ومن المؤيدين لموقف كاليشر إلى الحركة منذ انطلاقتها الأولى، وشكلوا لأنفسهم بزعامة الربائي «إسحق يعقوب راينز J. Reins» (١٨٣٤- ١٩١٥) تياراً ضمن الحركة الصهيونية صار يعرف «بالمزراحي Mizrachi»[١] واتخذوا لأنفسهم شعار «**أرض إسرائيل لشعب إسرائيل تبعاً للشريعة الإسرائيلية**».

أما أتباع الحركة الإصلاحية فقد اتخذوا موقفاً معارضاً ومتشدداً من الصهيونية لأنهم رأوا في برنامجها السياسي ما سيتهدد سلامةَ دعوتهم في نظر العالم غير اليهودي والتي مفادها أن اليهود ليسوا إلا طائفةً دينية من غير هوية مستقلة تميزهم عن غيرهم. كذلك وجد في صفوف الإصلاحين والأرثذوكس معاً مَن اعتقد في إخلاصٍ لا يشوبه ريب بأن الصهيونية كحركة سياسية تتعارض أصالةً مع ولاء اليهودي لوطنه الذي نشأ فيه في الشتات، واقترن وجوده به.

وكان من بين الربائيين من أصحاب السلطة والتأثير الذين حملوا اليهود الأرثذوكس على الانتصار لبرنامج الحركة الصهيونية وخططها الرامية إلى الاستعمار الاستيطاني في فلسطين الحاخام الأكبر في الأراضي المقدسة «أبراهام إسحق كوك» (١٨٦٨- ١٩٣٥) الذي عُدَّ أكبرَ قوة موجهة ومؤثرة

= سواء، كما يؤكد ذلك آلن أونترمان، المصدر نفسه، ص١٦. (المترجم): "Much of the Support For Israel and Zioniam Comes from Conservative and Reform Circles".

(١) مزراحي، يعني المركز الديني، وهو ما يوضح الهدف الديني من الحركة الصهيونية. ويعني أيضاً: الشرق، لبيان وتوكيد النزوع الصهيوني إلى الشرق، باعتباره معقد الآمال، ومنبع التقاليد اليهودية المتوارثة.

في الحياة العامة لليهود في عصره. فقد آمن إيماناً راسخاً بأن الحركة القومية، على الرغم من اتجاهاتها العلمانية البادية على أتباعها، فإنها في التحليل النهائي والأخير لبنيتها ليست إلا حركة دينيةً في جوهرها وحقيقتها، وأنها تصدر أصلاً عن نزعة دينية هي الصفة الراسخة لليهود التي اختصوا بها من بين الأمم الأخرى.

وفي رأيه أن ثمة عنصرين يغذيان هذا النزوع الروحي عند اليهود، أولهما: تراثهم الذي هو حصيلةُ نزعةٍ روحية جوَّانية انتقلت إليهم وراثة عن الأسلاف، وهي صفة لا يمكن لها أن تزول وتفنى، أما الثاني: فهو الميل الطبيعي عند اليهودي إلى فعل الخير.

وهكذا فإن المشاعر السامية التي ميزت القومية وتَشبَّعت بها، ومبادىء العدل الاجتماعي العام التي حَرَّكتها ما كانت لتظهرَ وتسودَ لولا هذا التراث الروحي الذي هيمن بقوة على جماهير اليهود عبر القرون. كل هذه **الاعتبارات تجعل الحركة القومية حركة روحية خالصة على الرغم من نزعتها** العلمانية وميول قادتها التي لا تعكس ظاهرياً روحاً متدينة. ولهذا فإن السلوك المشوب باللامبالاة بالدين الذي عُرِفَ به الرواد الأُوَل (حالوتسيم - Chalutizm) من بناة المستعمرات على وجه التخصيص، لا ينبغي أن يُقارنَ ويُشَبَّه بألوانِ الانحراف والكفر المعروفة قديماً.

إن الشباب اليوم بعيدون جزماً عن صور الانحرافات الوثنية التي هي العدو الحقيقي لكلِّ نزعة دينية وارتباط بالرب تعالى، وهكذا فإن سلوكهم اللاديني البادي للعيان ليس كفراً أو جحوداً وزيغاً عن الدين، بقدر ما هو عدم اكتراثٍ بالأمور الإلهية جاء نتيجةَ قصورٍ في الفهم أو عجز عن إدراك الحقائق، وإن اغترابهم الظاهري عن لوازم العقيدة اليهودية لا يعدو أن يكون بسببٍ من تعلُّقهم المفرط بمبادىء العدل الاجتماعي التي دُفِعُوا

اضطراراً إلى الإيمان بها، تلك المبادىء التي لم تلق أذناً مصغية من لدن أبناء الجيل الأقدم منهم سناً، وتقاعس أولئك عن المساهمة في تيار الثورات الاجتماعية التي قامت في دول أوروبا الشرقية.

والحق فإن النضال من أجل العدل الاجتماعي هو في ذاته دالة على متابعة الطريق الرباني الذي سلكه إبراهيم الحنيف وأمر بنيه وأهل بيته بالحفاظ عليه (لأني عرفته لكي يوصي بنيه وبيته من بعده: أن يحفظوا طريق الرب ليعملوا براً وعدلاً - سفر التكوين، ١٨/١٩).

هذه هي النظرة الشمولية التي تحكَّمت في صور العلاقات التي أقامها الربائي كوك مع الرواد من أبناء المستعمرات ممن عرفوا باللامبالاة الدينية وعدم الالتزام بالأحكام الشرعية في سلوكهم العام. فقد دعا دائماً إلى وجوب التسامح معهم، وأظهر لهم قدراً كبيراً من حسن الفهم والمعاشرة، لاعتقاده بأن الأرضَ المقدسة من حيث أنها مَظْهرُ كُلِّ الكمالات الإلهية السامية، سوف تلعبُ دورَها الروحيَّ في تصحيحِ سلوك هؤلاء المُقَصِّرينَ ظاهرياً. وأن هذه الأرض المباركة سترى يوماً ما عودةً كاملة ناجزة إلى الرب، هذه العودةُ المباركة التي سيعمُّ خيرها العالم كله.

وفي ضوء المشاكل الخطيرة التي تواجه البشرية عامة، فإن استعادة دولة إسرائيل تغدو ضرورةً لا لبني إسرائيل وحدهم، بل للعالم أجمع.

وكان الحاخام كوك يصرح باستمرار: أن إسرائيل بوجودها المحض تشكل زخماً روحياً بالغ الأهمية في دنيا البشر. إن كثيراً ممن يحقدون عليها وكثيرون آخرون اضطهدوها، ولكن لا أحد يستطيع أن ينكر وجودها. وإن وجودها المحض سوف لن يتوقف في إحداثِ التأثيرات المطلوبة على الفكر الإنساني وتطهير الإنسانية مما علق بها من أدران

ومفاسد، إلا أن هذا التأثير الروحي لن يكون نشطاً وفعالاً ومثمراً إلا إذا صدرَ عن الأرض المقدسة.

والحق فإن انتقال عناصر عديدة من التراث اليهودي إلى بنية الثقافة الإنسانية سيسهل بلا ريب لليهود ساعةَ عودتهم إلى الأرضِ المقدسة في إحداث التأثير الروحي المنشود في الأمم الأخرى عامة.

ومع كل الجهد الاستثنائي الذي بذله الربائي كوك، وما كان يتمتع به من نفوذ واسع في صفوف اليهود الأرثذوكس، فإنه لم يستطع إقناعهم جميعاً بالوقوف إلى جانب الحركة الصهيونية، فقد عارضت مجموعة أرثذوكسية متنفذة الحركةَ بشدة وضراوة بدعوى أن الصهيونية تحسبُ اليهودَ شعباً عَلْمانياً ولا تعتبرهم أمةً مختارة حملت مسؤولية الوعد الإلهي المنتظر بالخلاص الأبدي للبشرية.

وهكذا اجتمع عدد من الحاخامات والزعماء الدينيون في «كاتوفيتز» بزعامة «جاكوب روزنهايم J. Rosenheim» (١٨٧١-) وأسسوا حركة "Agudas Israel" التي استهدفت جمع اليهود على أساس من التوراة وتعاليمه، ومن ثم العمل على حَلِّ ما يواجه اليهود من مشاكل وصعوبات سواء في أرض إسرائيل الموعودة أو في عالم الشتات في ضوء التوراة وتعاليمه.

كذلك ضمت المعارضة التي تحدت الصهيونية شخصية أخرى أقامت فلسفتها جملة وتفصيلاً: «على أسس من القومية اليهودية، وهو «اشركنزبرغ A.Ginzberg» (١٨٨٦- ١٩٢٧) الذي عرف باسمه المنتحل «أحد ها عام Ahad - Ha- Am» مؤسس الحركة الصهيونية الثقافية. فقد بدا له بأن المشكلة اليهودية في جوهرها ليست مسألة اقتصادية أو سياسية، بقدر ما

هي أزمة ثقافية روحية، تتمثل في تحلل مستمر لأواصر الحياة الروحية واندثار الحس الأخلاقي نتيجة الضغط المتراكم المستمر للبيئات الثقافية والاجتماعية الغريبة عليهم.

ولأن الأكثرية اليهودية في الشتات سوف تستمر في الحياة في عالم غير يهودي **فإن إقامة دولة قومية لهم في فلسطين سوف لن تحلَّ مشاكلهم وتبقى هذه المشاكل من غير حل حاسم ونهائي.**

وهكذا وبدلاً من فكرة هرتزل في إقامةِ كيانٍ سياسي مستقل لليهود في فلسطين، ونقل اليهود المنحدرين من أصول ثقافية مختلفة ومتباينة إليها، ذهب كنزبرغ إلى ضرورة إقامة جماعة يهودية مستقلة ثقافياً ومتجانسة روحياً، تُبنى وتُؤسس تدريجياً بمساهمة صفوة المثقفين اليهود، ممن تربوا على أصول الثقافة الروحية المتوارثة. وبهذا الاعتبار ستتمكن هذه العصبةُ التي جمعتها الرابطةُ الروحية من تنمية الثقافة الصهيونية دون الاضطرار قسراً إلى التكيف مع ألوان الثقافات الغريبة عنها، وتعكس بما هي عليها من خصوصية واستقلال، العبقرية اليهودية التي تَمَيَّزَتْ واختصت دون غيرها بالتأكيد المستمر على المبادىء الخلقية التي تبشر بالأخوة الإنسانية والوحدة الروحية لبني البشر، تماماً كما دعا إليها أنبياء بني إسرائيل في سالف العصور والأزمان.

إن مثل هذه الجماعة المتجانسة روحياً وثقافياً بقيامها في أرض الآباء والأجداد - الوطن الأم - سوف تتحول إلى مصدر إشعاع روحي لكافة يهود العالم المُشَتَّتين في العالم، وترسل بإشعاعاتها الروحية داعيةً الجميعَ إلى الوحدة في رابطة قومية ثقافية. وبهذه الطريقة فقط سيتمكن الشعب اليهودي من تحقيق الحصانة الروحية والثقافية التي ستؤهله لبناء الدولة المثالية المنتظرة والموعودة لليهود.

وهكذا فصل «أحد - ها - عام» المبادىء الخلقية لليهود عن بنيتها الدينية، ثم شَخَّص هذه الخصائص الخلقية في إيمان راسخ متأصل في اللاشعور اليهودي يدعو إلى الروحانية والحس الأخلاقي.

وعلى الرغم من هذه الآراء الذاتية الشاذة فقد بقي «أحد - ها - عام» مخلصاً للمآثر اليهودية الموروثة، فكان شديد الاقتناع بالدور الرسالي لليهود ودولتهم المنتظرة باعتبارها ضرورةً لازمة لتحقيق الآمال المسائية التي تبشر بوحدة الجنس البشري.

وكان من بين المعاصرين لأحد - ها - عام، ممن أيَّدوهُ في آرائه وبرامجه في الدعوة إلى الصهيونية الثقافية مارتن بوبر (ولد عام ١٨٧٨) الذي مال خلافاً له، إلى تبني (موقف صُوفيٍّ جوَّاني) لم يكن دينياً خالصاً، التمس له أصلاً تاريخياً في الحاسيديم «حركة الحاسيديم Chassidism» التي يعود الفضل إليه في اكتشاف أصولها وتقديم تأريخها للعالم المثقف. وموقفه الصوفي هذا من الصهيونية جاء منسجماً - في زعمه - مع التقاليد المستقاة من التوراة والتي تصرح بأن اليهود، ومنذ نشأتهم الأولى، قد حملوا تَبِعةَ إقامةِ دولة الرب العالمية، والدعوة إلى تحقيق العدل والبر في الوجود العام المشترك للأمم والشعوب. ومن شأن هذا الإيمان العميق أن يؤثر إيجابياً على كل مفردةٍ من تفاصيل الحياة الفردية الاجتماعية لليهود وأن يؤدي - في النهاية - إلى بناء نموذجٍ جديد من الشخصية المتفردة في خصائصها، فتجعل من تحقيق الآمال القومية الذاتية والمصالح الإنسانية العامة هدفها الأقصى دونما تعارض بينهما. وبهذا الاعتبار، وفي ضوء هذا الفهم، فإن الدافع الأساسي للنزعة القومية عند اليهود يتضمن محتوىً دينياً واجتماعياً ويوجب تعاوناً مشتركاً بين البشر من مختلف الأمم والشعوب، وبذل جهد عام قَصْدَ تحقيقِ الأخوة والمساواة في الوجود الإنساني.

لقد ارتبطت النزعة القومية عند «بوبر Martin Bober» برباط محكم بفلسفته المشهورة في صيغة العلاقات التي ينبغي أن تشاد بين «الأنا والغير» والتي ترى بأن جوهر الحقيقة وطبيعتها أمر اجتماعي أصالة **يتشكل في صيغة علاقات تعايش تكاملية بين الذات والأغيار**، وهي العلاقة التي تعبر عن نفسها في فِعْلٍ أخلاقي يقومُ على أساسٍ من الاعتراف المتبادل بين الذات والآخرين.

وقد انتهى بوبر من هذا التصور لجوهر الحقيقة الاجتماعية إلى القول بوجوب إقامة علاقة بين الذات الإلهية المطلقة وبين أبناء المجتمع، شبيهة بتلك التي تقوم بين الذات والآخرين، ولهذا فإن الحركة الصهيونية في رأيه ينبغي أن تهدف إلى بناء حياة اجتماعية تتصف بالكمال، وترتبط بالرب، وتصدرُ عنه مباشرةً ومن خلال هذا الرباط المقدس مع الإله الكامل يتم تحقيق الكمال أيضاً للمجتمع البشري.

وإذا كانت جملة هذه التصورات الفلسفية تتفق عموماً مع مسلمات العقيدة اليهودية فإن بوبر، من طرف آخر، كان يتجاهل تعاليم التلمود فلا يقيم لها وزناً واعتباراً، ولا يكترث بالالتزام بالأحكام الشرعية المنصوص عليها، والتي كان يراها أموراً عَرَضية لا تهم المجتمع المثالي الذي كان ينشده. كما لم يُوضِّح معالمَ المنهج العملي الذي من شأنه أن ينقل هذه المفاهيم والتصورات إلى عالم الواقع، الأمر الذي يعلل قلة تأثيره في الحياة العملية العامة لليهود.

وبينما كان يرى كُلٌّ من أحد - ها - عام وبوبر بأن تحقيق المبدأ المسائي الموعود، كيفما تَكُنْ صورتُه، يقتضي عودةَ بني إسرائيل إلى الأرض الموعودة فإن «هيرمان كوهن Herman Cohen» (١٨٤٢-١٩١٨)، الفيلسوف اليهودي الألماني المعروف بآرائه المتأثرة بالكانتية

المحدثة - قد ذهب مذهباً مغايراً لهما معاً. فعلى نقيض الإصلاحيين اعتقد بأن اليهود ليسوا مجرد طائفةٍ دينية وإنما يشكلون أمة لها هويتها المستقلة، إلا أنه أقام فصلاً وتميزاً واضحاً بين **مفهومي القومية والأخوة اليهودية**، من حيث أن الأول يشير إلى وحدة بيولوجية وتاريخية، في حين يتضمن الثاني اعتقاداً بالوحدة السياسية.

ولأن اليهود هم حملة الوعد الإلهي المنتظر الذي ارتبط جدلياً برباط محكم بوجودهم التاريخي، فإن على اليهود العمل من أجل الحفاظ على قوميتهم المتجانسة. وهذا الإحساس القومي مما يمكن إدامته والإبقاء عليه في إطار الوحدة السياسية القائمة للدول التي يتواجد فيها يهود الشتات، خاصة بعد تطور مفهوم الدولة السياسية الذي أقر مبدأ التعددية في الهوية الثقافية للمواطنين الخاضعين لسيادتها ولكن - وفي الوقت ذاته، فإن جوهر القومية اليهودية، مما يجب تأكيده في عزم وإصرار لأن من شأن ذلك أن يجسد المبدأ المسائي ووحدة النوع البشري تجسيداً حياً.

ومن هنا فليس من الصحيح أن **يحصر اليهود أنفسهم في دولة غير يهودية واحدة مقيدة بحدودها السياسية**، ولا أن ينفصلوا بأنفسهم في دولة قومية مستقلة وخاصة بهم.

وبهذا الاعتبار فإن الصهيونية، سواء في صيغتها السياسية التي بشر بها هرتزل أم في صورتها الثقافية التي أبان عنها أحد - ها - عام، من حيث أنهما معاً يستهدفان إعادة بناء الدولة القومية المستقلة لليهود تقف **(أي الصهيونية) طرفاً نقيضاً للدين اليهودي بخصائصة المسائية**.

إن هذه المناقشات العميقة التي دارت حول فكرة الدولة اليهودية قد استمرت في أجواء مشحونة بالحماس المتزايد في صفوف الجماهير

اليهودية المضطهدة في أوروبا الشرقية الذين وجدوا في بناء الدولة اليهودية المنقذَ الوحيد لهم مما يعانون من عنت وظلم ومشاعر اللامبالاة وعدم الاكتراث بأوضاعهم المتردية الذي كانوا يجابهون به من لَدُن إخوتهم المقيمين في ديار أوروبا الغربية ممن كانوا أفضلَ حالاً منهم والذين كانوا يحسبون إقامةَ دولةٍ لليهود مجرد رؤى وأحلام، ليس إلا، وكان من المحتمل أن تبقى الفكرةُ القومية حبيسةَ الأوهام الحالمة لولا صدور وعد بلفور عام ١٩١٧ بمبادرةٍ وتحريض من حاييم وايزمن (١٨٧٤- ١٩٥٢)، وهو الوعدُ الذي اعترفت به بريطانيا العظمى بالحقوق التاريخية لليهود في أرض فلسطين، وألزمت نفسها فيه ببذل كلِّ الجهدِ المستطاع من أجل خلق وطنٍ قومي لليهود في إسرائيل، ثم حصلت من بعد على اعتراف من الهيئات الدولية بهذا الوعد وذلك بعد ثلاث سنوات من تأريخ صدوره، حيث عهدت عصبة الأمم حق الانتداب لبريطانيا على فلسطين بغية تمكينها من تحقيق الوعد الذي قطعته على نفسها.

لقد قُوبِلَ الإعلانُ عن وعد بلفور بموجةٍ عارمة من الحماس الذي ساد أوساط اليهود في الشتات، فاندفعت جموعهم إلى فلسطين وهي تحمل معها الرفاه إلى البلد الذي كان يشكو من الفقر والنسيان، فجففوا المستنقعات، وقاموا بشقِّ قنوات الري لنقل المياه إلى الأرض القاحلة، واستخدموا الأسمدة الكيماوية لإعادة الحياة إلى تربتها المنهكة، وأسسوا المصانع، وأسبغوا على فلسطين معالم الحضارة الحديثة، وأحيوا اللغة العبرية، وأنشأوا نظاماً شاملاً ومتكاملاً للتربية والتعليم واللغة القومية. وأخيراً أقاموا على جبل Scoups جامعة علمية رمزاً لطموحهم الراسخ في إقامة الوطن القومي على أسس روحية ثابتة.

وعلى الرغم من هذه الإنجازات كلها فإن المعارضةَ لإقامةِ دولة يهودية

في فلسطين استمرت قويةً بين قطاعات واسعة ومتنفذة من يهود الشتات. إلا أن سلسلة الأحداث المفجعة التي بدأت باضطهاد هتلر لليهود، والتي بلغت ذروتها خلال الحرب العالمية الثانية التي أشعل فتنتها، وتصفيته الجسدية - ويا للأسف - لستة ملايين يهودي كانوا يشكلون ثلث يهود العالم، كانت أشد وأقوى من كل المخاوف والنظريات الارتيابية والفلسفات المترددة التي كانت تعارض فكرة إنشاء الدولة القومية، وهكذا تحول العديد من أشد المعارضين لها إلى صفوف أولئك الذين انتصروا للفكرة أصلاً، ثم لما عارضت بريطانيا العظمى حق الهجرة والاستيطان في فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية لليهود من بقايا معسكرات الموت وغرف الغاز، شَبَّ نِزاعٌ عنيف بين اليهود المقيمين في فلسطين وسلطات الانتداب البريطاني انتهى في الأخير إلى قرار الأمم المتحدة في ٢٩/ تشرين ثان/ ١٩٤٧ الذي أنهى حكم الانتداب وأقر مبدأ التقسيم وإقامة دولتين مستقلتين على فلسطين إحداهما عربية والأخرى إسرائيلية.

ومن ساعة إصدار قرار التقسيم بدأت الأحداث تسير حثيثاً باتجاه الغاية المقصودة، ففي اليوم الثاني لعقد المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧ كان تيودور هرتزل قد سجل خاطرة له في مذكراته تنبأ فيها بأن فكرة قيام الدولة اليهودية بعد خمسين عاماً ستصبح حقيقة واقعة.

وهكذا ففي ١٤ مايس ١٩٤٨، أي بعد مرور خمسين سنة على نبوءة هرتزل بالضبط دعا بن غوريون زعيم الحركة الصهيونية آنئذ مئة شخصية معروفة وعدداً من مراسلي الصحف والوكالات إلى الاجتماع به في بناية متحف تل أبيب وصرح هناك قائلاً: إننا نعلن هنا تأسيس الدولة اليهودية في فلسطين التي ستدعى إسرائيل وكانت عقارب الساعة تشير إلى الرابعة وثمان وثلاثين دقيقة عصراً عندما كانت الدولة اليهودية الموعودة قد

ولدت.

وهكذا انقلبت نبوءة هرتزل إلى حقيقة واقعة، وانتقل الحلم الذي استمر ألفي عام إلى حيز التنفيذ.



فهرست المصطلحات العبرية

Amidah الصلاة اليومية الجامعة التي تؤدى وقوفاً ثلاث مرات والتوجه باتجاه بيت المقدس، وتشكل عادة القسم الأساسي في أي طقس ديني ويشترط فيه حضور عشرة من الذكور.

Amora وجمعه Amoraim، لَقَبٌ عُرِفَ به علماءُ الجيمارة بفلسطين وبابل في الفترة ٢٠٠-٥٠٠م.

Arvit صلاة أول الليل وتسمى أيضاً: Marriv.

Ashkenazi كلمة يعتقد ويظن أنها تعني ألمانيا، وصار اسماً لليهود وسط وشرق أوروبا، ولهم عادات خاصة بهم، وأغلبية يهود الولايات المتحدة من الأشكناز.

Asara Be- Tevet إحياء ذكرى حصار نبوخذ نصر لبيت المقدس، عام ٥٨٦ ق.م.

Avel الحزن على وفاة قريب، والامتناع عن المشاركة في الفعاليات اليومية حداداً على المتوفى.

Bat Mitzvah ابن الوصايا الذي بلغ الثالثة عشرة من عمره، سن التكليف الشرعي والالتزام بأحكام الشريعة الموسوية.

Bat- Mitzvah الأنثى التي بلغت سن التكليف الشرعي.

Bit- Din المجلس الشرعي المكون من ثلاثة من الربائيين للنظر في

أحكام الأحوال الشخصية كعقد القران، والطلاق، ومراسيم الدخول في اليهودية.

Bet ha- Kneset مكان وملتقى الاجتماع، ثم صار اسماً للكنيس اليهودي.

Bimah المنبر الذي يتوسط القاعة المركزية في الكنيس، وتوضع عليه لفائف التوراة للقراءة منها أثناء الصلوات.

Brit Milah عهد الختان وعلامة الدخول في اليهودية.

Chanukah عيد الشموع - عيد الإهداء، ومدته ثمانية أيام ابتهاجاً بنجاح الثورة المكابية ضد الرومان عام ١٦٥ ق.م.

Hasid التقي، ثم صار لقباً لأتباع حركة المتطهرين الصوفية التي أسسها بعل شم طوف (١٧٠٠- ١٧٦٠م) ببولندة.

Erusin حفل تقديم الخاطب خاتم القران لمخطوبته.

Etrog أغصان الحمضيات التي تستعمل في بناء المظال التي يقيم فيها اليهود أيام الاحتفال بعيد العرازيل.

Gaon لَقَبٌ عُرِفَ به رؤساء المعاهد الدينية اليهودية ببابل في عصر ما بعد تدوين التلمود ثم صار لقباً لمشاهير الفقهاء العلماء من اليهود عامة.

Gedaliah صوم اليوم التالي مباشرة لرأس السنة العبرية تعبيراً عن الشكر لله على اغتيال جدليا إبان الهدم الأول للهيكل والمعبد.

Ger Toshav الغريب المقيم في مجتمعات اليهود، المتمسك بالوصايا المعروفة بوصايا نوح، رغم أنه ليس على دين اليهود.

Get وثيقة الطلاق الشرعية التي يجب على الرجل إعطاؤها لمطلقته، وبغيرها لا يُعَدُّ الطلاق مشروعاً.

Goi الأغراب من غير اليهود، وهم الناس جميعاً من غير اليهود.

Halakhah طريق الحياة، ثم صار مصطلحاً يعني جملة الأحكام الشرعية التي تُنَظِّمُ قواعدَ السلوك العام لليهودي وصور أداء الطقوس والواجبات الدينية.

Haskalah حركة التنوير اليهودية التي أسسها موسى مندلزوهن في القرن السابع عشر.

Hoshna الصالة والدعاء بالخلاص والأمل بالعودة إلى أرض الميعاد.

Kabbalah حركة القبّالا الصوفية - التصوف اليهودي.

Kasher الحلال من المأكولات.

Ketubbah عقد الزواج الشرعي الذي يحدد التزامات الزوج تجاه الزوجة.

Kibbutz المستوطنات الإسرائيلية المشاعة التي يشترك المستوطنون جميعاً في ملكياتها.

K'lal Israel أمة اليهود.

Kol Nodrei وجوب الامتناع عن الحلف والقسم إكباراً لعيد يوم الغفران.

Maariv صلاة المغرب وتعرف أيضاً: Arvit.

Mamzer الطفل أو المولود غير الشرعي «ابن الزنا»، وابن الزوجة

المطلقة خارج بيت الدين عند الأرثذوكس.

Menorah الشمعدان ذو الثمانية حمائل، رمز انتصار الثورة المكابية عام ١٦٥ ق.م، على الرومان وتطهير بيت المقدس من الأوثان والطقوس الوثنية.

Mezuzah حَافظاتٌ من الجلد، فيها نصوصٌ من التوراة تُعلَّقُ على مداخل البيوت.

Mikveh الحوض المقدس، الذي جُمِعَ ماؤهُ من المطر، يغتسل فيه من يعتنق اليهودية من غير اليهود.

Mitzvah الأحكام والوصايا الواجبة الالتزام بها ديناً.

Mohel الخاتن المتخصص شرعاً لإجراء عملية الختان للطفل في اليوم الثامن من ميلاده.

Niddah فترة الاعتزال الواجبة شرعاً عن الاتصال الجنسي بين الزوجين.

Onah فترة وجوب قيام الرجل بالاتصال الجنسي بزوجته.

Pesach- Pessah Purim الاحتفاء بذكرى الخلاص العام ليهود فارس من القتل الجماعي الذي خطط له ماهان، وزير كسرى الفرس، ووردت تفاصيله في سفر أستير زوجة كسرى اليهودية التي دبرت خطةَ إنقاذِ اليهود من القتل الجماعي.

Sandek العَرَّاب الذي يحمل الطفل استعداداً لختانه.

Safardi يهود شبه جزيرة إيبريا - إسبانيا والبرتغال، ثم صار اسماً لعامة اليهود الشرقيين.

Shacharit صلاة الصبح.

Shavout عيد الحصاد والعصرنة.

Shima الفقرات الثلاث من الأسفار الخمسة وتقرأ في اليوم ثلاث مرات، وتتضمن شهادة التوحيد والتنزيه.

Saivah فترة الحداد لفقدِ قريبٍ، ومدَّتها سبعة أيام.

Shochet المتخصص شرعاً بالذبح.

Shuluchan Arukh عبارة تعني: المائدة الكاملة، وهي عنوان للمدونة الفقهية الجامعة التي دونها يوسف قارو عام ١٥٦٥م، وتمثل دستور الحياة الدينية لليهود الأرثذوكس.

Sukhah المظال، العريش المبني من سعف النخيل وأوراق الحمضيات والأثل، الذي يقيم اليهود فيه أثناء الاحتفال بعيد المظال - العرازيل.

Targum التفسير الآرامي للأسفار الخمسة والعهد القديم.

Taslika الغطس في الحوض المقدس، رمزاً لالتقاء الذنوب والتوبة النصوحة.

Tallit الشال الأبيض المربع ذو الهدب، الذي يرتديه الذكور أثناء الصلاة.

Tefillin حافظتان من الجلد صغيرتان، تحتويان نصوصاً من التوراة، يُعلَّقان على الذراع أثناء تأدية الصلوات من قبل الذكور.

Tenakh العهد القديم، بكل أسفاره.

Terefa الذبائح المحرمة التي لم تذبح من قبل المتخصص بالذبح.

Yeshivah المعاهد الدينية العليا المتخصصة بدراسة التلمود.

Yichud تحريم الخلوة بين الجنسين.

Yiddish اللهجة الملفقة من العبرية والألمانية، وهي لغة الأشكناز.

فهرست المصادر

أ- المصادر العربية:

١- **القرآن الكريم**.

٢- **الكتاب المقدس**: دار الكنائس في الشرق الأوسط، الطبعة الأولى، ١٩٩٢.

٣- ابن حزم الأندلسي: **الفصل في الملل والنحل**، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٩٠هـ، ١٩٧٥م.

- **جمهرة الأنساب**، تحقيق الدكتور عبدالسلام هارون، القاهرة، ١٩٦٨.
- **الرد على ابن النغريلة اليهودي**، تحقيق الدكتور إحسان عباس، القاهرة، ١٩٦٠.

٤- ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، منشورات دار يوسف، طبعة منقحة ومراجعة، بيروت، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٥- أحمد سوسة: **مفصل العرب واليهود في التاريخ**، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، ١٩٨١م.

٦- ابن المرتضى (أحمد بن يحيى): **المنية والأمل في الملل والنحل**، تحقيق الدكتور محمد جواد مشكور، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

٧- جعفر هادي حسن: **فرقة القرائين اليهود**، مؤسسة الفجر، بيروت، لبنان، ١٩٨٩م.

٨- جورج كنعان: **وثيقة الصهيونية في العهد القديم**، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٨٢م.
٩- رحمة الله الهندي: **إظهار الحق**، السعودية، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٩م.
١٠- الزمخشري: **تفسير الكشاف**، منشورات دار الفكر، بيروت، ١٩٧٧م.
١١- سيجموند فرويد: **موسى والتوحيد**، الترجمة العربية، الدكتور جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت.
١٢- الشهرستاني: **الملل والنحل على هامش الفصل**، لابن حزم الأندلسي.
١٣- صموئيل بن يهودا المغربي: **بذل المجهود في إفحام اليهود**، تحقيق محمد أحمد الشامي، القاهرة، بلا.
١٤- طيب تيزيني: **من يهوه إلى الله**، دار دمشق، ١٩٨٥- ١٩٨٦.
١٥- عبد المجيد الشرفي: **الفكر الإسلامي في الرد على النصارى**، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٦.
١٦- عباس محمود العقاد: **الأعمال الكاملة**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٥- ١٩٨٦.
١٧- الفخر الرازي: **التفسير الكبير**، دار الكتب العلمية، بيروت.

ب- المصادر الأجنبية:

1- Alan Unterman: Jews, their Relegious Beleifs and Practices, (Rotledge, London - New York) 1989.

2- Baron, S, W: A Social and Relegious History of the Jews, (Colombia University Press New York) 1952-1957.

3- Bevan, E.R: Jerusalem under the High priests, * Arnold), London, 1924.

4- Dan Cohen Sherbok: The Jewish Faith, (SPCK) 1993.

5- Geza Verms: Jesus, The Jew, (Macmilan) 1973.

6- H. St John Thackeray: Josephos, The man and the Historian, (New York, Jewish Istitute of Relegion Press) 1929.

7- Ibrahams, Israel: Jewish Life In The Middle Ages, Philadelephia, 1960.

8- Irving M. Zeitlin: Jesus and the Judaism of his Time, (Polity Press) 1988.

9- Isidor Epshtien: Judaism (Penguin books - Harmondswprth, Middlesex, England) 1990.

10- Jacob Neusner: The Way of the Torah, 2nd, Ed (Wasworth - Belemont, California) 1979.

11- James H. Charlworth: Ed, Jews and Christians - A Series of Exploration, (Crow Road, New York) 1990.

12- Leo Trepp: Judaism, Development and Life, 3ed, Ed (Wadsworth Publication Co, Belemont, California) 1979.

13- Nemoy Leon: Karrite, An Anthology, (Yale University Press) 1952.

14- R. Dean Peterson: A Concise History of Christianity, (Wadsworth Publication House, Belemont, California) 1933.

15- R. Garuady: the case of Israel, A study political Zionism, (Shrouk International - London) 1983.

16- Sandmel. S: Judaism and Christian Begining, (Oxford University Press) 1978.

17- Southren. R. W: Western views of Isalm in the Middle Ages, (Harvard University Press) 1962.

18- William. F. Albirght: The Biblical period from Abrahms to Ezra, (Harper and Row, N. Y) 1963.

19- W. O. E. Osterly and G. H. Robinson: Relegion and Worship of the synagogue, London. 1911.

* The Encyclopedia Americana, in thirty volumes, (International Edition, Grolier Incorporated).

* Encyclopedia Britannnic, 15th, Edition (Ency, Bri, Inc, 1902-1903).

* Encyclopedia of Religion and Ethics, Ed James Hastings, (Edinburgh T. And Y, 1909).

* Encyclopedia of Religion, Ed. In chief, Mircea Elida (Macmillan Publishing Company, New York, 1986).

* The Jewish Encyclopedia.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
توطئة وتقديم	٥
القسم الأول: اليهودية عرض تاريخي	٩
الفصل الأول: اليهودية كما يراها أهلها	١١
اليهودية في عقيدة المؤمنين بها	١٢
الفصل الثاني: موجز تاريخ بني إسرائيل	٢١
الفصل الثالث: الكتب المقدسة عند اليهود	٧١
أولاً: العهد القديم (تناخ)	٧١
أنظار العلماء في محتوى ومضمون العهد القديم	٧٥
التحقيق العلمي والحديث والمعاصر للعهد القديم	٧٨
ثانياً: التلمود والمشنا والجيمارة	٨٣
ثالثاً: أركان الدين اليهودي	٨٧
الفصل الرابع: المذاهب والفرق اليهودية	٩١
القراؤون	٩٤
الفريسيون	٩٨
الصدوقيون	١٠٢
الأسينيون	١٠٤
الغيوريون	١٠٨
السامريون	١١٢

الموضوع	الصفحة
القبالا والزوهار	١١٥
الأشكناز والسفارديم	١١٩
الفصل الخامس: الحياة الدينية عند اليهود	١٢٣
أولاً: تحديد الهوية اليهودية	١٢٣
ثانياً: قواعد الحلال والحرام	١٢٩
ثالثاً: الحياة العائلية	١٣٤
رابعاً: الأعياد الدينية ومواسم الاحتفالات	١٣٨
أولاً: عيد الفصح (الفطير)	١٣٨
ثانياً: عيد العرازيل (المظال)	١٤٠
ثالثاً: عيد الحصاد	١٤١
رابعاً: عيد رأس السنة وعيد الغفران	١٤٢
خامساً: عيد الخانوكة	١٤٣
مهرجان بوريم - القرعة	١٤٤
القسم الثاني: الحركات الحديثة في اليهودية	١٤٧
فهرست المصطلحات العبرية	٢٠١
فهرست المصادر	٢٠٧
فهرس المحتويات	٢١١